من أعـلام الصوفيـة المعاصرين

- ٢ -

العـارف بالله تعـالى

الشـيخ

محمد على سلامة

سيرة وسريرة

فوزى محمد أبو زيد

رئيس الجمعيـة العـامة للدعوة إلى الله

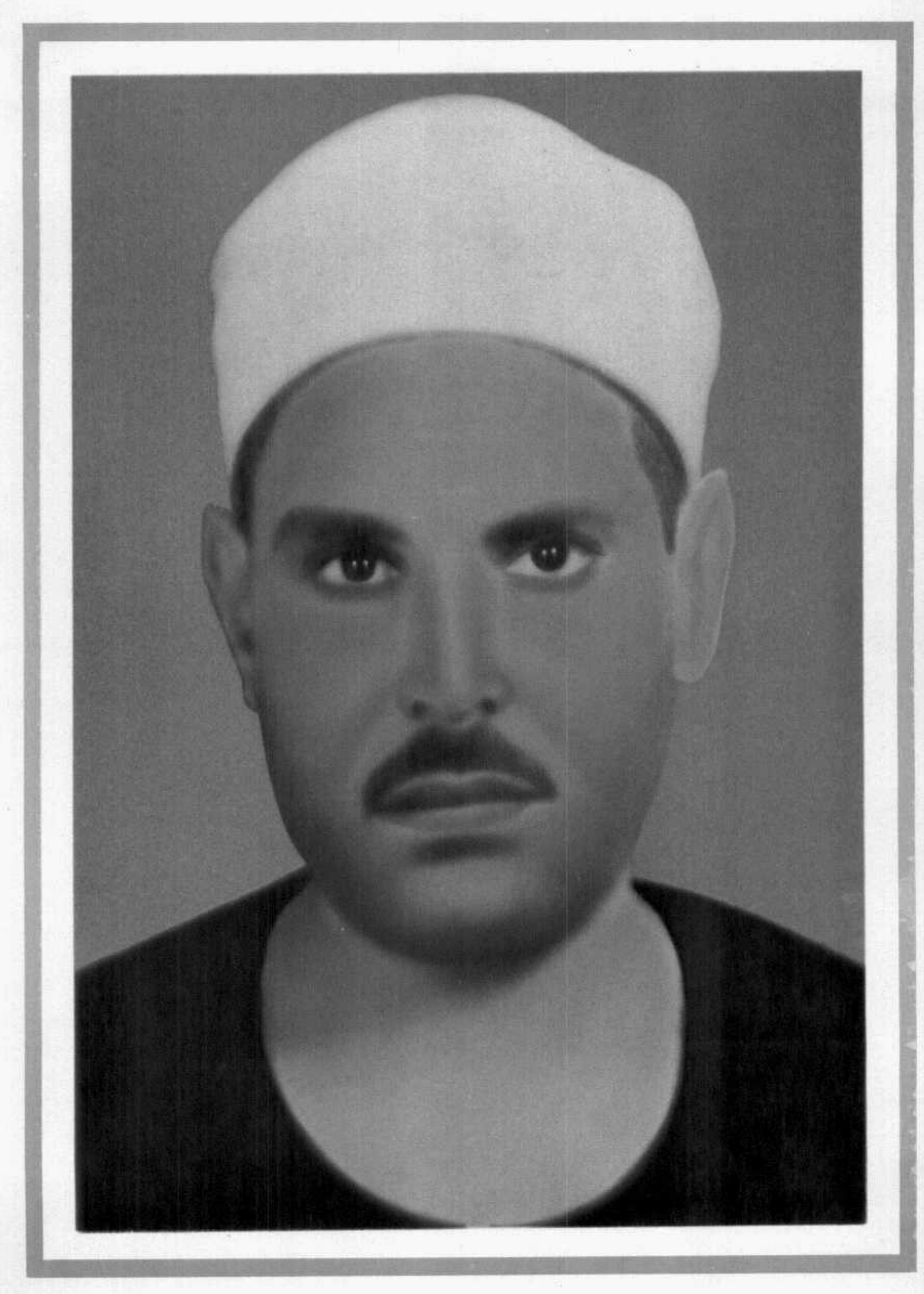
بجمهورية مصر العربيـة

مطبعة ستراند الحديثة

١٤١٤ هـ - ١٩٩٣

قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه :

لأهل الله أسرار خفية * وأحوال ترى فيهم علية
وأنوار ترى منهم جهاراً * يرون بها حقائقهم جلية
وعلم غامض يعطى بفضل * لأنهم تهنوا بالمعية
معية ربهم حال التجلى * بأفئدة من الدنيا خلية
صَفُوا لله من ميل وحظ * فكان القرب منه لهم عطية



العارف بالله تعالى

الشيخ / محمد على سلامة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـدمة :

الحـمـد لله الذى أنعم على أوليـائه بدوام طاعتـه، وأعـانهـم على ذكـره وشكره وحسن عبادته، وهيـأ قلوبهم لأنوار حضرته، وجعلهم نجـوماً مشرقة للصـالحين من بريته، والصلاة والسلام على سيدنا محمد غوث الأنام، ومصباح الظلام، والشفيع الأعظم لجميع الخلائق يوم الزحام، ورضى الله تبارك وتعالى عن أصحابه الكرام وورثتـه من العلمـاء العـاملين والصـديقين والشـهداء والصـالحين، وكل من سلك طريقهم وتمسك بهديهم إلى يوم الدين... آمين.

وبعـــد...

فـهـذه سيـرة رجل من كُمَّـل العـارفين، ومن خـاصة خاصة المقربين، ورث العلوم الظاهرة وعمل بها على هدى النبوة الطاهرة، فأفاض الله عليه أسراره الباهرة، وصفاته النَّيِّرة، ووهبه مواهب المقربين ومشاهد المحبوبين، وصفات كُمَّـل الوارثين، وهو بعـد ذلك كله تراه أعين الخلق فى تواضع المخبـتين، وخـشـوع الزاهدين، وإنكسار المقربين، عرفناه عن قرب، وشربنا منه صافى الحب فوجدناه قد وسع الجميـع برحمتـه، وعمهم بعطفه ومودته، فهو للصـغير أباً رؤوفاً رحيماً، وللكبير أخاً شفوقاً عطوفاً، وللمسـاوى يرفـع قدره، ويظهر أمره ويعلى شـأنه وإن كان دونه فى العـلم والمنزلة، وديدنه الذى يحرص عليـه إيقاظ المسلمين من سباتهم وحثهم على القيام بأمور دينهم، وإثارة النخوة الإيمانية والغيرة الإسـلامية فى صـدورهم، ولا يريد بعـــد ذلك أن يعرف له أثر فى جهـــاد أو منزلة كريمـــة بين النـــاس، بل إنك كلما اقتربت منـه وتعرفت على أحواله، تحققت بقـول رسول الله ﷺ: **«إن الله يحب العبد التقى النقىّ الخفى»**[1]. وكأنه هو الذى ينطبق عليـه هـذا الوصف الكريم الذى قاله الإمام أبو العـزائم:

---

(١) رواه أحمد ومسلم عن سعد بن أبى وقاص.

والعارف الفرد محبوب لخالقه ... فات المقامات تحقيقاً وتيقيناً
فى كل نَفَسٍ له نور يشاهده ... من حضرة الحق ترويحاً وتعييناً
معناه غيب ومبناه مشاهدة ... والفرد معنى وليس الفرد تكويناً
يمشى على الأرض فى ذُلّ ومسكنة ... هام الملائك شوقاً فيه وحنيناً
لا يعرف الفرد إلا ذو مواجهة ... صافَى فَصُوفِى فأحيا النهج والدينا

وقد تكبدت القيام بهذا العمل وإن لم أكن أهلاً له، لإلحاح الإخوان الصادقين من مريدى الشيخ ومحبيه وعارفى فضله علىّ فى إتمام ذلك، وكنت أقدّم رِجلاً وأؤخر أخرى، لأنى أجد نفسى قاصراً وعاجزاً أمام هذا المقام العلى، والمنزلَ البهى الذى تبوأه الشيخ رضى الله عنه من مولاه،وأنزله فيه سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وخاصة أن الشيخ رضى الله عنه كان يكتم أحواله حتى عن الخاصة من أحبابه، ولا يبيح منها لخاصة الخاصة إلا نذراً يسيراً جداً جداً، وذلك لتمكنه فى مقام العبدية والعبودية لله عز وجل، حتى أنه رضى الله عنه كانت تظهر منه الأحوال العلية جلية واضحة لا لبس ولا شك فيها، ولكنه لتحققه الكامل بمقام الفتوة وبصفات الملامتية، كان يفر منها ولا يقف عندها ويسارع إلى نسبتها إلى ربه وإلى بركة سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، ليحقق من حوله بكمال مشاهد التوحيد العالية.

وما كتبناه فى هذا الكتاب لا يساوى رذاذة من بحر عجاج هذا الشيخ العظيم، وإنما هى شذرات ولمحات تشير إلى نهجه المبارك، وهديه القويم وأثره العظيم الذى تركه فى صدور محبيه، والله أسأل أن يغفر لى ذللى وتقصيرى، فهذا جهد المقل، والله وحده يشهد أن ما قلناه وما حكيناه ما هو إلا ذرة من كمالاته، وقطرة من فيوضاته **﴿وما شهدنا إلا بما علمنا وما كنا للغيب حافظين﴾**(٢).

ونسأل الله عز وجل أن ينظمنا فى عقد أحبته، ويجعلنا من رفقائه فى معيته، وأن يحشرنا يوم القيامة فى زمرة أهل محبته، وأن يثبتنا على قدم دعوته،

(٢) سورة يوسف : الآية ٨١.

ويكملنا بعــلوم أهــل وراثته، ويجعلنــا من القائمين على قدم الصدق فى الدعوة إلى العمــل بشريعته، وإحيــاء ســنة خير أحبتــه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين آمين يارب العالمين.

كتبه
العبد المنكسر القلب
فوزي محمد أبو زيد
دار الصفا – الجميزة غربية

البـــاب الأول

بداية البــداية

* البحث عن العـــارف.
* معرفة الإمام أبو العــزائم رضى الله عنــه.
* البحث عن المعــرفة.
* العثــور على الرجــل الحى.
* البــداية الصحيحة للسـير إلى الله.

بداية البـــداية

لمّا كان من الضرورى علمياً أن يذكر الإنسان كيفية تعرفه على الرجل الصالح أولاً، ليتسنى له ذكر أحواله التى رآها منه ثانياً، فقد اضطررت إلى ذكر هذه النبذة اليسيرة فى بداية سلوكى طريق القوم، وتعرفى على الصالحين وإن كنت لست منهم يقينـاً، وإنما أحبهم وأحب مجالستهم، وأطمع أن يدخلنى الله فى رحاب أعتابهم.

وبداية ذلك أنى وأنا فى السنة الثانية من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة، وكان ذلك فى عام ١٩٦٧ ميلادية، حبّبت إلىّ العبـادة، وخاصة الصيام وتلاوة القرآن والصلاة على النبى ﷺ، والمحافظة على الفـرائض فى أوقاتهـا فى جماعة، واستأنست فى تلك الفترة ببعض الكتب الدينية محاولا جهـدى أن أقرأها لأعمل بهـا، وكانت البـــداية هى كتاب «تنبيـه الغافلين» لأبى الليث السمرقنـدى، ثم بحثت عن منهج أسير على هديه، فوجـدت ذلك فى كتاب «بداية الهـــداية» للإمام الغـــزالى، وهو مطبوع على هامش كتابه «منهاج العابدين» وقد وضع فيه رضى الله عنه منهاجاً كاملاً للفـرد، من وقت يقظتـه من نومه حتى نومه ثانية بعـد صـلاة العشـاء، وأكرمنى الله عز وجل بتنفيذ مافى هذا الكتاب، بالإضافة إلى صـيام يومى الإثنين والخميس من كل أسبوع والأيام الفاضلة كأيام العشر من ذى الحجة ويوم عاشوراء وغيرها، وكذا حبّب إلى الصـلاة على النبى ﷺ فكنت أواظب على قراءة كتاب «دلائل الخيرات» للإمام الجزولى وكتاب «أنوار الحـق فى الصـلاة على سـيد الخلق» للشـيخ عبد المقصود سالم، وكنت أجد لذة عظيمة فى الصلاة عليه ﷺ فى طريقى بصيغ كان يلهمنى الله عز وجل بها، حتى كنت أفر ممن أعرفهم فى الطريق حتى لا يشغلونى عن تلك اللذة العظيمة، وجعلت لى حزباً من الصلوات والتسليمات عليه ﷺ أقرأه فى منتصف الليل قبل نومى، وكنت أقرأه فى سكون الليل ووحشته، وأحس بأنس عظيم يجعلنى أستحضر أنه ﷺ سيحضرنى ويمكننى من رؤيته، وأنام على هذه الكيفية وأنا منتظر ومترقب لمجيء حضرته، فأكرمنى الله عز وجل برؤيته ﷺ مرات عديدة، وقرأت فى ذلك

الوقت كلاماً منسوباً للإمام الغزالي ومقتضاه: أن العبد إذا واظب على الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ حتى يأنس به ويراه، ثم تعلو همته بكثرة الصلاة عليه فإنه ﷺ يصير شيخه ويوجهه في منامه أو في يقظته إن كان من الأقوياء ومثل هذا لا يحتاج إلى شيخ آخر وصادف هذا الكلام هوى في نفسي وعزمت على السير في هذا المنهج إلى منتهاه.

البحث عن العارف

وكان في ذلك الوقت يتجمع الصالحون حول العارفين المنتقلين، وخاصة في موالدهم، وكنت أتردد على تلك الموالد بحثاً عن الصالحين للتعرف عليهم وزيارتهم، وأيضاً كنت أتردد على الأضرحة المباركة بدعوة من أصحابها، فكنت أرى نفسي في ضريح رجل من العارفين ربما لا أعرفه من قبل، فأذهب إلى زيارته، وفي لقائي برجل من الصالحين هو الشيخ حسن شعبان(١).

وأثناء تجاذبنا الحديث سألني: هل لك شيخ؟ فقلت نعم. شيخي رسول الله ﷺ. فقال: هذا لا ينفع عندنا (أي عند أهل الطريق) من لا شيخ له فالشيطان شيخه. فكانت هذه الكلمات بمثابة الشرارة التي حركت ما كمن في نفسي من حب الإتصال بالعارفين تحقيقاً لقول الله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**(٢) فكلما سمعت عن عارف أو صالح ذهبت إليه وعرضت نفسي عليه. فمنهم «الشيخ أحمد حجاب رضي الله عنه»(٣).

---

(١) وهو من قرية تاج العجم مركز السنطة غربية، وقد فرغ نفسه لتحفيظ القرآن، ورفض العمل بالشهادة الأزهرية رغم حصوله عليها عملاً بالحديث الشريف الذى روى عن سيدنا عثمان عن رسول الله ﷺ قال: **«خيركم من تعلم القرآن وعلمه»**... رواه البخارى، وقد توفى فى الخامس من فبراير عام ١٩٧٥.

(٢) سورة التوبة : الآية ١١٩.

(٣) وهو رجل صالح حصل على العالمية من الأزهر الشريف، وتفرغ للعبادة في خلوة بمسجد سيدى أحمد البدوى، على نهج شيخه الشيخ محمد الشريف وهو من كبار أقطاب الطريقة الإدريسية، وظل على عبادته ولم يتزوج النساء حتى لقى ربه عز وجل عن عمر يناهز مائة وخمسة أعوام، وله ضريح يزار بمسجد سيدى أحمد البدوى وله كتاب مطبوع هو «العظة والإعتبار آراء فى حياة سيدى أحمد البدوى الدنيوية والبرزخية» وتوفى فى ١٣ يوليو سنة ١٩٧٨م الموافق ٩ من شعبان سنة ١٣٩٨هـ.

الذى قال لى: «هو أنا شلت نفسى لما ها شيل غيرى» فخرجت من عنده حزيناً، ولم أكن أعلم أن الأولياء قسمين: ولى مرشد: وهو الذى يقيمه الله عز وجل لدلالة الخلق عليه، وولى لنفسه: وهو الذى يقيمه الله لعبادته وطاعته. ولما كانت الكلية بحى المنيرة بالقاهرة فى ذلك الوقت بالقرب من السيدة زينب رضى الله عنها، فكنت أتردد على السيدة زينب كثيراً وأسأل عن الصالحين.

فذهبت إلى الشيخ عبد المقصود سالم(٤)، وعرضت عليه صحبته فقال لى: هل تزوجت؟ فقلت: لا. فقال: عندما تنهى دراستك وتتزوج إإتنى. فتعجبت لأنى كنت فى حال لا أحس فيه بأن هذا الأمر عائق فى السير إلى الله فقلت له على الفور: وهل سيدنا عيسى تزوج؟ فأجابنى: لسنا كسيدنا عيسى.

وبعد بحث جهيد مع الصادقين من رجال الله تارة ومع البطالين فى طريق القوم، والذين هم فى نظرنا قطاع طريق للخلق، ولذا لا نجد داعياً لذكرهم. ذهبت فى المولد الرجبى لسيدى أحمد البدوى بطنطا لزيارة الشيخ إبراهيم حسين عمّار(٥)... بعد ما سمعته عنه، وعندما صافحته وجلست أمامه، أخذ يتأملنى ثم يثنى علىّ وطلب منى أن أكرر زيارته فتوثقت عرى المحبة بيننا ومكثت معه سنتين كانت فيهما التربية الروحية الأولى لى، وكان رجلاً صاحب حال، وهو قطب للمقام العيسوى، فكان يضع يده على ظهرى ويربّت بها فأحسّ بحرارة الحال تنتقل إلىّ، وقد ورثنى الله عز وجل ببركته أحوال باطنية حتى كنت لا أطيق

(٤) وهو عسكرى شرطة تدرج فى الوظيفة حتى وصل إلى رتبة ضابط، وكان يكثر من الصلاة على رسول الله ﷺ، وله فى ذلك كتاب «أنوار الحق فى الصلوات على سيد الخلق» ولما فتح الله عز وجل عليه أسس جماعة تلاوة القرآن الكريم فى السيدة زينب وتفرغ لجمع الخلق على الله، وله من الكتب أيضاً فى ملكوت الله مع أسماء الله والحضرة فى رحاب سيدنا رسول الله ﷺ وقد توفى فى ليلة الجمعة ٢٦ من شعبان سنة ١٣٩٧هـ الموافق ١١ من أغسطس سنة ١٩٧٧م.

(٥) وهو رجل أمى لا يقرأ ولا يكتب، نزح من محافظة أسيوط واستقر بطنطا، واشتغل بالتجارة، وتعرف على الشيخ صديق، وهو رجل من المجاذيب مدفون الآن بقرية ميت يزيد مركز السنطة غربية، فانتقل إليه حاله، فترك تجارته وزوجه وولده وأقام فى جبل بقرية الأمبوطين مركز السنطة غربية لمدة سبع سنين، منقطعاً عن الخلق، كان فيها يجد أحياناً من حرارة الذكر ما يدفعه إلى إلقاء نفسه فى الترعة وسط الماء فى البرد القارص ليلطف من حرارة داخله، ولما استقرت به الأحوال، إنتقل إلى عزبة شعير وأقام بها يهدى الناس إلى الله عز وجل حتى توفى بها عن خمسة وتسعين عاماً، وأقيم له مسجد وضريح بها وكانت وفاته فى سبتمبر سنة ١٩٧٨م.

أن أحـرك لســانى لإســتماعى بوضــوح إلى الذكر الذى ينشغل به جنانى، إلى درجة أنى كنت عندما أركب المواصـلات فى طـريقى إلى الكليـة، لا أحس بأجسـاد من حولى رغم شـدة الزحام ولصوقهـا بى لما أنا مشغول به، وهـذا حال طيب، ولكن كان سـيؤثر علىّ تأثيراً سـلبياً لولا أن تداركتنى عنـاية الله عز وجـل، فقـد قوّى هـذا الحال عزمى على التفـرغ للعبـادة، ونويت فعـلاً ترك الدراسة والبحث عن مكان منقطع أتفرغ فيه لعبادة الله عز وجل لمَا أجـده من لذة فى العبـادة، لولا أن تداركتنى عنـاية الله بمعـرفة الإمام أبى العـزائم رضى الله عنـه.

معرفة الإمام أبو العزائم رضى الله عنه

وفى غضــون ذلك، كنت لا أكف عن قراءة كتب الصالحين وآثارهم، وبينا أنا فى جلسة مع نفر من محبى الصـالحين، ذكروا لى نبـذة طيبـة عن الإمام أبى العـزائم وعن خليفتـه القـائم فى ذلك الوقت، وهو إبنه السيد أحمد ماضى أبو العـزائم، وبعـد انصرافى نمت فى تلك الليـلة فرأيت السـيد أحمـد ماضى أبو العزائم جالساً على كرسيه الخاص به، ولم أكن رأيته من قبل، ثم استخرت الله عز وجل فى زيارته، فرأيت سيدنا رسول الله ﷺ وقد أخذ بيدى وطاف بى العوالم العلوية ثم هبط بى إلى الأرض، وأدخلنى على الإمام أبو العزائم وقال لى: تعرف مَن هذا؟ فسكت تأدباً معه ﷺ. فقال صلوات الله وسلامه عليه: هـذا شيخك.

فعلمت أن هـذا إذن منـه ﷺ بالإنتقال، فتوجهت إلى السـيد أحمـد وكان عنـده نفر من الإخـوان فانصرفوا سريعـاً، وبقيت أنا وهو، فبايعته ولزمت طريق أبيـه رضى الله عنـه.

البحث عن المعرفة

ولما كان الشيء الذى يؤرّقنى ويدفعنى إلى البحث عن الصالحين هو كيفية معرفة الله عز وجل المعرفة الشهودية، وذلك لا يتأتى إلا بانكشاف أنوار البصيرة النورانية، فكان أول سؤال أطرحه على كل عارف ألتقى به هو: كيف تنفتح البصيرة؟.

وكان كل واحد منهم يجيبنى على حسب منهجه ومشربه.

ولما دخلت رياض المدرسة العزمية وجدت فيها طريقة التربية تختلف من فرد إلى فرد، فقد ربى الإمام أبو العزائم أفراداً على نهج الدعوة الصوفية الحقة. وأذن لهم فى الإرشاد، فكانوا يجوبون البلاد ويلتف حولهم الصادقون ويحيط بهم المطلوبون، ولكل واحد منهم نهج خاص به، وفى ذلك يقول الإمام رضى الله عنه: الوسعة تقتضى التفاوت. فوسعة المرشد تقتضى تفاوت مشارب ومشاهد السالكين، فكان أن تقلبت على بعض هؤلاء الهداة أطلب الحصول على بغيتى، وهى فتح باب البصيرة، وكان أول من تلقيت منهم الشيخ طاهر محمد مخاريطة(٦) فتعلقت به لأن الله وهبه لسان حال الإمام أبى العزائم، ومن شدة تعلقى به أنى وقد كنت مواظباً على حضور دروسه فى شتى الأنحاء، كنت أحفظ الدرس كله من أوله إلى آخره وأعيده على إخوانى بعد رجوعى بقاله وحاله، وكأنه شريط مسجل.

وقد كان له الفضل علىّ إذ حثّنى على الإقبال على دراستى حتى الإنتهاء منها ثم بعد ذلك يكون الإقبال بالكلية على طريق الله عز وجل، ولما كاشفته برغبتى ومنيتى، دلنى على الأوراد العزمية من الأحزاب والفتوحات الخمسين

---

(٦) وكان أبوه الشيخ محمد مخاريطة من دمياط ومقيم فى بورسعيد، وهو رجل من الصادقين فى صحبة الإمام أبى العزائم وقد رباه أبوه هو وبنيه الآخرين على هذا الحب الصادق مما جعله يترك عمله فى التجارة ويتفرغ للدعوة إلى الله عز وجل، وله لسان بيان يجذب القلوب إلى الله عز وجل، مع الصدق فى الحال والنورانية والشفافية. وإن كانت تدهورت حالته الصحية فى الفترة الأخيرة لكبر سنه، فلم يعد يستطيع القيام بأعباء الدعوة، وهو مقيم الآن فى الإسماعيلية.

في الصلاة على سيدنا رسول الله ﷺ واللطائف البرزخية وغيرها حتى أنه لما وجد نهمى فى ذلك وأن كل ما وظفـــه لى لا يشـــبع رغبتى، قال لى: كل الأوراد مفتوحة لك ومعـك الإذن فيهـا.

ولما كان من شروط السلوك الصحيح الذى يعقبه الفتح عنـد الصوفية أن المريد لا يفعـل ورداً إلا بإذن من شيخه حيث أن الإذن يفتح له باب الإمداد ويجعل روح الشيخ تلاحظه فتحفظه من العقبات الخفية والوساوس النفسانية، فقد فرحت بهـذا الإذن وأقبلت على الأوراد بهمـة لا تكل، غير أن هـذا لم يشف غليـل نفسى، وكان قول الإمام أبى العـزائم:

أبدا إلى هـــذا الجناب حنينى لا صبر لى حتى تراه عيـــونى

يرن فى أذنى دائماً مما حدا بى أن أكشف هـذا الأمر للشيخ محمد شحاتة هنـداوى[7].

فقال لى: الذى يفتح البصيرة هو ذكر الله عز وجل، ولكنه لم يبين لى كيفية هذا الذكر ولا طريقته، فعرضت الأمر على رجل آخر من الدعاة وهو الشيخ قطب زيـد[8].. فأجابنى إجابة فهمت منهـا أنه يريد صرفى عن هذا الأمر، وأن يكون كل همى هو الإقبـال على مجالس الإخوان وتبـادل الزيارات وقراءة الصـلوات فى الجماعة، هـذا ولم يكن يعجبنى المفاهيم التى راجت وسـط جمـوع إخوان آل العزائم فى ذلك الوقت حيث أنهم كانوا يروّجون فيمـا بينهـم أن هذه الأذواق العاليـة والأحـوال الراقيـة والمشـاهد الساميـة قـاصرة على الإمام أبى العـزائم

---

(٧) وهو رجـل من بلدة الخادمية محافظـة كفر الشـيخ، تعرف على الإمام أبى العـزائم فى صباه وقد كان طالب علم بالمعهـد الأزهرى، فترك دراسـته ومشى خلف الإمام أبى العـزائم حتى فتـح الله عليه وصار من كبار الدعاة إلى الله عز وجل وإن كانت تعتريه حدة أحياناً، وقد توفى بكفر الشيخ فى رمضان سنة ١٤١٣هـ ١٩٩٣م عن عمر يناهز التسعين عاماً، رحمه الله رحمة واسـعة.

(٨) وهو رجـل من بلدة القنّ مركز سـيدى سالم محافظة كفر الشيخ، وقد دعا له الإمام أبو العزائم بما دعا به سيدنا رسول الله ﷺ لسيدنا عبد الله بن عباس رضى الله عنهما فى قوله: **«اللهم فقهه فى الدين وعلمه التأويل»** فكان يتجلى على قلبه حقائق صادقة فى معانى الآيات القرآنيـة والأحاديث النبـوية وظـل مجاهـداً فى الله طـوال حيـاته حتى لقى ربه ودفن ببلدته سـنة ١٩٨٣م.

رضى الله عنـــه فقط، أما البـاقين فـيكفـيـهـم أن يحبـــوه ويقبـلوا على الأوراد والمجالس ولا يكلفون أنفسهم هـذا الأمر ويؤيدون دعواهم فى هـذا الأمر بأن هـذه الأشـياء تنـال بفضــل الله فقط وليس للمجاهـدات فيهـا شـأن، وكنت أرد عليـهم بما سـمعتـه منهم من أحوال الإمـام أبى العـزائم وغـيره من الصـالحين ومجاهداتهم الفـادحة فى ذات الله عـز وجـل، وفى أن اصـطفاء الله عـز وجـل لم يتوقف وفضله سبحانه وتعالى واسع وغير محصور ورحمته عز وجل واسعة تسع كل من اهتدى وأناب، وقد قال سبحانه وتعـالى: **﴿الله يصطفى من الملائكة رسـلاً ومن الناس﴾** فكلمة يصطفى بصيغة المضـارع تدل على دوام هـذا الأمر إلى يوم القيامة.

العثور على الرجل الحى

ظللت على هذا الحال فترة من الزمن وأنا مشغول بالرجل الحى الذى يأخذ بيـدى إلى الله وإن كنت تيقنت أنه من بين أفراد آل العـزائم للرؤية التى ذكرتها من قبـل.

وبعـد إنتهاء دراستى فى الجامعـة وحصـولى على درجة الليسـانس من كلية دار العلوم – جامعة القاهرة سنة ١٩٧٠ ميلادية صدر قرار تعيينى بوزارة التربية والتعليم بمحافظة قنا، وذهبت إلى قنا واستلمت العمل بأرمنت مدرساً إعدادياً للغة العربيـة، فتعرفت على ثلة قليـلة لكنهـا مبـاركة تعـرف الإمام أبى العزائم معرفة يقينية، ولما سألتهم عن سبب معرفتهم بالإمام أبى العزائم قالوا: الشيخ محمد على سلامة ولا أنس تلك الليلة المشهودة حيث دعونى لأحضر معهم إحتفالاً بميلاد سيدنا رسول الله ﷺ فى منزل الشيخ عبد اللطيف محمد على التاجر بأرمنت، وبعـد تنـاول العشـاء تجاذبنا أطراف الحديث فأذهلنى ما رأيته منهم من الأحوال العاليـة والأخـلاق والكمالات الساميـة مـع أنهـم كانوا قوماً غـير معـروفين فى هـذا الشـأن سـواء بين إخوانهم من آل العـزائم الظاهرين أو بين ذويهم والمحيطين بهم لأنهم شعارهم قول الإمام أبى العزائم:

إخفوا علومكم صوناً لهـا عمن   مالوا إلى الحظ من زور وبهتـان

فـمنهـم الشيخ أبو العدب[٩] الذى قال لى: عرفتم أبو العزائم بالقول وعرفناه بالعين، وأما الذى كان له الفضـل الأكبر علىّ فى معرفـة شـيخى وإمامى فـهـو الشيخ أحـمد حسن غرباوى[١٠] وهو البـاب الذى دخلت منه على الرجل الحىّ فعندما أصابتنى الدهشة من جمال هذه الأحوال التى كنت أبحث عنهـا، وسألتهم عن سرّ تجملهم بها، فألح إلى فضيلة الشيخ محمد على سلامة، وكان قد انتقل فى ذلك الوقت إلى بلدة ههيا محافظة الشرقية، ولم أكن قد حظيت بمقابلته رغم ذهابى إليها مراراً لشدةُ تكتمه وخفاءه.

وبعد انتهـاء السهرة، ذهبت إلى غرفتى فنمت مأخوذاً بهذه الأحوال فرأيت الشـيخ رضى الله عنه فى المنـام وهو ينظر إلىّ، وأخـذ ينظر إلىّ ويطيل النظر، وكلما نظر إلىّ أحسست بأننى أغيب عن كيانى وأرتفع إلى الملكوت وأشاهد أشياء لا أذكرها الآن، فتعجبت مما رأيت وشاهدت. وهممت أن أسأل عن سرّ ذلك، فسـمعت صـوتاً يجيبنى عما جاس فى خاطـرى قبـل أن أتكلم به ويقـول: لكل أمة نبى وهذا الرجل نبى هذه الأمة. فاستيقظت وقد علمت أنه الرجل الحى الذى يحى به الله القـلوب والذى يقـول فيـه الإمام أبو العـزائم: «الله حىّ قائم ولا يصل إليـه واصل إلا بحى قـائم»، ويقـول فيـه أيضـاً: «نفس مع الحى حيـاة للقلب، ونفس فى حياة القلب خير من حياة الفردوس»، ويقول أيضاً للمشغولين بالعبـادة والظانين أنهـا تغنى فى مقـام الوصـول عن معرفة العبـد الموصـول: «إنما حرموا الوصـول بتضييع الأصـول».

---

(٩) وهو رجل أخذته الجذبة الإلهية عندما وُجه بالأنوار الحقية فى صحبة الشيخ محمد على سلامة وإن كان مع شدة جذبه شديد التمسك بالأوامر الشرعية، وقد توفى ودفن الآن ببلدته حاجر الرزيقات قبلى مركز أرمنت فى ١١ مارس ١٩٨٦م وكان يتميز بالكشف الصريح والمعرفة بما يدور فى الخواطر وإن كان يستر ذلك بظهوره فى حالة الجذب.

(١٠) وهو رجل من خاصة أولياء الله ومن كمّل ورثة أنبياء الله تعرفه بقاع السماء وتجهله بقاع الأرض، يدعو إلى الله بسرّه وحاله، وهو الآن قائم ببلدته الرزيقات قبلى مركز أرمنت يجمع حوله الصادقين، ويوجه بإشاراته المقربين، ويرفع بأحواله العاليـة السالكين.

وأول أصـل من هـذه الأصـول أن يجمعك الله على عبد موصـــول لقــوله تعـــالى: ﴿فاســـألوا أهـــل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾(١١)، ويقول لهم أيضاً:

ألف عـام بغـير باب التهـــامى | هى نَفَسٌ بشرى لأهـل السماح

ويعرفهم فضـل الجلوس مع العـارف الحى فيقول: «نَفَسٌ مع العـارف خيرٌ من عمـل العبـاد والزهاد لسنين طوال».

وشاءت إرادة الله أن أعثر بعد ذلك على الحديث الذى يوضح ما رأيته فى المنام وهو قوله ﷺ: «**الشيخ فى قومه كالنبىِ فى أمته**»(١٢)، فعلمت أنه رضى الله عنه شيخ هؤلاء القوم الذين كنت معهم ومن على شاكلتهم، وهو الباب الذى تفاض منه علوم النبوة وأحوالها لهم، وعلمت أيضاً أن الله عز وجل تفضل علىّ وجعلنى معهم وأسأله سبحانه وتعالى أن يزيد علىّ هذا الفضل ويجعلنى منهم لقول الإمام أبى العزائم رضى الله عنه: «من كان معنا فقه المعنى ومن كان منا نال المنى».

اللهم أنلنا المنى ومتع عيوننا بمشاهدة أنوار نبينا وأسرارنا بشهود محبوبنا ونفخة قدسنا بمعاينة الكمالات الربانية والأنوار الذاتية وصلى الله على سيدنا محمد سرّ الخصوصية وفرد الحضرة الذاتية وكاشف كل الكمالات لأهل النفوس الذكية وآله ورّاث تلك الحضرات النورانية آمين يا رب العالمين.

البداية الصحيحة للسير إلى الله

وكان من فضل الله عز وجل علىّ أن أكرمنى بصحبة أخى الشيخ أحمد حسن غرباوى الذى أخذ بيدى إلى الطريقة الصحيحة لتهذيب النفس وصقلها وتكميلها بالآداب العالية الواجب إتباعها عند الدخول على الشيخ أو مصاحبته، وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم: «على السالك فى طريقنا أن يصطفى له أخاً صادقاً سبقه

---

(١١) سورة النحـل: الآية ٤٣.

(١٢) رواه الديلمى فى مسند الفردوس وأبو نعيم فى الحلية والسيوطى فى الجامع الكبير من حديث أبى رافع.

فى صحبة الشيخ يتأدب بأقواله، ويتهذب بأفعاله، ويأنس بأحواله، حتى يُدخله على حضرة المرشد ويكشف له عن جمالات وكمالات المرشد، لأن المرشد فى ذاته عبد ولا يتحدث عن نفسه».

وكنت وأنا فى غمرة تلك الأحوال أتطور سريعاً فى الأحوال الروحانية وأشعر بشوق شديد إلى لقاء الشيخ رضى الله عنه، إلى أن حانت الفرصة ونزلنا لقضاء إجازة العيد، فذهبت توّا للقاء الشيخ ثانى أيام عيد الفطر المبارك، وكان هذا أول لقاء بينى وبين الشيخ.

واستهلّه رضى الله عنه بعد سؤاله عن الإخوان بأن حكى لى قصة الرجل الذى عزم على زيارة الشيخ أبى الحسن الشاذلى رضى الله عنه، وأثناء سيره إليه وجد عابداً يسكن فى كوخ صغير بالقرب من ساحل البحر، فعرّج عليه ليتعرف عليه وعرف منه أنه يصوم النهار أبداً ويقوم الليل أبداً، ولما سأله العابد عن وجهته؟ عرفَ أنه متجه لزيارة الشيخ أبو الحسن الشاذلى فطلب منه أن يسأل الشيخ أن يدعو له.

فسار الرجل فى طريقه حتى وصل إلى الإسكندرية، ونزل على القطب أبى الحسن فوجد من خيرات الله الحسّية والمعنوية، مالا يحيط به الوصف، وبعد قضاء مدة الضيافة، استأذن الشيخ فى السفر فسأله الشيخ: ألم يكلفك أحد بشىء؟ فحكى له مادار بينه وبين العابد.

فرفع يديه وقال لأصحابه: إنى داع فأمّنوا: اللهم إنزع حب الدنيا من قلبه... فتعجب الرجل!! وسافر راجعاً حتى وصل إلى كوخ العابد، فسأله عن رحلته. فأخبره بها وكتم عنه حياءً منه ما دعا به الشيخ له، لما يراه من عبادته، ولكن العابد ألحّ عليه فى معرفة الدعوة التى دعا بها الشيخ له، فذكرها له. فقال: الحمد لله لقد تعرفت الإجابة وأحسست بها فى نفسى منذ ذلك الوقت. فقال الرجل مندهشاً: وما الدنيا التى عندك؟.

فقال: أنا أصوم النهار، فإذا دنا المغرب ذهبت إلى البحر لأصطاد شيئاً أفطر عليه، فكان الله عز وجل يخرج لى كل يوم سمكة واحدة، كأنها هى بعينها التى أتحصّل عليها كل يوم، ومهما اجتهدت فى الحصول على غيرها لا أستطيع!!.

فكنت كل يوم وأنا ذاهب إلى البحر أتمنى بقلبى أن يرزقنى الله بسمكة أكبر أو بأخرى معها. فلما دعا لى الشيخ لم أعد أجد ذلك الخاطر فى نفسى. فزادت دهشة الرجل من أحوال الصالحين وعزم على زيارة الشيخ أبا الحسن فى السنة التالية.

وعندما ذهب إليه فوجىء بأن الأكل غير ما اعتاده فهو صنف واحد فى كل يوم فى الفطور والغداء والعشاء، فتعجب من ذلك وظن فى نفسه أن الشيخ لا يريد إكرامه. مع أنه كان يأكل معه. وأدرك الشيخ ببصيرته النورانية ما يختلج بصدره فقال:

«نحن قوم نجود بالموجود، ولا نتكلف المفقود».

فكانت هذه الحكمة هى المفتاح الذى فتح قُفل قلبه ووضعه على أول طريق الفلاح، الذى نهايته لقاء الكريم الفتاح.

وقد أثمر هذا اللقاء عندى عدة أشياء منها:

أنى فهمت أنى أنا على شاكلة هذا العابد لشغلى فى ذلك الوقت بالعبادة، لأن المريد الصادق يأخذ كل حديث للشيخ فى الخلوة أو فى الجلوة على أنه هو المقصود به ولا شأن له فى ذلك بغيره.

ومنها أنى علمت أن المريد لا يصح له وضع قدم فى طريق الله عز وجل حتى يخلع الدنيا بالكلية من قلبه.

ومنها أنى أدركت أن دعوة الشيخ وقد كررها أمامى ثلاثاً هى لى. والحمد لله شعرت بالإجابة من وقتها، فصارت الدنيا لا تساوى عندى قليلاً ولا كثيراً بجانب رضا الله عز وجل.

أما الدنيا التى كانت عندى، فهى أنى كنت أعبد الله عز وجل لأنال آمالاً وقصوداً فى نفسى وهى وإن كانت قصوراً راقية لأنها تتعلق بالدار الآخرة والوصول إلى الله عز وجل، إلا أنها لا تليق بآداب أهل الحضرة الذين يعبدون الله عز وجل لا لنوال عطاء ولا خوفاً من جزاء، وإنما لأنه سبحانه أهلاً لهذه العبادة وهذه طريقة العارفين، حيث يرمزون إلى السالكين بما يصحح أحوالهم فى سياق حديثهم حتى ولو كان حديثاً عادياً.

وفى ذلك يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

عنّى إسمعوا ما تعقلون من الكلام ... فالعلم بالرحمن من صافى المدام
والعلم بالله العلىّ غوامض ... لا يُفْقه إلا لصبّ فى إصطلام
خذ ما صفا لك من إشارة عارف ... فالعارفون كلامهم يشفى السقام

وهكذا بدأت السلوك إلى الله عز وجل الحقيقى على القدم الثابت المحمدى فى حظوة هذا الولى، وما دار بيننا سنذكر بعضه فى ثنايا هذا الكتاب تنشيطاً لهمم الأحباب، ورفعاً لعزائم الطلاب وإن كان أغلب ذلك لا يليق أن نذكره لقوله ﷺ: **«المجالس بالأمانات»**(١٣).

وقانون أهل الحضرة فى مجالسهم: نحن قوم نجلس مع الله، فإذا قمنا من المجلس فكأنما لم نجلس كتماناً للسر.

وهذا لأن هذه العلوم والأسرار تحتاج إلى أذواق خاصة فالطريق إليها الحكمة القائلة: «ذق تعرف».

والإشارة إليها فى قول الإمام الغزالى:

فكان ما كان مما لست أذكره ... فظن خيراً ولا تسأل عن الخبر

(١٣) رواه أبو داود عن جابر.

وهى المعنية بقول الإمام أبى العزائم رضى الله عنه:

إحفظـــاً سرى فسرى لا يبـــاح ... من يبح بالسر بعـد العـــلم طاح

علمنـــا فـــوق العقـــول مكانة ... كيف لا وهو الضيا الغيب الصّراح

خصـــنا بالفضــــل فيـــه ربنـــا ... ذاك ســـر غامض كيف يبـــاح

والله أســـأل أن يوفق الجميع إلى الهـدى والصـواب وأن يبين مناهـج الحـق في هـذا الزمان للصادقين من الطـلاب، وصـلى الله على سـيدنا محمد وآله الأنجـاب، وورثتـه الأقطـاب. وكل من تبعهم بخير إلى يوم فصل الخطاب.

الباب الثانى

أطوار حياته الأولى

* قيادة حكيمة وأسرة مستقيمة.
* مولده ونشأته.



سنتحدث فى هـذا البـاب عن بداية الشـيخ الأولى وتشمل ميـلاده ونشـأته فى صـغره بقـدر ما نما إلينـا من معلومات، لأن الشـيخ رضى الله تعـالى عنـه كان لا يتحـدث عن نفسـه إلا لماماً، فى الجلسات الخاصـة، أما المجالس العامة فلم يكن يتحدث عن نفسه فيها مطلقاً، ولكونه كان منذ بدايته مشغولاً بربه كاتماً لأحواله، فكثيراً من أقرب المحيطين به لا يعلمون عنه كثيراً من أخبار هذه الفترة، بل إنه كـان أحيـاناً يكون بداخل المنزل وهم يبـحثـون عنـه ظانين أنه بالخـارج لرغبتـه الشـديدة فى الخلوة عن الخلق والإقبال على الحق حتى أنس بهـذا الحال منـذ صباه وإلى مثله يشير الإمام أبو العزائم فيقول:

الأنس بالله أغنـانى عن النـاس ... والأنس بالله معـــراجى ونبراسى

فـمـا نسـوقه فى هذا المجال إنما هى شذرات سـمـعناها منه رضى الله عنه فى مجالسنا الخاصة معه أو فى سياحاتنا الروحانية فى صحبته رضى الله عنه.

قيادة حكيمة وأسرة مستقيمة

لاشـــك أن البيئـة التى ينشأ فيـهـا الأفراد عليـهـا المعوّل الأول فى تربيتـهم على الفضائل والكمالات وغرس المبادىء الراقية والمثل العالية فى قلوبهم ونفوسهم وفى ذلك يقول القـائل:

وينشـــأ ناشىء الفتيـــان منّـا ... على مـــا كان عـــــوده أباه

فـمـثلاً نجد الشيخ سـهل بن عبد الله التسترى رضى الله عنه يُرْجع سرّ ورعه وزهده إلى أنه تربى فى بيت خاله محـمـد بن سوار فكان يرى خاله يقوم الليـل، فيـقـوم ويقف بجـواره ويصـنـع كـمـا يصنع وعـمـره لا يزيد عن ثلاث سـنوات، فلما رأى خاله حاله قال له: يا سهل قل ثلاث مرات كل ليلة: الله معى، الله ناظر إلىّ، الله شاهد علىّ. فواظب عليـهـا أسبوعاً فـقـال له: يا سـهل كرر ما قلت لك

إحدى عشرة مرة كل ليلة، وبعد مواظبته عليها لمدة سنتين قال له يا سهل من كان الله معه كيف يخشى غيره؟ ومن كان الله ناظر إليه كيف يعصاه؟ ومن كان الله شاهد عليه كيف لا يصلح شأنه؟ إجعل هذه الكلمات وردك فى كل عمرك وحافظ عليها حتى تلقى الله عز وجل، فكانت سر فتوحه وصلاحه ومعرفته، والأمثلة فى هذا كثيرة وكثيرة.

ولذا نجد الشيخ رضى الله عنه كان متأثراً أشد التأثر بأبيه رحمه الله رحمة واسعة، وكان يذكره دائماً ويذكر توجيهاته له وهو فى صباه، فقد كان الشيخ على سلامة من أعيان مدينة ههيا محافظة الشرقية وهو وإن كان لم ينل قسطاً كبيراً من العلم إلا أنه كان شديد الإقبال على دروس العلم والعلماء، فكان مع شدة شغله بالإشراف على زراعة أرضه الواسعة يحرص كل الحرص على أداء الفرائض فى وقتها فى جماعة بالمسجد، ويحرص حرصاً شديداً أن يدفع أولاده على ذلك، وكان من يتخلف لا يكتفى بلومه بل يعاقبه عقاباً شديداً حتى لا يعود إلى تقصيره مرة أخرى، وكان أيضاً شغوفاً بالعلم وأهله، حتى أنه لم يكن يفوته درس واحد من دروس العلم بالمسجد الكبير بههيا القريب من بيته، بالإضافة إلى أنه اشتهر بين قومه بأنه موئل العلماء، فكان يتمسك دائماً بضيافتهم وإكرامهم، سجيّة وفطرة فى نفسه وطبعه وقد اتضحت همته العلية أكثر فى إتصاله برجالات الطرق الصوفية فى عصره، فقد إتصل بالشيخ عبد الوهاب الحصافى شيخ الطريقة الحصافية الشاذلية بعد والده الجليل الشيخ حسنين الحصافى(١).

---

(١) كان للشيخ حسنين الحصافى رضى الله عنه دوراً بارزاً فى إزكاء الروح الدينية والصوفية فى مستهل هذا العصر، فقد جعل من داره فى القاهرة منتدى يجمع صفوة المجتمع فى العلم والأدب بالإضافة إلى راغبى المعرفة وطلاب الحكمة من مختلف الأعمار، ونظراً للمناظرات العلمية والقضايا الدينية التى كانت تدور فى مجلسه بحضور صفوة علماء الأزهر فى ذلك الوقت كالشيخ حسن الطويل والشيخ الساعاتى وغيرهم، فقد أقبل عليه الشباب الذين تغلب عليهم الغيرة الدينية ونهلوا من هذه المجالس ما جعلهم ينشئون نهضة دينية واسعة النطاق، وكان من أبرز هؤلاء الشباب الذين تخرجوا من المدرسة الحصافية الشيخ محمد ماضى أبو العزائم وقد ذكر ذلك فى هامش كتابه «أصول الوصول» وأيضاً الشيخ حسن البنا رائد الإخوان المسلمين وقد كتب عن ذلك فى مذكراته حتى أنه وصف دعوته وهى دعوة الإخوان بأنها صوفية وسلفية.

وهذا يوضح لنا أثر المدارس الصوفية فى تربية الأفراد وإصلاح المجتمعات.

وكان يدعوه لزيارته هو ومحبيه فى منزله بهھيا باستمرار، ولما كان لاستنارة بصيرته غير متعصب فقد كان يحضر مجالس الصوفية الآخرين، وتصادف أن ذهب دعاة من آل العزائم فى ذلك الوقت إلى ههيا وتحدثوا ببعض علومهم فى المسجد الكبير، فسمعهم الشيخ على وأعجب بهم ودعاهم إلى منزله ولازم هو وأولاده جميعاً منذ ذلك الوقت الطريقة العزمية، وإن كان لم يقطع زيارة الشيخ عبد الوهاب الحصافى، بل إنه لما تبرم بعض المريدين الحصافية من ذلك، قال للشيخ أمامهم: أنت شيخنا ونحن على العهد ونحن نحنّ إلى زيارتكم ونريد أن تكون مرتين فى العام بدلاً من مرة واحدة، ونحن نحب جماعة آل العزائم وندعوهم إلى بيتنا حباً لهم وإن كنا على العهد معكم، فهل فى هذا شيء؟ فقال الشيخ: لا.

فزادت المودة وقويت الألفة، وضرب الشيخ على مثلاً فريداً للتصوف الحق الذى لا يتعصب لمذهب أو شيخ وسط هذا الزمن المملوء بالعصبيات والتكتلات نتيجة جهل أغلب الناس بأسس دينهم، ومن هنا وجدنا الشيخ على سلامة يربى أولاده التربية الإيمانية السليمة فهو يحرص على إطعامهم اللقمة الحلال المباركة، ويلين قلوبهم وأجسادهم إلى طاعة الله وذكر الله فيتحرى قيامهم بالفرائض فى أوقاتها، ويتعهد أخلاقهم ويقوم بتهذيبها وصقلها، وكان يجمعهم فى كل ليلة قبل النوم يعظهم ويذكرهم ثم يدعوهم إلى ذكر الله عز وجل، فلا ينامون إلا على ذكر الله، فنشأوا جميعاً رجالاً من الذين قال فيهم الله عز وجل: **﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار﴾**[٢].

(٢) سورة النور: الآية ٣٧.

مولده ونشأته

ولد الشيخ فى هذه الأسرة المباركة بههيا وذلك فى العشرين من نوفمبر سنة ألف وتسعمائة وثمانية وعشرون ميلادية، فتربى منذ نعومة أظفاره على التقى والورع وحفظ القرآن الكريم كله صغيراً، وأتم تجويده بعد ذلك وألم بالقراءات السبع المتواترة، ثم التحق بمعهد الزقازيق الدينى وأتم فيه دراسته الإعدادية والثانوية، وكان لما يراه فى بيته من الأحوال الدينية والأخلاق الربانية أثر كبير فى نفسه، فقد تعلق بالعلم والعلماء تعلقاً بالغاً، وأقبل عليه بنهم شديد حتى أنه كان لا يرى إلا معه كتاب دينى يطالعه أو مع عالم يستوضحه ويناظره أو مشغولاً بعبادة ربه عز وجل. وتعلقت روحه بشدة برجل من صفوة الدعاة إلى الله عز وجل وهو الشيخ عبد السلام الغريب(٣) وهو من صفوة أتباع الإمام أبى العزائم رضى الله عنه فاقتبس منه العلم النافع وتلقى منه الحال الرافع وإن كان لم يمنعه هذا من الإتصال والجلوس والإستماع لغيره من الدعاة والهداة والمرشدين، وفى هذه المرحلة توفى والده رضى الله عنه، ومع أنه ترك له ولأخوته خيراً كثيراً وقام له إخوته بالواجب عليهم خير قيام إلا أنه رضى الله تعالى عنه لشدة عفة نفسه آثر أن يبنى نفسه بنفسه وأن يتولى الإنفاق على نفسه من كده وتعبه، فعندما

---

(٣) وهو رجل صحب الإمام أبى العزائم بصدق، فأفاض الله عليه من علومه الوهبية وخلع عليه من صفاته الربانية ما جعل له قبول وإقبال فى أفئدة الصادقين والصالحين، فكان إذا تحدث فى مجلس أخذ بألباب الحاضرين والسامعين، حتى أنه كان إذا تحدث عن الجنة يشعر السامعون وكأنهم فى الجنة، يشمون عبيرها وينتشون بأريجها فيصيح بعضهم طرباً وسروراً وتنخلع قلوب بعضهم شوقاً وحبوراً، وإذا تحدث عن جهنم يكثر الباكين وترتفع أصوات الخائفين، ويظهر الوجوم على وجه السامعين، وكان له أسلوبه الفريد فى الدعوة إلى الله عز وجل، فمثلاً عندما دعاه آل العزائم ببورسعيد لإحياء ليالى شهر رمضان عندهم ووجدهم قد أعدوا له جدولاً يطوف فيه على مساجد المدينة بحيث يزور كل يوم مسجداً، نظر إليهم بعد الإطلاع عليه وقال: إن الذين بالمساجد هم المهتدون، وإنما نريد أن نرد الهاربين والشاردين، وقد قال الله عز وجل لسيدنا داود: يا داود: من رد إلىّ هارباً كتبته عندى جهبذاً (أى عالماً كبيراً) وطلب منهم أن يصنعوا له جدولاً بأسماء المقاهى الكبرى فى بورسعيد، على أن يذهب معه واحد منهم فقط فيذهب مع رفيقه ويجلسان على منضدة، ويتسامر معه، فإذا بمن حولهم يلتفون بهم حتى يترك اللاعبين للنرد والورق وغيره ألعابهم ويستمعون له، فيصعد على المنضدة ويأخذ ألبابهم بحديثه حتى وقت السحر، فيتوب الله عز وجل على من شاء منهم وهكذا كانت دعوته رضى الله عنه بهذه الحكمة العالية، وكان يرتل القرآن بصوت له تأثير غريب فى نفوس السامعين وظل على هذا الحال حتى لقى ربه راضياً مرضياً. وإليه يرجع الفضل فى معظم البلاد التى انتسبت إلى الطريقة العزمية. وعلى يديه اهتدى خيار رجالها، وتربى كمّل أفرادها.

حصل على الثانوية الأزهرية إلتحق بكلية أصول الدين جامعة الأزهر الشريف، وكانت بجامع الخازندارة بشبرا فى ذلك الوقت وتصادف أن أعلنت وزارة الأوقاف عن مسابقة لتعيين أئمـة بهـا بالثانوية الأزهرية، فتقدم إليها ليمارس منيته ورغبته فى الدعوة إلى الله عز وجل ويكفل نفسـه فى دراسـته التى حولهـا إلى نظام الإنتسـاب، وقد تأثر فى طريقته بتلاوة القرآن بالشيخ محمد سعيد نور الذى كان يقرأ قرآن الجمعة قبل الصلاة بمسجد الخازندارة فكان يبكى طوال قراءته لشدة تأثره بكتاب الله ويبكى السامعين.

البــاب الثالث

منهجه فى الدعوة الإســلامية

* الحـكمة والموعظـة الحســنة .
* القـــدوة الحســنة .
* الحــج إلىٰ بيت الله الحــــرام .
* الصـــدق والإخـــلاص .
* الدعــوة إلى الألفــة ونبــذ العصبية .
* الوفـــــــاء .

الحكمة والموعظة الحسنة

بعد نجاحه فى إختبار الإمامة، عينته وزارة الأوقاف إماماً فى محافظة أسوان سنة ١٩٥٤م، وتم توزيعه هناك إلى مسجد عزبة العسكر أقصى جنوب أسوان، وذهب إلى المسجد، ولم يكن هناك سكن بالمسجد للإمام أو بالقرية للراغب، فتحمل المشقة وكان ينام فى صحن المسجد رغم أنه لم يكن له باب محكم، وجعل كل همه فى إصلاح أحوال أهل تلك البلدة، فقد وجدهم متعلقين أشد التعلق بالخمر ولا يكفون عنها بليل أو بنهار، فأخذ يغشاهم فى مجالسهم ويدعوهم إلى تركها، ويبين لهم آثامها ومضارها فى حكمة وبرحمة ولين، حتى انقادوا له واستجابوا لله وللرسول، وبدأ المسجد يغصّ بهم حتى عجز عن استيعابهم فكانوا يفترشون خارجه وقت الصلاة، كل ذلك وهو لا يتألم ولا يشكو من المعاناة والشدائد التى كان يتعرض لها، فقد كان عندما ينام يفاجأ بقطعان الضباع الجائعة وهى كثيرة فى هذه المنطقة تدخل عليه وتشمه ثم تذهب، وهو راقد على جنبه منشغل بذكر الله عنها، وتسامع الناس بما فعله فى أهل هذه المنطقة، فجاءوا إليه زرافات ووحداناً حتى كان المحافظ يحضر لصلاة الجمعة معه بإستمرار، وبعد أن أدى رسالته وأقلع سكان المكان عن الخمور ورجعوا إلى الله تائبين، إذا بالشيخ الأمير محمد الحفنى مراقب عام الوعظ بالوجه القبلى فى ذلك الوقت يسمع به، وكان محبا للصالحين، فذهب لزيارته، وعندما وصل إلى المسجد وجد عجباً، وجد الشيخ نائماً وحوله دائرة تبعد عنه بمسافة ما من العقارب، فلما رأته ولّت هاربة، وكان الشيخ الأمير يحب المزاح فقال له: إنت عامل حلقة ذكر مع العقارب، وسأله عن حالته فلم يعجبه الوضع، فطلب من مسئولى وزارة الرى أن يسمحوا له بالإقامة فى إستراحة الرى التابعة لهم والموجودة فى ذلك المكان، ولكنهم رفضوا فصعّد الأمر إلى وزارة الرى وتابع الموضوع بنفسه، ولكنه لم يرجع من عندهم بطائل، فما كان منه إلا أن قال له: أريد أن أنقلك بلدتى طفنيس بمركز إسنا، لعل الله ينفع أهلها بك وينفعك بهم،

فتجد راحتك هناك ويجدون منك الخير والهدى والبركة، فهل توافق على ذلك؟ فأجاب بالإيجاب. فكانت المرحلة الثانية فى الدعوة الحكيمة إلى المنهج الإسلامى القــويم.

القــدوة الحســنة

سافر الشيخ إلى إسنا ليتجه منها إلى طفنيس، وكان السفر شاقاً فى ذلك الوقت ووســائل المواصــلات قليــلة جــداً، ولا علم له بطبيعة البــلد الذى يذهب إليــه ولا بسكانه ولا بكيفية الوصول إليه، ولكن عناية الله عز وجل به تحوطه وترعاه.

وإذا العنـاية لاحظتـك عيونهـا   نم فالمخـــاوف كلهن أمـــان

فسأل عن الحافلة المتجهة إلى طفنيس، وركبها وجلس بجوار رجـل لا يعـرفه، وكان من عادته رضى الله عنــه سرعة تآلفــه مع الناس، حتى قال لى أحد الوعاظ عندما سـألته عنه فى البـداية: هــذا الرجل ينطبق عليه حـديث رســول الله ﷺ: **«المؤمن إلف مـألوف»**[1]. فهو يألف ويؤلف. وبعد تجاذب الحديث سأله الشيخ عما يعرفه عن قــرية طفنيس، فإذا به يفــاجأ بأنه عمــدة طفنيس فى ذلك الوقت [العمــدة أبو دياب، رحمة الله عليه] فأخبره برسالته فبشّره وقال له: أنت ضيفى طوال إقامتك فى طفنيس ومنزلى بجوار المسجد، فأخذه معه وأنزله فى الديوان المجاور للمنزل، ويضرب الشيخ المثل الأعلى للدعاة المصلحين فى هذه الفترة التى قضاها فى هــذا البــلد، وهى حــوالى عشر سنوات شعّ فيهــا نوره على كل من حولهــا من قرى ونجــوع، وقد دعاهم إلى الله عز وجل بحاله قبل قاله، وبسلوكه وفعاله وخصاله قبل بيانه وإرشاده، حتى تعلقوا به وأحبوه حباً أكثر من أنفسهم وأولادهم، وكان منهجه فى الدعوة بينهم كما يلى:

---

(١) خرّجه الحاكم عن أبى هريرة.

١ – إئتلف بهم صغيراً وكبيراً بتواضعه الجم وتكرار مجالستهم حتى أحبوه الحب الذى وصفناه، وهذا ليتسنى له توجيههم إلى ما يريده الله عز وجل ورسوله ﷺ منهم.

٢ – أقبل على الله عز وجل إقبالاً كلياً، فكان يحى ليله قائماً يتلو كتاب الله بصوت خاشع، وكان يقرأ فى كل ليلة ربع القرآن، أى أنه كان يختم القرآن فى كل أربع ليالى مرة.

٣– تعرف على ذوى الحاجات منهم وكان يمد لهم يد المساعدة فى طىّ طىّ الخفاء حتى أنه كانت أمه رحمة الله عليها ترسل إليه ثلاثين جنيهاً كل شهر وكانت لهم قيمة كبيرة فى ذلك الزمان على مرتبه وكان ذلك كله ينفقه على ذوى الحاجات.

٤ – تعرف أثناء ذلك على مشاكلهم وأبرزها عادة الأخذ بالثأر والتمسك بزواج الأقارب ورفض زواج الأجنبى عن العائلة وغيرها، وحاول أن يقضى على المشاكل باقتلاعها من جذورها بالحكمة والموعظة الحسنة، وبالتدرج فى تلك الأمور فوصل إلى الغاية المنشودة التى يرجوها فى هذا الصدد.

٥– خفف غلواء التعصب القبلى واستطاع بصدقه وإخلاصه أن ينزع الشحناء والبغضاء وأن يجعل الجميع أخوة متآلفين متحابين.

٦– كان يتقرب ويقرب كل شخص بما يناسبه ليجذبه إلى الله عز وجل ويسلم على الصبيان ويوزع عليهم الحلوى أو النقود تحبيباً لهم فى طريق الله عز وجل ويردّد فى ذلك حديث رسول الله ﷺ القائل: **«إن فى الجنة داراً لمفرح الصبيان»**(٢).

٧– كان يكثر مجالسة الفقراء والمساكين ويعودهم إذا مرضوا ويعزّيهم إذا مات لهم قريب ويهنئهم ويحضر أفراحهم جبراً لكسر قلوبهم، ويرى أن تلك أعظم

(٢) رواه ابن عدى فى الكامل عن عائشة.

عبادة الدعاة فى الإسلام لقول رسول الله ﷺ: **«ما عُبد الله بشيء أفضل من جبر الخاطر»**[٣].

٨- وفى أثناء تلك النهضة الدينية بالبلدة وجد أن المسجد ضاق بالمصلين، فوجههم إلى تجديد بنائه وتوسيعه، فأسرعوا فى ذلك ولم يكتفوا ببناء المسجد بل قاموا ببناء دار بجواره من طابقين وسجلوها باسمه كى يظل بينهم ولا يفارقهم ولكنه رضى الله عنه لزهده وورعه رفض ذلك فى أدب جم وقال لهم: اجعلوها لإمام المسجد وأوقفوها على ذلك، أى تكون لكل إمام يعمل بهذا المسجد.

٩- إستطاع بعد ذلك أن يحثهم على جمع الزكاة وقاموا بتوزيعها على المحتاجين بالطريقة الإسلامية التى كانت متبعة فى عهد الخلفاء الراشدين.

ومن هنا فقد وضح رضى الله عنه في هذه الفترة الكيفية السليمة للدعوة إلى الله عز وجل، وهى أن يكون الداعى أسبق الناس إلى العمل بما يقول وأن يكون صدره رحب يسع الجميع وذو شفقة وعطف على الصغير والكبير وصاحب إحساس رقيق وشعور مرهف يتعرف به بمجرد النظر فى الوجه إلى ما يتخلل فى صدور الجالسين، وكان يرى أن الداعى يجب أن يمكث فى المكان ولا يسارع بالخروج منه إلا بعد أداء مهمته التى قصدها، وإكمال رسالته التى حددها، وذلك تطبيقاً لقول الله عز وجل: **﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾**[٤]. وهذا هو الذى يجعل للداعى والدعوة أثراً باقياً فى المكان الذى يذهب إليه، حتى أنه رضى الله عنه تعلق به الناس جميعاً فكانوا لا يفعلون شيئاً صغيراً أو كبيراً إلا عن رأيه ومشورته، ولا يعقدون أمراً أو يبرمونه إلا بعد سماع مشورته، وإذا حضر فى مجلس امتثلوا جميعاً لإشارته، فعاشوا فى صفاء ووفاء، وخير وهناء يذكر القوم بمجتمع المدينة المنورة فى أيام سيد الأنبياء ﷺ.

---

(٣) رواه السخاوى فى المقاصد الحسنة.

(٤) سورة السجدة: الآية ٢٤.

وما أحوجنا فى هذا العصر إلى دراسة هذه الطريقة الحكيمة فى الدعوة إلى الله بإطالة وإسهاب ليتعلمها شبابنا الدعاة، ويؤسسون عليها دعوتهم إلى الله، إذاً لسعدوا وسعدت بهم المجتمعات، وإليها يرمز قول الرجل الحكيم:

يا أيهـــا الرجـــل المعـــلم غـيره ... هـــلاَ لنفســـك كان ذا التعـــليم
تصف الدواء لذى السقام وذى الضنا ... كيمـا يصـــح به وأنت ســـقيم
إبدأ بنفسِـــك فانههـــا عن غيِّهـــا ... فإذا انتهت عنـــه فأنت حـــكيم
فهنـــاك يســـمَع ما تقـــول ويشتفى ... بالقـــول منـــك وينفـــع التعـــليم
لا تنـــه عن خـــلق وتأتى مثـــله ... عـــار عليـــك إذا فعلت عظـــيم

الحج إلى بيت الله الحرام

ومن شدة حرصه على أداء فرائض الله، وشوقه الشديد لزيارة بيت الله حرص على أن يؤدى فريضة الحج، وكان لشدة تأثره بذلك أثراً كبيراً فيمن حوله، فعزم عدد كبير من أهل طفنيس على أداء الفريضة بصحبته، وكان ذلك عام ١٩٥٨ ميلادية، وكان الحج فى هذا العام فى وقت شديد الحرارة جداً، ولم تكن وسائل تخفيف الحرارة وتهيئة الجو المناسب متوفرة فى ذلك الحين، فمرض كثير من الحجاج ولقى الكثير منهم حتفهم، ويحكى الشيخ شيئاً من هذه الوقائع فيقول:

«رأيت أبواب الجنة مفتوحة للحجيج ويدخل مِنهم إليها، الجمّ الغفير، منهم من أعرفهم ومنهم من لا أعرفهم، ففهمت أن من يموتون فى هذا الحج مآلهم إلى الجنة بغير حساب، وكنت أرى نفراً معى وحولى وأنا قد رأيتهم داخلين إلى الجنة، فأعلم أنهم سيموتون ويحدث ذلك. ولم أكن أستطيع إخبارهم.

ولشدة تأثره بهذه الأحوال مرض مرضاً شديداً غاب فيه عن وعيه لمدة خمس عشرة يوماً حتى ظن بعض رفاقه أنه مات، وأرسلوا إلى طفنيس بذلك، فأقام أهل البلدة عزاءً له وجلسوا يتقبلون العزاء عنه، وإن كان هو رضى الله عنه

قد رأى فى ذلك خيراً، حيث أخبر أنه كان فى تلك الفترة بروحه فى عالم البرزخ، وشاهد حقيقة هذا العالم وما يدور فيه، والذى أشار إليه الله عز وجل فى قوله: **﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾**(٥).

وفى تلك الفترة تزوج بابنة خاله السيدة/ منيرة يوسف أحمد عطوة واصطحبها معه إلى مقر عمله، ورزقه الله منها فى طفنيس إبنته الكبرى هناء وولده حسين، فكانت نعم العون له فى أداء رسالته، وقد كان يكلفها بوعظ النساء لإخراجهن من عاداتهن البالية فى المآتم وغيرها، وأيضاً فى شرح الآداب التى يجب عليهن مراعاتها فى معاملة الزوج وتربية الأولاد وصلة الأرحام وغيرها من الأمور التى من الأفضل للمرأة أن تتلقاها من امرأة مثلها، ستراً لحالها ومنعاً لخجلها. فكان بذلك من أول الدعاة الذين عنوا بتعليم النساء وتثقيفهن الثقافة الدينية الخاصة بهن.

الصدق والإخلاص

وقد كان يرى أن أهم ما يلزم الداعى لتحقيق رسالته صدقه فى دعوته وإخلاصه فى نيته، فإن هذا يجعل القلوب تستجيب له وتتأثر بهديه، وقد ضرب فى هذا أمثلة كثيرة كانت مثار إعجاب العلماء والصالحين، فيحكى الشيخ الأمير أبو حفنى أنهم عندما كانوا يذهبون إلى ندوة فى مكان ما ويكون معهم الشيخ، كانوا يعجبون من حاله مع الناس، فقد كان وهو ذاهب إلى الندوة، لا يجد أحداً فى طريقه يعرفه أو لا يعرفه، صغيراً أو كبيراً إلا ويسوقه أمامه أو يدعوه إليها، وكان موضع عجبهم أن الناس كانوا يستجيبون له على الفور وبدون تراخى، فإذا حاول بعضهم تقليده فى هذا الأمر لم يجد استجابة من أحد، وهذا لشدة صدقه ومحبة الناس العظيمة له، ولم تقف محبة الناس له عند ذلك فقط بل كانوا كلما حدث لواحد منهم ألم فى أى موضع من جسده، يذهب إليه ويطلب منه الرقية، وأيضاً لصدقه وإخلاصه كان تأييد الله عز وجل باستمرار حليفاً له،

---

(٥) سورة المؤمنون : الآية ١٠٠.

فلا يضع راحته على شيء إلا وشفى الألم بإذن الله، ولا يدعو لتحقيق أمر إلا ورأوا سرعة الإجابة من الله عز وجل، حتى أن رجلاً تحير من شدة تعلق الناس به وحرصهم على درسه بعد صلاة الجمعة وكيف أنه يعتذر إليهم المرة تلو المرة عن إكمال درسه لينصرفوا، فلا يتحرك منهم أحد، ويصرّون ويلحون عليه راجين أن يكمل لهم درسه، عكس ما يفعله الناس، فإنهم ينفضون من حول غيره من العلماء بعد صلاة الجمعة مباشرة. فرأى في منامه الشيخ في المسجد وبيده خيوط، وفي نهاية كل خيط سنارة مثبتة في حلق واحد من الجالسين، فعلم أن هذا الأمر من الله عز وجل تصديقاً لقوله سبحانه: **﴿وربطنا على قلوبهم إذ قاموا﴾**(٦).

ومن الأشياء التي شاهدناها بأنفسنا، وشاهدها الحاضرون مراراً جميعاً معنا. ما كان يحدث عند إلقائه الدرس في المسجد الكبير في طفنيس في رحلاته السنوية بعد إنتقاله إلى بلده، فقد كان بمجرد أن يبدأ الدرس تتحرك اللمبة الكهربائية التي فوقه حركة شديدة دائرية حتى ينتهي الدرس فنجدها قد سكتت من تلقاء نفسها.

وهذا ومثله عندنا دليل على تأييد الله لمثل هذا العبد وكأنه يقول عز وجل:هذا عبد صادق فالتزموا به واتبعوه، وهو من الذين أمرتكم بأن تكونوا دائماً معهم في قولي: **﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾**(٧).

وأما إخلاصه فحدّث عنه ولا حرج، فقد كان لا يرجو بحركاته أو سكناته إلا وجه الله عز وجل، ولذا كان يفر من الشهرة وينكر ذاته وينسب ما قام به من العمل لغيره، وشعاره دائماً كان قول الله عز وجل: **﴿إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾**(٨).

---

(٦) سورة الكهف : الآية ١٤.
(٧) سورة التوبة : الآية ١١٩.
(٨) سورة الدهر : الآية ٩.

الدعوة إلى الألفة ونبذ العصبية

وكان أحرص ما يحرص عليه هو جمع شمل المسلمين ونبذ الخلافات والعصبيات من نفوسهم سواء فى ذلك المذاهب الفقهية أو الآراء الدينية أو فى سلوك الطرق الصوفية.

ففى المذاهب الدينية كان يرى أن يلتزم الداعى بالمذهب السائد فى المكان الذى يدعو فيه، حتى لا يثير خلافات لا داعى لها بين الناس خاصة وأن المذاهب الفقهية على كثرتها لا خلاف بينها فى الأصول الثابتة، وإنما الخلاف فى الفروع والتى هى الأمر فيها على السعة وكلها مروية عن سيدنا رسول الله ﷺ.

ولهذا لما ذهب إلى الصعيد، ووجد أهله يتبعون المذهب المالكى، وكان هو شافعى المذهب، أحضر كتب الفقه الخاصة بالمالكية ودرسها حتى استوعبها، ومشى على هديها فى إفتاء الناس فى كل المسائل الشرعية.

وأما فى مجال الدعوة الدينية، فكان من أدبه العالى يرى ألا يزايد الدعاة بعضهم على بعض، بمعنى إذا اشتهر رجل فى مكان والتف الناس حوله، كان يرى أن الواجب ألا ننافسه أو نزاحمه في هذا المكان بل نبحث عن مكان آخر بكر حتى تعم الدعوة أرجاء الكون وأرض الله واسعة ﴿**إن أرضى واسعة**﴾(٩).

وبالنسبة للطرق الصوفية، كان يدعوها للألفة فيما بينها، وينهى عن العصبيات لأشياخها، وفى سبيل ذلك، كان يحضر كل مجالس الصوفية المحيطة به ويحفظ أحزابها وأورادها، وكان لا يسمع عن رجل من الصالحين إلا ذهب إليه وزاره، ولشدة إخلاصه وصفاء قلبه كانت له منزلة خاصة فى نفوس الصالحين، فهاك مثالاً يبين منزلته عند الشيخ أبو الوفا الشرقاوى بنجع حمادى يحكيه الشيخ الأمير فيقول:

« ومن النوادر المستملحة أنّا نزلنا بدار العارف بالله سيدى أبو الوفا الشرقاوى، وكان فى هذه الآونة مريضاً لا يقابله أحد مهما كان وضعه، فما ولجنا

---

(٩) سورة العنكبوت : الآية ٥٦.

الدار إلا وأحد أبناء الشيخ الكبار يدعونا (فوراً) للدخول عليه فى حجرته، فعجبت لهذا وقلت لابن فضيلة الشيخ أبو الوفا: ما هـذا الإجراء الغريب؟ فليس من عادة الشيـخ أن يدخـل عليـه أحـد فى حجرته، بل إذا أراد المقابلة خرج واستـدعى من يريده، فقال هـذا الإبن: وأنا أيضـاً فى عجب من ذلك، فهو أمر خارق للعادة، فتفضلوا بالدخول فدخلنا على فضيلة الشيخ وهو فى حالة إعياء شديد، فطلب منا الدعاء وامتـد بصر فضيلته إلى الشيـخ محمد على سلامة طويلاً، وأمره من بيننا بأن يلقى شيـئاً من العـلم والعظـات، فقلت للشيخ محمـد على سـلامة: لابد من التنفيذ، فانطلق الشيخ محمد على سلامة يتكلم بطلاقة شيقة، وبدت على الشيخ علامات الإبتهاج والإنشراح بحالة أعادت له الحيوية والقوة، وود أن لو طال الشيخ محمد على سلامة فى كلمته.

مع أننى أتيت مرة لزيارة الشيخ وأحببت أن يسمح لى بالمقابلة، فأتى فى هذه اللحظة، الأستاذ أحمد عبده الشرباصى وزير الأشغال إذ ذاك ومعه وكلاء الوزارة ومفتشوها، وطلب الأستاذ الشرباصى المقابلة، وكان الشيخ إذ ذاك قوياً فى صحته، فعـاد أحـد الأبناء أكبرهم، فقال إنه يعتذر عن المقابلة، فألح الأستاذ الشرباصى وألح الشيخ على الرفض، وبعد أن قدّمت إليهم التحية انصرفوا، وبعد إنصرافهم بلحظات خرج الشيخ إلينا فاستمتعنا بلقائه وحديثه.

فانظر كيف يعتذر الشيخ عن مقابلة العظماء وهو صحيح، ويلح فى مقابلتنا وهو مريض.

وقد همست فى أذن الشيخ محمد على سلامة بعد المقابلة وقلت له: الشيخ قد استدعانى معك وأنت المقصود الأول، حيث أمرك أن تلقى كلمة بين يديه صح بعـدها جسمـه، وارتاح لهـا فؤاده، فقـال فى تواضعه المعتـاد: أنتم الآباء ونحن الأبناء» (مقدمة كتاب حكمة الحج وأحكامه ص٩).

وكذا الشيخ أحمد رضوان رضى الله عنه، فقد كان يلح الناس فى الدخول عليه فى كثير من الأحيان فيعتذر إليهم لإنشغاله بالله عز وجل، وما أن يـصل الشيخ إلى ساحته فى ليل أو نهار، إلا ويخرج من خلوته لإستقباله ويستقبله بحفاوة

بالغة ويقـول له: أهـلاً بشـيخي وابن شـيخى. ويقـول لمن حـوله: هـذا الرجل وليّ الله فى الأرض، ويخرج من عنده ويخلو به لساعـات طوال، فإذا حضـرت الصلاة أو الجمعة يشير بأن يتقدم ليصلى بالناس ويعظهم.

والأمر يطول إذا حاولنا أن نحصى كل من قابلهم من رجال الله الصـالحين، ولكن حسـبنا أنه ما ذكر واحـد أمامه رجـلاً من الصالحين إلا وذكر لنا أنه قابله ويحكى قبساً من هذه المقابلة، وهو يرى أن سرّ الخلافات بين الطوائف الصوفية لأنهم يدعون الناس إلى أشياخهم، مع أن أشياخهم كانوا يدعون الخلق إلى الله ورسوله ﷺ، لا لذواتهم فلو فهم المريدون هذا الحال، ودعوا الناس إلى الله عز وجل ورسـوله ﷺ مبـاشـرة على نهج شيـخـهم لما حـدث خـلاف البتـة بين الطوائف والإتجاهات الصوفية، بل كانوا جميعاً إخوة متحابين متآلفين «**يسـعى بذمـتـهم أدناهم على أعلاهم وهم يد على من سواهم**»(١٠).

الوفـــــاء

لم تمنع الدعوة ومشاغلها الشيخ عن دراسته فى كلية أصول الدين رغم بعد المسافة، فحصل على الإجازة العالية فى الدعوة والإرشـاد سنة ١٩٦٠م ورقّى بعدها إلى وظيفـة مفتش، فنقل إلى الأقصر ولقربها من طفنيس وما جاورها لم تنقطع صلته بأهلها وبأحبابه ومريديه، غير أنه رقى بعد ذلك إلى وظيفة مفتش أول سنة ١٩٦٧م، ولما رأى تمسك أهله بعودته إلى بلدته ههيـا، نفّـذ رجاءهم فنقـل إلى محافظـة الشرقيـة واسـتمر بهـا حتى رقّى إلى وظيفـة وكيل مديرية فنقـل إلى محافظة بورسعيد سنة ١٩٧٤م وظل بها حتى رقى إلى درجة مدير عام، وطوال تلك الفترة الطويلة، لم ينس الشيخ الأماكن التى تردد عليها، والأناس الذين تربوا على يديه وتلقـوا منـه، وكـان يردد دائمـاً الحـديث الشـريف الذى يقـول: «**حسن العـهـد من الإيمان**»(١١). ويتلفظ فى كل مـوقف بالأثر الذى يقـول:

---

(١٠) رواه البخارى ومسلم.
(١١) متفق عليـه.

«من صنع معروفاً أبقاه، ومن زرع زرعاً والاه، ومن غرس غرساً سقاه» .. لهذا كان يقضى إجازته السنوية كل عام متنقلاً فى رحاب هذه البلاد وما جاورها، موقظاً للنفوس من سباتها، ومنبهاً لها من غفلاتها، ومحيياً لها من مواتها، فيعيد للناس صحتهم الروحانية وهمتهم الإيمانية، وقد قام الأخ الصادق الحاج مختار حافظ المدير العام بشركة مصر للطيران بتسجيل إحدى هذه الرحلات بقلمه من فىّ الشيخ مباشرة وذلك فى يناير سنة ١٩٨٦م، وقام الشيخ بتنقيحها وتهذيبها، وطبعت فى جزءين كبيرين تحت عنوان «بريد إلى القلوب».

الباب الرابع

دوره فى علاج مشكلات المجتمع

المشكلة الأولى : العمل

المشكلة الثانية : الغش – آثاره وعلاجها

المشكلة الثالثة : المشكلة الإقتصادية
معناها – أسبابها – علاجها

المشكلة الرابعة : إنتشار المخدرات
حكم تعاطى المخدرات – حكم تحريم المخدرات – وسائل القضاء عليها

المشكلة الخامسة : المشكلة السكانية
أسبابها – علاجها

المشكلة السادسة : معاملة غير المسلمين – علاجها

المشكلة السابعة : قيمة الوقت – علاج هذه المشكلة

المشكلة الثامنة : التهاون بالصلاة – علاج هذا المرض

كان رضي الله عنـه يرى أن أهم وظيفة للداعى المسلم هى المسارعة إلى إصلاح أى خلل يحدث فى المجتمع الإسلامى فضلاً عن إصلاح ذات البين، أى معالجة ما يحدث بين المسلمين وبعضهم من نزاع أو خلاف قد يؤدى إلى شقاق أو قتال وبالتالى يترك فى القلوب ضغائن وأحقاد يترفع عنها الفرد المسلم، لأن مجتمع المؤمنين وصفه الله عز وجل بقوله: **﴿ونزعنا ما فى صدورهم من غل إخواناً على سرر متقابلين﴾**(١).

ونلمح الإشارة إلى هذه الوظيفة فى قول رسول الله ﷺ: **«ألا أدلكم على ما هو أفضل من الصلاة والصيام والصدقة؟ قالوا بلى يا رسول الله. قال: إصلاح ذات البين ثم قال: ألا إن إفساد ذات البين هى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين»**(٢).

ولذا نجده رضى الله عنه كان لا يسمع عن مشكلة بين إثنين سواء كان يعرفهم أو لا يعرفهم قريبين منه أو بعيدين عنه إلا ويسارع إليهم ساعياً للتأليف بينهم وإزالة الشحناء والبغضاء من نفوسهم ولا يرتاح إلا إذا تم جمع شملهم.

أما بالنسبة للمجتمع الذى نعيش فيه وقد كثرت مشكلاته واستعصت على الحل، فقد نظر إليها نظرة فاحصة بنور الله الذى أتاه، وشخّص لها الداء ووصف لها الدواء، وكان جلّ اعتماده فى ذلك كما سنرى على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، بحسب فهمهما القريب والبعد عن الإغراب والخلو من الهوى، فعمله كله فى هذا المجال ينضوى تحت قول الله عز وجل: **﴿إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب﴾**(٣).

---

(١) سورة الحجر: الآية ٤٧.

(٢) رواه أحمد وأبو داود والترمذى عن أبى الدرداء.

(٣) سورة هود: الآية ٨٨.

وهو يعتمد أيضاً فى معالجة هذه المشكلات على الوضوح والصراحة والدخول مباشرة إلى المشكلة بلا لف ولا دوران ولا إستطراد وإنما تأسياً بقول رسول الله ﷺ: «**كونوا كالطبيب الرفيق يضع الدواء فى موضع الداء**»(٤). ويا حبذا لو أخذ المسئولون والمسلمون بهذه العلاجات والأشفية فإن فيها سعادة المجتمع وإصلاح أحوال العباد والبلاد سر قول الله عز وجل: ﴿**وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين**﴾(٥).

وسنتناول هذه المشكلات باختصار شديد ومن أراد أن يقرأها بإسهاب فعليه بالكتب التى عالج هذه المشكلات فى غضونها وأهمها: من منابع الدين الحنيف، بريد إلى القلوب، الصوم عبادة ومجاهدة، مصابيح على طريق الإيمان، خواطر إيمانية، حول تنظيم الأسرة والمشكلة السكانية، توجيهات فى بناء الأسرة، حقوق الإنسان فى الإسلام.

المشكلة الأولى : العمـــل

والمقصود بمشكلة العمـل هو التسيب والإستهتار وعدم المبالاة التى انتشرت بين جموع العاملين فى الدولة وأدت إلى تفاقم الأزمة الإقتصادية للدولة، ويصور رضى الله عنه حقيقة هذه الأزمة فيقول: «وما أخر مصالح الناس بل ما ضيعها إلا عدم إلتزام الموظف بوقت عمله، وعلى الموظف تقع تلك التبعة وهذه المسئولية فى الدنيا والآخرة، والموظف غافل عن هذا الجانب تماماً، ويظن أن هذا الوقت هو ملك له، فمرة يأخذ فيه أجازة ومرة يستأذن ومرة يخرج من العمل بدون إذن ومرة يتمارض ومرة يتنصل بأعذار كاذبة وما إلى ذلك ولا يدرى المسكين أنه بذلك يعصى الله ورسوله فضلاً عن مخالفة التعليمات التى وضعتها الدولة بتنظيم العمل وحسن سيره. ياللعجب كأن هذا الموظف ليس من أبناء هذا الوطن الذى فرض عليه الدين أن يقوم بعمارته ويدفع عجلة الحياة فيه مادام يعيش فى أرضه ويستظل

(٤) رواه ابن عساكر عن ابن عباس.
(٥) سورة الإسراء : الآية ٨٣.

بسماءه، فإنه يجب على كل إنسان أن يعلم أن الحياة حق له فى هذا الوطن مادام يدفع له حقه، وأن الحياة حرام عليه فيه مادام يتنكر لهذا الوطن ويغمطه حقه، فقد قال ﷺ: «**حب الوطن من الإيمان**» وحب الوطن هو الإنتماء إليه والعمل على رقيه وازدهاره وإنعاش حركته والمحافظة عليه، كل على قدر عمله، كل على قدر طاقته، كل على قدر إيمانه وكل على قدر مسئوليته فإننا جميعاً مسؤولون ومحاسبون»(٦).

وبعد أن يفيض رضى الله عنه فى أكثر من موضع وفى أكثر من كتاب من كتبه فى الحديث عن جوانب هذه المشكلة يضع التصور الأمثل لحلها وعلاجها ويكون بما يلى:

١ - توضيح العلماء المخلصين للناس نظرة الإسلام للعمل والعمال وما أكثر النصوص الإسلامية التى تبرز ذلك مثل قول الله عز وجل: **﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾**(٧).

ومثل قوله سبحانه: **﴿إنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى﴾**(٨). وقوله عز وجل: **﴿وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾**(٩) ... وغيرها.

٢ - ربط العامل بالله عز وجل ربطاً يجعله يستحضر عظمته عز وجل ويراقبه وحده فى كل شأنه، فيستعين به سبحانه ويعتمد عليه فى كل أموره.

٣ - إبراز قيمة العمل وأهميته.

٤ - تعليم العمال أحكام العمل الإسلامية وآدابه.

٥ - قصر الأعمال فى الدولة على الأعمال المشروعة أى التى تجيزها الشريعة الإسلامية.

٦ - ملاحظة الدقة والإتقان والتجويد فى الأعمال وتشجيع من يقوم بذلك ومحاسبة المقصرين.

---

(٦) من كتاب منابع الدين الحنيف ص٧.
(٧) سورة التوبة: الآية ١٠٠.
(٨) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.
(٩) سورة الحج: الآية ٧٧.

٧- المحافظة على إنضباط العمال فى مواعيد العمل الرسمية.

٨- الإستعانة بالمخلصين والناصحين ليعطونا خبراتهم ومحاسبة من يحتكر الخبرة ولا يعطيها لغيره.

٩- تشجيع الإبتكار والإختراع للعمل على الرقى والتقدم.

١٠- تبسيط الإجراءات وتيسير الخدمات وحسن معاملة الناس وملاطفتهم.

المشكلة الثانيـة

الغــــش :

وهــو أمر انتشر فى مجتمعنا حتى وصــــل إلى أن بعض النـاس أصبح يجاهر به بل ويفخر به ناسياً قول رســول الله ﷺ: **«من غشنا فليس منـا»**(١٠).

وفى مثـل هؤلاء يقول الشيخ رضى الله عنه: «من المعاصى والمخالفـــات التى تقــع من المســلم وهو لا يحس أنهــا مـعـصــيـة أو مـخالفـة بل يرى أنهـا شطارة ومهـارة لجهله بدين الإسلام الذى يؤمن به، أن يحتـال الرجل على أخيـه المسلم ويأخذ منه ماله بدون مقابل أو يغشه فى عمله الذى اتفق معه عليه أو يبيعه سلعة بأكثر من ثمنهـــا أو يأخــذ منـه حاجة من الحاجيـات ولا يردها إليــه أو يغشه فى بضاعته التى يبيعها إياه، ثم هو بعد ذلك يتبجح ويتفضح بأفعاله هذه تفاخراً وتطاولاً على عباد الله بما فعل، وكأن هذه الأفعال الذميمة من المحاسن ومن المحامد التى يتمدح بها هــذا الجهـول الظلوم فإنه يعتبر بذلك من المجاهرين بمعصية الله التى وقع فيها، فبدلاً من أن يتوب إلى الله ويعتذر إلى مَن أساء إليه يتفكه ويتندر بمســاوئه وأفعاله الذميمة، ومثـــل هــــذا الإنســان يحتــاج فى تقويمه وعلاجه

---

(١٠) رواه الطبرانى عن ابن عباس.

إلى الشـــدة والمحاسـبة والمؤاخـذة حتى لا يستشرى فسـاده إلى غيره من العمـال والصـناع والتجار وذلك بعد توجيهه وإسداء النصيحة إليه»(١١).

آثاره الضـــارة :

والذى دفعه إلى الحـديث المسـهب فى أكثر من موضـع من كتبه عن الغش هو الآثار الضارة الكثيرة التى أصابت المجتمع من جرائه، ويركز رضى الله تعالى عنه على إثنين منها هما:

١ – تقدم غير المسلمين وتأخر المسلمين فى الحضارة والرقى حيث أنهم أخذوا من ديننا القيم والمبادىء الفاضلة، وفقدان ثقتهم فى المسلمين، لظهور رذيلة الغش وغيرها فيـهم وفى ذلك يقـول: «وإنما كـان سر تقـدم الأمم الغربيـة وازدهارها أنهـا أخذت من الإسلام كل القيم والمبادىء السامية التى جاء بهـا الإسلام لإسعاد الإنسانية فى حياتها الدنيا من الأمانة والصدق والعدل والوفاء والإخلاص فى العمل والإجادة فيه والإبداع والتجديد والإبتكار، فارتقوا فى معايشهم وفى أسباب الحياة الدنيـا وزخـارفـهـا وعـمـارتهـا، وسـبـقـوا المسلمين أصـحـاب هذه القـيم وتلكم الفضائل»(١٢).

٢ – حرص كثير من الناس على التعامل مع غير المسلمين لثقتهم فيهم ويُرجع ذلك إلى تخاذل المسلمين فى إحيـاء هذه القـيم وفتـور همـتـهم وعـدم مبـالاتهم فيقول: «فنرى غير المسلم يرعى تلك المثل ويحرص على الإعتصام بها فى حين أن أخاه فى الوطن من المسلمين قد لا يعبأ بها ولا يهـتز لهـا، وأخذ الناس يشيعون السوء على المسلمين ويقولون: هل الإسلام دين غير الملتزمين وغير المستقيمين؟ إن معاملة النصارى أحسن من معاملة المسلمين، إن أخلاقهم أفضل من أخـلاق المســلمين، إن سلوكهم أكرم من سلوك المسلمين، إن عطفهم على بعضهم فاق

(١١) من كتاب الصوم عبادة ومجاهدة (بتصرف) ص٢١.
(١٢) من كتاب منابع الدين الحنيف ص١١.

عطف المسلمين، إن تعاونهم مع بعضهم مخلص وأمين... إلى غير ذلك مما هو موجود فى أساليب بعض المسلمين من إنحراف وتميع، وأساليب المسيحيين من جد ونشاط» (من منابع الدين الحنيف ص١١، ١٢).

علاجهـــــا :

والعلاج الأوحد فى نظره رضى الله عنه لهذه المشكلة هو الإيمان. ويقول فى ذلك: «الإيمان طهّر النفس من كل شين ومن كل عيب وزينها بالفضائل الإنسانية الكريمة وجملها بالمعاملات الحسنة، وإن الغش من أخلاق النفس الشيطانية، وإن الإنسان يصاب به إذا مات ضميره وخرب قلبه من الخير، فأخذ يتلاعب بمصالح الناس وبأرزاقهم»(١٣).

وبالإضافة إلى هذا يرى أن يصاحب توضيح هذه المفاهيم الإيمانية ذكر كثير من الأمثلة التى تذخر بها كتب التراث والتى وردت عن السلف الصالح رضى الله عنهم وأرضاهم، ولا داعى للإطالة هنا بذكرها. فمن أرادها التمسها فى مثل هذه الكتب (حياة الصحابة، حلية الأولياء، طبقات الصحابة).

المشكلة الثالثة

المشكلة الإقتصادية :

وهى أساس كل أو معظم المشكلات التى يعانى منها المجتمع الآن، وقد قال الإمام أبو حنيفة رضى الله عنه: «لا تشاور من ليس فى بيته دقيق» وحكم الفقهاء ببطلان حكم القاضى إذا حكم وهو جوعان أو غضبان أو خائف أو وهو حابس لغائطه أو بوله، وذلك لأن المال هو عصب هذه الحياة وهو شقيق الروح وهو مفتاح أبواب النماء والثراء، وقديماً قال الشاعر العربى:

(١٣) من منابع الدين الحنيف ص٩.

بالعلــم والمال يبنى النــاس ملكهم   لا يبنى مُلك على جهــل وإقــلال

وهو بصدد علاج هذه المشكلة يتناولها بالتحليل كما يأتى:

معنــاها :

وعن معنى هذه المشكلة والمقصود به يقول: «والمشكلة الإقتصادية معناها قلة الموارد وكثرة الإستهلاك، أو إزدياد الإنفاق وتناقص الإيراد والدخل، وهذا الوضع يشكل خطورة على الأمة وهى الجوع والفقر والجهل والمرض»[١٤].

أســـبابها :

ويستفيض رضى الله عنه فى ذكر أسبابها حتى أنه لم يترك فى ذلك كلمة لغيره حتى ولو كان من المتخصصين فى هذا الأمر، وسنذكر هذه الأسباب بجملتها رغم كثرتها لشدة الحاجة إلى علاج هذه الأزمة الشديدة فى وقتنا الراهن حيث يقول فيها: «وقد جاءت هذه المشكلة من أسباب عديدة نذكرها فيما يلى:

أولاً : إصابة الناس بأمراض الشح والبخل مما ترتب عليه منع الزكاة ومنع الصدقة ومنع القرض الحسن.

ثانيــاً : حب الذات والأثرة، وهو ما يعبر عنه بالأنانية وقد أدى ذلك إلى عدم إهتمام النــاس ببعضهم وتهـاونهم نحو الصالح العــام قال عليه الصلاة والسلام: «من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم».

ثالثــاً : حب المال وشدة التعلق به والحرص عليه، وقد ترتب على ذلك عدم المجازفة فى إقامة المشاريع والمصانع التى تثرى حياة الأمة.

رابعـــاً : البطالة المقنعة وهى كثرة العاملين بدون عمـل وقد تسبب عنه إستنزاف أموال الدولة بدون عائد.

---

(١٤) من منابع الدين الحنيف ص٤٥.

خامساً : القعود عن الأعمال الخشنة والهروب منها، كالزراعة والنجارة والحدادة والبناء، ونحوها من الأشغال الجافة، وقد ترتب على ذلك إرتفاع الأجور بصورة خيالية بالنسبة لهذه الفئات.

سادساً : عدم مبالاة العامل بالنتائج المترتبة على الأداء لأن العامل كل همه الحصول على أجره فقط ولا تعنيه الجودة ولا حسن الأداء.

سابعاً : عدم الإنتماء إلى الوطن وفقدان الثقة بالقائمين على أمره وقد أدى ذلك إلى إحداث بلبلة فى الأفكار وخاصة بين الشباب.

ثامناً : عدم المقدرة على مواجهة المشاكل، وعدم وضع الحلول السليمة لها.

تاسعاً : تزايد عدد السكان المستمر وتوقفهم عن الإنسياح فى الأرض والضرب فيها مما أدى إلى الإزدحام الشديد فى المدن والعواصم وحول ضفاف النيل.

عاشراً : دعم الدولة للسلع مما يجعل الناس تعيش فى غير الواقع وتطالب بالمزيد من الدعم مع إستغلال الجشعين لهذا الدعم وحرمان المحتاجين منه.

حادى عشر : قيام الدولة بأعمال التجارة وفرض الضرائب المتصاعدة على أعمال الإستيراد والتصدير، مما يؤدى إلى تخوف التجار وتراجعهم عن الإستيراد والتصدير.

ثانى عشر : تدخل الدولة فى تسعيرة الأقوات والملابس والمساكن والأرض الزراعية وغير ذلك مما أدى إلى عدم التراحم بين الناس، وإختلاق لون من ألوان الإبتزاز والخلوات المحرمة شرعاً وقانوناً.

ثالث عشر : عدم تجنيد الجمهور لتعمير الصحراء مع أنه لا يقل أهمية عن تجنيده للدفاع عن الدين والوطن لأن إحياء الأرض الميتة والسعى فى طلب الرزق جهاد فى سبيل الله.

رابع عشر : تهرب أصحاب الأموال من الضرائب بشتى الطرق لإعتقادهم أنها غير شرعية فى حين أن الدولة لو استبدلتها بجمع الزكاة لتسابق الناس عليها لدفعها لإيمانهم بفرضيتها عليهم من قبل الدين.

خامس عشر : التبذير والإسراف فى الأكل والشرب واللبس والزواج والمناسبات وكلنا يعلم أن المبذرين إخوان الشياطين فى تبديد الخيرات وتضييع النعم.

سادس عشر : عدم إقامة حدود الله على المختلسين والمهربين والمرتشين والمفسدين فى الأرض والمعوقين لمصالح الجماهير والمحتكرين لحاجات المجتمع وضرورياته، وقد أدى ذلك إلى التمادى فى هذه الجرائم.

سابع عشر : عدم التعاون المخلص والأمين مع المستثمرين الأجانب الذين يبتغون إقامة المشاريع داخل البلد ويتسبب عن ذلك حرمان الناس من فتح فرص جديدة للعمل.

ثامن عشر : سد باب الإنفتاح الإقتصادى على الخارج ويؤدى ذلك إلى غلاء السلع وتهريبها.

تاسع عشر : تعامل البنوك بالربا فإن ذلك أثر على الإقتصاد القومى بسبب مضاعفات الربا نتيجة الإعسار والتأخير فى السداد.

وهذه هى أهم الأسباب التى خلقت المشاكل الإقتصادية، وأزعجت الأمة بكافة طبقاتها»(١٥).

علاجها :

ويرى رضى الله عنه أن علاج هذه المشكلة يكون باتباع المنهج الإسلامى فى الإقتصاد وذلك يعنى ما يلى:

١ - إتباع النظام الإقتصادى الإسلامى وهو الإقتصاد الحر الذى يعتمد على قانون العرض والطلب مع مراعاة الأخلاق والقيم الإسلامية.

(١٥) من كتاب منابع الدين الحنيف ص ٤٥، ٤٦، ٤٧.

٢- القضاء على الإستغلال بكافة صوره وأشكاله لأن الإستغلال ظلم فاحش لا يقره الدين ولا يقبله أحد على نفسه وذلك بالقضاء على الغش والخيانة والسرقة والإختلاس والسلب والنهب والرشوة وانتهاز الفرص.

٣- تحريم الإحتكار وهو تخزين السلع التى يحتاجها الناس ومنعها منهم عند طلبها من أجل رفع أسعارها وبيعها بأثمان باهظة «وهذا العمل حرمه الإسلام على التجار تحريماً شديداً، وتوعد فاعله بأفظع البلايا فى الدنيا وهو مرض الجزام الذى يتقطع منه لحمه وجلده، وهو من أبشع المصائب التى ينتقم الله بها من المحتكر لأقوات الناس وحاجاتهم وقد قال ﷺ: **«من احتكر على المسلمين طعاماً أربعين يوماً إبتلاه الله بمرض الجزام فلا يبرأ منه أبداً»**(١٦)، وقال ﷺ: **«من إحتكر طعام المسلمين فقد برأت منه ذمة الله ورسوله»**(١٧) ....»(١٨).

٤- حماية الدولة للناس من جشع التجار، فإذا وجدت التجار يتلاعبون بالأسعار، فعليها أن تتدخل وتسعر للمسلمين وتراقب ذلك بدقة وفى ذلك يقول: «إن التاجر كان فى الأمس القريب يرضى باليسير من الكسب ليسد حاجته ويستمر فى تجارته، ولكنه اليوم أصيب بمرض الجشع، فهو يحاول الثراء السريع ويتعجل هذا الثراء بكل الوسائل، لا يبالى فى ذلك بدين ولا قانون إلا من عصم الله من عباده المؤمنين والتجار الصادقين، ولذلك وجب على الدولة أن تحدد الأسعار بدقة وأن تراعى الفقير وصاحب الدخل المحدود لأنهم السواد الأعظم من الشعب، وأن تراقب بعناية فائقة تلاعب التجار بأرزاق الناس حتى نقضى على هذا الفساد الذى أصاب الأمة فى أبنائها»(١٩).

٥- نشر الآداب الإسلامية للتجارة والتعامل فى البيع والشراء.

٦- تحريم وتجريم المعاملات الربوية بكل أشكالها وأنواعها.

---

(١٦) رواه أصحاب السنن عن عمر

(١٧) رواه أحمد والحاكم من حديث ابن عمر.

(١٨) بريد إلى القلوب جـ٢ ص٨٩.

(١٩) بريد إلى القلوب جـ٢ ص٩٤.

٧- تشجيع الإستثمار وتبسيط الإجراءات وتسهيل إصدار التراخيص وغيرها.

٨- إلغــاء ما يعرف بوزارة التموين وتطبيق المبدأ النبوى الكريم **«دعـوا الناس فى غفلاتهم، يرزق الله بعضهم ببعض»**(٢٠).

المشكلة الرابعــة

إنتشار المخدرات :

ويرى الشيخ رضى الله عنه أن السبب فى إنتشار هذه الظاهرة يرجع إلى الحرب الشرسـة التى يشـنها علينا أعـداء الإسـلام فيقول فى ذلك:

«لما لم يستطع الإستعمار والأعداء هزيمة الدولة فى الحروب الساخنة التى شنها العدو ضد الأمة لجأ إلى نوع من الحرب السامة الفتاكة، فأغرى ضعاف النفوس بهذه المخدرات وتلك السموم التى تفقد الشعب كل مقوماته المادية والمعنوية وتنخر كالسوس فى عصب الأمة بل أشد فتقوض أركانها من غير مواجهة فى حرب - بالصـواريخ والطائرات والمدافع والقنابل والآليـات - لا يدرى أحـد مـداها ولا لمن تكون الغلبة والنصر، ولكن الحرب بهذه السـموم مضـمونة العاقبة، إذ أنها تفتك بالأفراد والأموال والإنتاج والأخلاق والدين من غير أن يتأثر العدو بأدنى غرامة تصيبه، ويجب على المجتمع أن يستيقظ ويتنبه لذلك...»(٢١).

حكم تعاطى المخدرات :

ويرى رضى الله عنــه أن المخدرات بكافة أنواعها وعلى إختـلاف جرعاتها قلة أو كثرة حرام قيـاس على تحـريم الخمر الذى ورد فى القـرآن الكريم فى قول الله عــز وجل: **﴿ يا أيهــا الذين آمنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام، رجس من عمــل الشـيطان فاجتنبوه لعلــكم تفلحــون﴾**(٢٢). فـيقـول فى ذلك:

---

(٢٠) رواه مسـلم.

(٢١) من منابع الدين الحنيف ص٧٧.

(٢٢) سـورة المائدة : الآية ٩٠.

«وهـذه المخـدرات هى خمر جافة وإن كانت على هيئـة حبوب أو حقن أو أفيون أو حشيش أو ما تولد منها كالهروين والكوكايين وهـذه المخدرات يحرم تناولهـا بأى كيفية، سواء بالشرب أو بالأكل أو بالشم أو بالحقن أو بالتدخين فإن جميعها خمر لقول رسول الله ﷺ: **«كل مسكر خمر وكل خمر حرام»** [رواه البخارى ومسلم]. وفى حديث آخر رواه الإمام أحمد عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: نهى رسول الله ﷺ عن كل مسكر ومفتِّر. وعلى ذلك فإن المدمن الذى لا يسكر إلا بالكثير من المخدرات إذا تعاطى قدراً يسيراً ولم يتأثر به فإنه أثم لتناوله الخمر ولأن الإنسان العادى إذا تناول أى شىء منه ولو يسيراً تأثر به وأحدث عنده الإسكار أو التفتير، وإن القاعدة الشرعية تقول: ما أسكر كثيره فقليله حرام»(٢٣).

حكمة تحريم المخدرات :

ويرجع حكمة تحـريم المخدرات إلى نفس الحكمة من تحـريم الخمر وتتبلور فى ثلاث نقاط أساسية هى:

١ – أنهـا رجس (والرجس هو الشىء الخبيث النجس الذى تسـتقذره النفس ولا تستسيغه).

٢ – أن تعاطيهـا يضر بالعقل والجسم ضرراً كبيراً، فهـو يغطى على العقل ويفقده السيطرة على تصرفات صاحبه ويجعله يأتى أفعـالاً شيطانية فاسـدة ومفسدة وأعمالاً صبيانية لا عقـل فيها ولا منفعة، وأما أضرارها بالجسم فلأنه يفقده خلايا كثيـرة لا يعوضهـا أبداً كمـا أنهـا تؤثر على الجهـاز الدورى وخاصـة الكبد والبنـكرياس، هـذا بجانب إصابتهـا لمن يتعاطاها فى ماله وفى دينـه وفى خلقـه وفى عمله وإنتاجه وفى كرامته وشرفه وفى أهله وأمته.

٣– تحصـين المؤمن من الوقـوع فى حبـائل الشـيطان ومن المخاطر المهلكة التى تصيب من تعاطاها.

---

(٢٣) من منابع الدين الحنيف ص٧٢، ٧٣.

وسائل القضاء عليها :

ويجمل رضى الله عنه وسائل القضاء على هذه الظاهرة فيما يلى:

١- توعية المواطنين بكافة الوسائل الإعلامية مبينين أضرار تعاطى المخدرات وآثارها على الفرد وعلى أسرته وعلى وطنه وتوضيح أسباب تحريم الإدمان لها وحكمة تحريمها وذلك بالتوجيه السليم.

٢- البحث الجدّى عن المتّجرين فيها والمهربين لها، وتنفيذ حكم الله عز وجل فيهم.

٣- تصفية البيوت التى تقوم على صناعة الخمور تصفية نهائية.

٤- علاج الذين يتعاطون المخدرات فى مصحات خاصة بذلك.

٥- وضع مدة زمنية للمدمنين لعلاجهم ومن لم يسارع لتقديم نفسه للعلاج فى هذه المدة يقام عليه الحد الشرعى، وهو جلده ثمانون جلدة وحبسه مدة علاجه وشفائه.

٦- فتح باب التوبة أمام الذين أصيبوا بهذا الداء وتحبيبهم فى الرجوع إلى الله والإعتذار إليه والندم على ما فرط منهم ومعاونتهم على مجاهدة أنفسهم فى الإقلاع عن هذا الإثم بالصبر والصلاة كما قال الله عز وجل: ﴿ **يا أيها الذين آمنوا إستعينوا بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين** ﴾(٢٤).

المشكلة الخامسة

المشكلة السكانية :

وهى المشكلة التى تعانى منها مصر الآن وأثرت تأثيراً كبيراً على إقتصادها وفجرت مشكلات كثيرة مثل البطالة والتضخم وأزمة الإسكان وزحمة المواصلات وغيرها.

---

(٢٤) سورة البقرة : الآية ٤٥.

أســــبابها :

ويعزو الشيخ رضى الله عنه أسباب هذه المشكلة إلى:

١ – إعتدال المناخ.

٢ – خصوبة السكان.

٣– رفع مستوى المعيشة.

٤ – قلة الوفيات نظراً لازدهار الطب وأساليب العلاج الحديثـة.

علاجهـــــا :

ويقترح رضى الله عنه لعلاجها عدة بنود تتلخص فيما يلى:

١ – تكثيف جهود التوعية فى النواحى الإجتماعية والدينية والثقافية والسياسية لخلق وعى كامل لدى المواطنين بمشاكل الحياة والمجتمع مما يجعله يقوم بتنظيم حياته وأسرته عن إيمان واقتناع حسب الواقع الذى يعيش فيه.

٢ – تطوير الصناعة حتى تشمل جميع نواحى الإنتاج وتوفير المصانع فى القرى والمدن حتى تمتص كل الأيدى العاملة ويرتفع مستوى الإنتاج ليغطى جميع الإحتياجات ويصدر الفائض.

٣– تطوير الزراعة بحيث تكون على أحدث الطرق وأوفرها فى المحاصيل وبأقل تكلفة واستيعاب كل شبر فى الأرض الزراعية والسماح بالتوسع العمرانى فى هذه الأراضى.

٤ – إستصلاح الأراضى البور والمستنقعات والصحراء بحيث تزيد الرقعة الزراعية بمعدل زيادة السكان.

٥ – الكشف والتنقيب المستمر عن كنوز الأرض التى استودعها الله فى جوفها ورفع مستوى الخبرة فى هذا المجال حتى نكتفى ذاتياً، ومكافأة الخبراء أدبياً ومادياً لتشجيع روح البحث.

٦–رفع القيود على الهجرة للبلاد العربية وغيرها وتذليل الصعاب التى تعوقها.

٧– تحسين علاقات الجوار مع الدول المجاورة إلى أبعد الحدود ورفع القيود على التعامل والتجارة مع هذه الدول بحيث تنشط الحركة مع البلاد المجاورة لأنها تعتبر إمتداداً للوطن.

٨– العودة إلى أحكام الإسلام وتعاليمه وتطبيقها لأنها تكفل الأمن والرخاء والتعاون الصادق.

٩– الحد من التوسع فى الكماليات التى تمتص الكثير من الأموال الواجب استغلالها فى دفع عجلة الإنتاج وتطوير الحياة إلى التقدم والإزدهار»(٢٥).

المشكلة السادسة

معاملة غير المسلمين :

وهذه المشكلة قد تفجرت فى العصر الحديث نتيجة الإثارة التى يقوم بها بعض المتطرفين ممن حجبهم الحظ والهوى وأعماهم عن الحق بالإضافة إلى بعض الجهات المغرضة التى تعمل على إثارة المشاكل فى المجتمعات الإسلامية.

علاجها :

وعلاج هذه الظاهرة فى نظر الشيخ رضى الله عنه يكون بتبيين المعاملة الإسلامية لأهل الذمة كما وضحتها الشريعة الإسلامية ويلخصها ﷺ فى الحديث المتفق عليه فى قوله: «**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**» وتوعده ﷺ لمن يخالف هذا النهج فى قوله فى الحديث المجمع على صحته: «**من آذى ذمياً أو خاصمه فأنا حجيجه يوم القيامة**» وذلك بالإضافة إلى الأمثلة الكثيرة لنماذج من معاملة السلف الصالح لأهل الذمة، والتى جعلت الكافر يتمنى أن يعيش فى ظل الإسلام والمسلمين لأن أجداده لم يتذوقوا طعم الحياة السعيدة

(٢٥) باختصار. عن كتاب خواطر إيمانية حول تنظيم الأسرة والشكلة السكانية.

إلا فى رحاب الإسلام الذى سوى فى الحقوق بين جميع الناس لا فرق بين المسلم وغير المسلم، وهذه المعاملة الكريمة هى التى جعلت النصارى واليهود يسارعون إلى الدخول فى الإسلام لما لمسوه فيه من سماحة وعدالة منقطعة النظير، فدخل الناس الإسلام بعد الإقتناع به والإطمئنان إليه وحبهم لقيمه ومبادئه، واستشرافهم إلى مثله العليا وآدابه السامية، وخصوصاً بعد مشاهدتهم لأعمال رجاله الأفذاذ وسلوكيات أئمته الأعلام الذين ملئوا الأرض رحمة وعدلاً بعد أن ملأت قسوة وظلماً.

المشكلة السابعة

قيمة الوقت :

وهذه المشكلة انتشرت فى أغلب الأوساط فى عصرنا هذا، فنجد على المقاهى رواداً من مختلف الأعمار والمهن يجلسون يقتلون الوقت كما يقولون، فإن سئلوا عن هذا أجابوا: فكيف نقضى أوقات فراغنا؟ وكذا من يضيعون أعمارهم فى اللهو واللعب والبطالة والكسل والخمول بحجة أنهم انتهوا من أعمالهم.

علاج هذه المشكلة :

ويرى الشيخ رضى الله عنه أنه ليس لهذه المشكلة علاج إلا فى الإيمان اليقينى بالحساب يوم القيامة وبالثواب أو العقاب فى الدار الآخرة وإزاحة الستار للمرء عن الأمانات التى سيحاسبه الله عليها وفى ذلك يقول: «والأمانات كثيرة جداً والعهود أكثر ومن بين تلك الأمانات أمانة العمر الذى وهبه الله للإنسان، أمانة الوقت، أمانة الزمن»(٢٦).

ويوضح أثر هذه العقيدة على سلوك الإنسان فيقول: «المؤمن أشد الناس حرصاً على حياته لأنه يعلم أن الوقت الذى يفوته لن يرجع إليه ولن يأتى بدلاً عنه فهو ينتهز فرصة هذا الوقت ويؤدى فيه عملاً نافعاً له فى الدنيا أو الآخرة.

(٢٦) مصابيح على طريق الإيمان جـ٢ ص٧٤.

إن المؤمن يبخل بنفس من أنفاسه أن يضيع فى غير منفعة له أو لغيره لأن المؤمن بين أمرين لا ثالث لهما: إما مفيد أو مستفيد وليس له وقت ثالث يضيع فى غير ذلك»(٢٧).

ويضع تحت تصور المسلم المنهج الربانى فى قول الله عز وجل: ﴿**فإذا فرغت فانصب، وإلى ربك فارغب**﴾(٢٨).

ويوضحه فيقول: «والمعنى إذا انتهيت من أعمال الحياة الدنيا من تدبير شئون أمور الدولة والنظر فى مصالح المسلمين وإبلاغهم ما أنزلته عليك وبيانه لهم وكذلك تفرغت من شئونك الخاصة وشئون أهلك وبيتك «فانصب» يعنى إتعب واجتهد وجاهد في الإقبال على الله عز وجل والتملق لحضرته والتقرب إليه ومناجاته راغباً إلى الله محباً لجنابه العلى وارغب إلى الله عز وجل بعد فراغ نفسك ويدك من الأعمال التى تقوم بها لإصلاح أمر هذه الدنيا وازهد فيما يشغلك عنا ويبعدك منا فى أوقات فراغك لأن العمر قصير جداً والمطلوب عظيم جداً، ويجب عليك أن تحصل هذا المطلوب قبل إنتهاء المدة التى تعيشها فى هذه الدنيا، والمطلوب هو رضوان الله الأكبر والفوز بالنعيم المقيم والملك الكبير والسعادة الأبدية»(٢٩).

وبعد أن ينعى رضى الله عنه على الذين يقتلون عمرهم على المقاهى والسهرات وأماكن السمر واللهو يبين لهم قيمة الوقت ويضع لهم برنامجاً لاستثمار أوقاتهم فيما يفيد فيقول: «هل لو جلس صاحب الوقت الفارغ إلى كتاب الله يقرأه ويتدبر معانيه ألا يكون قد كسب وربح ربحاً هائلاً؟ هل لو عكف على أى كتاب يدرسه يزداد به علماً ألا يكون قد أثرى حياته بالعلوم والمعارف؟.

(٢٧) مصابيح على طريق الإيمان جـ٢ ص٧٥.
(٢٨) سورة الإنشراح: الآيتان الأخيرتان.
(٢٩) مصابيح على طريق الإيمان ص٧٧.

هــل لو ذهب لأخ له أو قريب له يساعده فى عمله حتى من غير أجر بل على سـبيل المعاونة والمساعدة، ألا يجد ذلك عنـد الله وعند هـذا الإنسان الذى عاونه فى عمله؟ إلى غيرها من الأمثلة الكثيرة التى يسوقها، وهو الخبير بالنفوس لا يرى بأساً فى سبيل ترويض النفس والترويح عنها من ممارسة بعض المباحات مثـــل التنزه بين الرياض والبســـاتين أو على شــواطىء البحــار أو إســـتمـاع بعض الفكاهات والنكات الأدبية أو المزاح المعتدل أو اللعب البرىء أو سمـاع الأغانى التى لا تثير الغرائز والشهوات ويضع ضابطاً لذلك كله فيقول: «وأن يأخذ من كل ذلك بالقدر الذى يروض معـه النفس حتى لا تستأسد عليه وتتجمد معـه وتتوقف عن السير، ولا يتـخـذ من ذلك ذريعـة لإشبـاع أهواءه وحظوظه وإلا انقلبت الأمـور ضـده وانعكست عليه وهو إنما يريد ترويض نفسه وتليين جفائها وتذليل قيادها»(٣٠).

المشكلة الثامنــة

التهــاون بالصــلاة :

وقد انتشرت هذه الظاهرة فى عصرنا نتيجة إقبال الناس الشـديد على المادة، ويتـذرع أهلهـا بحجة واهيـــة، فيقول أحـدهم أنا لا أحمـــل فى قلبى ضغينة ولا كرهاً لأحـد، ولا أسـعى فى ضرر أحـد، وأساعد النـاس وأفعـل البرّ.

علاج هــذا المرض :

يرى رضى الله عنه أن هذا المرض القلبى أخطر من أمراض الأجسام لأنه يعرض الإنسان لغضب الله ونقمته، والعلاج الناجح فى نظره يلمح إليـه فيقول: «والنجاة من هذه الأمراض المهلكة هو سرعة العرض على طبيب ماهر متخصص فى أمراض القلوب من العارفين بالله عز وجل حتى يعطى العـلاج النافع، والشـافى هـو الله عـز وجـل ومـلازمـة هـذا الطبـيب حـتى يبـرأ المريض من هـذه الأدواء المهلكة والعلل القاتلة»(٣١).

---

(٣٠) مصابيح على طريق الإيمان جـ٢ ص٨١، ٨٢.
(٣١) مصابيح على طريق الإيمان جـ٢ ص٩٠.

ويوضح مهمة الطبيب الروحانى فيبين له أن عليه أن يبين لتارك الصلاة أهمية الصلاة فى ربط المصلى بالله عز وجل وجعله قريباً من الله، دائم الصلة به يعرض عليه سبحانه كل أموره وجميع شئونه ليتفضل سبحانه بالنظر فيها وإصلاحها ومعونته وإمداده بما يحتاجه فى هذه الحياة الدنيا وما بعدها إلى ماشاء الله، وأن عليه أن يبين له نعم الله عز وجل عليه، ويعلمه أن الصلاة شكر متجدد لنعم الله سبحانه التى تتجدد عليه حيناً بعد حين، ويمده الله بها آناً بعد آن، فهى شكر لله على تجددها وعلى المزيد منها، ويناقش الحجة التى يتذرع بها تارك الصلاة فيقول: «وإن الذين يقولون إننا نفعل الخير ونساعد الناس ولا نؤذى أحداً ولا نضمر لأحد سوء ولكننا لا نصلى، هؤلاء قد نسوا أن أكثر الكافرين يعملون مثل عملهم ولكنهم أشقياء محرومين من روح الله ومحبته ومن توفيق الله ونصرته، لأن الدين الذى آمنا به له مبادؤه وقواعده التى يقوم عليها وأهمها الصلاة»(٣٢).

أما الحجة التى يرمون بها بعض المصلين فيدحضها بقوله: «ولا يتعلل هؤلاء بأن بعض المصلين يرتكبون الذنوب والآثام فإن الصلاة تكفر السيئات وستنهاهم يوماً من الأيام عن هذه الآثام فقد شكى نفر إلى رسول الله ﷺ رجلاً يؤدى الصلاة ويحضر الجماعات ولكنه يفعل كذا وكذا من السيئات فقال لهم رسول الله ﷺ: «ستنهاه صلاته يوماً ما»(٣٣).

ويجعل الصلاة هى الدليل العملى والمستند الصحيح لدعوى العبد أنه يحب الله ورسوله والإسلام والمسلمين وقد قال فى ذلك الرجل الحكيم:

تعصى الإله وأنت تزعم حبه ... هذا لعمرى فى القياس شنيع
لو كان حبك صادقاً لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

(٣٢) مصابيح على طريق الإيمان جـ٢ ص٨٦.
(٣٣) مصابيح على طريق الإيمان جـ٢ ص٨٧.

الباب الخامس

هموم العالم الإسلامى
وإصلاح أحواله

* حرب العاشر من رمضان.
* حروب العراق.
* إصلاح أحوال المسلمين.

أولاً : عودة الروح للمجتمع الإسلامى.

* كيف تعود الروح الإسلامية ؟

ثانياً : تطبيق الشريعة الإسلامية.

– حكمة تطبيق الشريعة.

– خطوات تطبيق الأحكام الشرعية.

– أثر تطبيق الشريعة الإسلامية.

ثالثاً : العمل على نشر الإسلام.

– مسئولية الدعوة إلى الله.

– منهج جمعية الدعوة إلى الله.

رابعاً : الرد على المستشرقين.

كان رضى الله عنه يحمل هموم المسلمين كلها على عاتقه فيقرأ الصحف اليومية، وليس له شأن إلا بأخبار المسلمين وأحوالهم، يتلمسها فيها فإذا أزعجته مشكلة، تنظر إليه فتجده شارد الذهن يبدو عليه الوجوم والحزن ويقلّ نومه ويخف طعامه ويكثر دعاءه وتضرعه لله عز وجل، ولا يهدأ له بال حتى يسمع عن حل هذه المشكلة أو إنتهائها، وقد ذكرنى هذا الحال الذى رأيته عليه مراراً بما قاله الإمام الشعرانى رضى الله عنه فى وصف القطب الغوث، ويسميه القطب المتولى فيقول فى شأنه فى كتابه المنن الكبرى: «فإذا أصاب المسلمين أمر عظيم أهالهم تجده لا يأكل ولا ينام ولا يجامع النساء ولا يرتاح له بال ولا. يقر له قرار حتى تأتيه البشرى من الله عز وجل بزوال تلك الغمة وانفراج هذه الأزمة».

حــرب العاشر من رمضــان

ومما لمسناه فى ذلك ما حدث بعد حرب يونيو ١٩٦٧م والتى إنتكس فيها العرب أمام اليهود، فقد كان شارد الذهن دائماً ولا ينام من الليل إلا لماماً وعن غلبة، وعندما يتقلب تجده يستغيث بالله ويتوسل إليه بسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ.

وظل على هذا الحال حتى كان بداية عام ١٩٧٣م فرأى فيما يرى النائم أن سيدنا رسول الله ﷺ فى مسجد بسيناء ولا يدخل عليه أحد إلا بإذن، ويقف على باب المسجد سيدنا الحسين وسيدنا إبراهيم الدسوقى، فلما وصل هو إلى باب المسجد، رأى سيدنا رسول الله ﷺ جالساً فى وسطه وحوله جمع كبير من الأولياء والصالحين، وسمعه وهو يقول لهم: أدخلوه علىّ. فدخل وأخذ يبثه شكواه ويرجوه أن يضرع إلى الله فى رفع هذه المحنة عن المسلمين، فلما انتهى من شكايته وسيدنا رسول الله ﷺ يسمعه وهو ساكت قال له

ﷺ: أبشر فقد أطفئوها يا بنى. قال رضى الله عنه: فأخذت أقفز من شدة الفرح حتى يكاد رأسى يلمس سقف المسجد وأنا أقول: يا بشراى يا بشراى. فسرّى عنه وبشرنا بأن المعركة ستكون هذا العام وأن النصر للمسلمين إن شاء الله.

وعندما حان شهر رمضان، كانت وزارة الأوقاف قد إختارته ضمن بعثتها إلى السودان للقيام بوعظ المسلمين هناك فى هذا الشهر الكريم، فلما وصل إلى هناك التقى بإخوانه من آل العزائم فى الخرطوم وأم درمان، وكان قد مضى عليهم زمن طويل منذ ترك الإمام أبو العزائم السودان لم يزرهم فيه أحد فأحياهم بنورانيته، ورقاهم بلسان حكمته حتى أنهم لما علموا أن البعثة وزعته على الأبيض. حزنوا وسعوا سعياً حثيثاً حتى استبقوه معهم فى الخرطوم، ويحكى الأخ الصادق الشيخ سيف نائب آل العزائم فى السودان فيقول: فى يوم العاشر من رمضان وفى صباحه وجدنا الشيخ على غير عادته مهموماً محزوناً فسألناه عن سر ذلك؟ وألححنا فى السؤال فأخبرنا أن المعركة ستكون اليوم فى الثانية من بعد الظهر، ومنذ ذلك اليوم لم يأكل قليلاً ولا كثيراً رغم صومه، ولم ينم ولو لحات، حتى انتهت أحداث المعركة واشتد همه أكثر وظهر عليه الضيق والتوتر عند حدوث الثغرة، ولم يهدأ له بال حتى وضعت الحرب أوزارها وتحققنا بنصر الله عز وجل لعباده المؤمنين.

حروب العراق

ولما نشبت الحرب بين العراق وإيران تعب تعباً شديداً، وكلما تسامع عن سقوط المسلمين قتلى من الطرفين، إسترجع ودعا الله عز وجل أن يطفىء نار هذه الحرب المشتعلة، وكان يلقى باللوم على حاكم العراق لأنه بدأ بالحرب، ومن أجل شىء بسيط وهو حفنة من التراب يهون بجانبها دم مسلم واحد، لأن حرمة المسلم عظيمة جداً فى دين الله عز وجل يقول فيها ﷺ: **«لزوال الدنيا من أولها إلى آخرها أهون عند الله من إهراق دم مسلم بغير حق»**[1]

(١) رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه عن البراء.

وألقى باللوم أيضاً بعد ذلك على حكام إيران عندما رفضوا وساطات إخوانهم المسلمين لتحقيق السلام.

وقد أنبأنا فى تلك الفترة أن الحرب ستطول لأن الفئتين المتصارعتين باغيتين، وهذه الحرب تأديب لهما، وعلاج لكبريائهما وغرورهما، وإن كان بشّرنا أنهما ستنتهى وسيصطلحان بعد تحقيق مراد الله عز وجل.

ولما دخل حاكم العراق الكويت، ولم يستمع لنصح الناصحين، أخبرنا رضى الله عنه فى منزل الأخ أحمد الغرباوى بمدينة العاشر من رمضان بأنه لابد من المعركة، وسيندحر فيها حاكم العراق، ووصف لنا المعركة من بدايتها إلى نهايتها كرأى العين، حتى أنه أخبرنا بأن (حاكم العراق) سيشعل النار فى البترول ولكن الله عز وجل سيلطف الأمر ويطفىء هذه النار بسرعة عجيبة تدهش العالم كله، وهذا ما حدث.

وهكذا نجده رضى الله عنه يهتم بأمر المسلمين فى كل بقاع الأرض ويكرر لنا دائماً حديث رسول الله ﷺ: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»(٢).

إصلاح أحوال المسلمين

وكان مشغولاً بالحال الذى تردت إليه الأقطار الإسلامية، ولذا وضع تصوراً للبرنامج الذى يجب إتباعه لإصلاح أحوال المسلمين وخلاصهم من كبوتهم، ولحاقهم بركب الحضارة وقيامهم بالدور الذى إختاره الله عز وجل لهم.

والخطوط العريضة لهذا البرنامج الإصلاحى كما يلى:

أولاً : عودة الروح للمجتمع الإسلامى:

فهو يرى أن المسلمين لا تنقصهم الوسائل المطلوبة للنهوض والتقدم وأنهم يملكون الأفراد والأموال والخيرات والثروات اللازمة لقيام أى نهضة، ولكنهم غابت عنهم الروح الإسلامية ويصور هذا الأمر فيقول: «إن روح الإسلام

(٢) رواه البيهقى والطبرانى وأبو نعيم عن أنس.

لم تغب أبداً عن المسلمين ولم تفارق جسد الأمة الإسلامية نفساً من الأنفاس لأن روح الإسلام والمسلمين هى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وهما والحمد لله يملآن سمع الدنيا وبصرها، وإن هيكل المسلمين قد ابتعد عن روحه هذه بالنوم والغفلة والجهالة والنسيان وأصبح هذا الهيكل كالشبح الذى يظهر من بعيد إنساناً حيّاً ولكنه غير ذلك فى الواقع ونفس الأمر»(٣).

وببصيرته النافذة ورؤيته الثاقبة يشخص الأدواء التى أصابت المسلمين بالتأخر والتخلف والتمزق فيجمعها فى قوله: «ونحن إذا رجعنا قليلاً إلى الوراء لوجدنا النقاط التى افترقت حولها وتشعبت مسيرتنا عندها ألا وهى:

١ – تفرق المسلمين وعدم إتحادهم.

٢ – العمل ببعض أحكام الإسلام وهجر البعض الآخر.

٣– كراهية المسلمين وعداوتهم لبعضهم.

٤ – الإستعانة بأعداء الله فى المهمات الصعبة.

٥– حب الدنيا وإيثارها على الآخرة.

٦– الجهل بكثير من قضايا الإسلام.

٧– عدم معرفة المسلمين لعدوهم الحقيقى.

٨– تقاعس المسلمين عن نصرة المظلومين منهم ووقوفهم عند الحدود الجغرافية المصطنعة.

٩– النزاع والجدال حول الأمور الفرعية والجانبية فى الدين ورمى كل فريق منهم صاحبه بالضلال والفسق.

١٠ – إنشغال علماء المسلمين بجمع حطام الدنيا وتركهم لمهمتهم الأصلية التى أمرهم الله بها وهى هداية الناس إلى الصراط المستقيم.

(٣) من منابع الدين الحنيف ص٣٩.

١١ – عــدم إقتنــاع المسئولين لتنفيــذ شريعــة الله وانتظارهم يوماً بعــد يوم حتى تفـوت الفرصة»(٤).

كيف تعـود الروح الإسلامية ؟

ويرى رضى الله تعـالى عنـه: أن القـضـاء على هـذه المشـكلات التى أثارتـها هـذه النقاط لا يكون إلا بما يلى:

١ – يعـود المسلمون إلى الكتاب والسنة ليحيوا حيـاة كريمة طيبة، ويعيشـوا عيشة سـعيدة هنيـة.

٢ – إذا جاهد العلمـاء أنفسـهم وتركـوا الطمع وحب الجاه وأقبلوا على الله ورسـوله وقاموا بتذكـير المسلمين وتبصيرهم، وقامـوا بنصيحـة الحكام وترقيق مشاعرهم نحو الله ورسوله واجتهدوا بإقناعهم فى ضرورة تنفيذ أحكام الله.

٣ – إذا قام الأمراء والحكام بتبنى هذه المبادىء الرفيعة ودرسوا نتائجها وآثارها فى الأمة من جميع النواحى، وأخذوا أنفسهم بها وتركوا المحن والفتن التى تعوق مسـار تطبـيق أحكام الله، كـانت هذه الخطوة أجل وأكـبـر من كل مـا يقـولون ويفعلون.

٤ – كل مسـلم مطالب بتصحيح هـذه النقـاط أو تصحيح ما أمكن منها حتى يكون كل مسـلم قد أبرأ ذمتـه أمام الله ورسـوله وأمام جماعة المسـلمين من المسـاءلة عن ذلك.

إذا فعل المسلمون ذلك تتم عودة المسلمين إلى الروح الإسلامية وهنالك يفرح المؤمنون بنصر الله ويسعدون بفضل الله ورحمـته ولديها يحى كل مسلم بروحه الحقيقية وهى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهدى أئمة المسلمين.

قال الله تعـالى: **﴿من عمـــل صـــالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـاة طيبـة ولنجزينهم أجـرهم بأحسن ما كانوا يعملون﴾**(٥).

(٤) من منابع الدين الحنيف ص ٣٩، ٤٠.
(٥) سورة النحل: الآية ٩٧.

ثانيـــاً : تطبيق الشريعـة الإسـلامية :

ويرى رضى الله تعالى عنه أن المطلب الملح الآن فى كل البلاد الإسلامية والذى يؤدى بدوره إلى إظهار المثل والأخلاق الإيمانية والكمالات الإسلامية للعالم أجمع هو إلغاء العمل بالأحكام الوضعية وتطبيق الشريعة الإسلامية فيقول فى ذلك: «ومن هنا كانت عملية تطبيق الشريعة الإسلامية تحتاج إلى وقفة كبيرة ونظرة ثاقبة من جهة الدولة لأن مهمتها الأساسية كدولة مسلمة هى تطبيق شريعة الله التى أنزلها الله لإصلاح الناس فى الدنيا وإسعادهم فى الآخرة، على أن يشمل هذا التطبيق كل قضية من قضايا الدين والدنيا بدون تفرقة بين ما هو عبادة ومعاملة ولا بين ما هو عقيدة وأخلاق لأن الكل دين الله وشرع الله...»(٦).

حكمة تطبيق الشريعة

وعن الحكمة من وراء تطبيق الشريعة الإسلامية يقول رضى الله عنه: «لقد أنزل الله شريعته وجعلها صالحة لكل زمان ولكل مكان بدون إستثناء، وإن الزمان لم يتغير وإن المكان لم يتغير ولكن الناس هم الذين تغيروا ولم يكونوا على هيئتهم الصحيحة، بل إنعكست معانيهم وانقلبت حقائقهم وتبدلت أوضاعهم فغيّر الله عليهم وأدال الله منهم وسلط عليهم أعدائهم فأخافوهم وأساءوهم وأذلوهم، وسلط الله عليهم الدنيا والشهوات فتنافسوها ولعبت بهم الأهواء إلا من عصم الله، ولكن الله سبحانه وتعالى غفور رحيم وتواب كريم قد وعدنا أننا إذا رجعنا إليه وأنبنا إليه ونفذنا أحكامه وطبقنا شريعته أسرع إلينا بنصره وتأييده وأعزنا ومكّن لنا فى هذه الدنيا، وذلك معنى قوله تعالى: **﴿ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز﴾**(٧). وقوله جل شأنه: **﴿ إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ﴾**(٨)...»(٩).

---

(٦) من منابع الدين الحنيف ص ٣٣، ٣٤.
(٧) سورة الحج : الآية ٤٠.
(٨) سورة الرعد : الآية ١١.
(٩) من منابع الدين الحنيف ص ٣٥.

إمكانية تطبيق الشريعة الإسلامية

ونظـراً للبلبلة التى أثارتهـا فئـة من المنافقين وروجوا لهـا فى وسائل الإعلام وزعموا فيهـا أن العصر والظـروف لا تلائم تطبيق أحـكام الشريعـة الإسـلامية قال رضى الله عنـه رداً عليهم:

«إن تطبيق شريعة الله فى هذه الظروف ممكنة جداً بل واجبة وإننـا كلما تأخرنا فى ذلك أثمنا بمقـدارـ هـذا التأخير، فإن الله قـد جعلها مسـايرة لـكل ظرف من الظروف، ولقد جعل الله فيها متسعاً للضرورات والضائقات التى تصيب الفرد أو الجماعة بحيث لا تتوقف حركة الحياة أمام عقبة من العقبات، ولا تتأخر عجلة التقـدم أمام سـد من السـدود، وقد جعل الله للضرورة أحكام مؤقتـة على قدرها إلى أن تزول وبمجرد زوالهـا يعـود النـاس إلى القواعد الأصلية الثابتـة.

فعلى ذلك فإننا نعتـقـد والحمـد لله أن هذا الظرف الذى تعيـشه الأمة الآن مناسب جداً لإقامة حدود الله وتطبيق شريعته، وخصوصاً قد استيقظ الضمير المسلم فى النفوس أكثر من أى ظـرف مضى وإذا كان بعض الضرورات فالمخرج منهـا موجـود فى شريعة الله، ولن تؤثر على عملية التطبيق فى شيء»(١٠).

خطوات تطبيق الأحكام الشرعية

والأحكام الشرعيـة فى نظره سـتطبق على المخالفين فقط، أما المسلم الصحيح فهو ينقاد لأنوار القرآن فلا يحتاج لسيف السلطان. وقد شُرِّعت الحدود الإسلامية لمثـل هـذا الإنسان الذى لم تطاوعه نفسه للخير إلا بالقـهر والشدة، وعند ذلك تكون الدولة قد صنعت معروفاً بهـذا الإنسان عندما تقوّم إعوجاجه على هـدى من كتـاب الله وسـنة رسـوله ﷺ، فيرجع إلى صـوابه ويعـود إلى رشـاده، وفى ذلك يقـول:

(١٠) من منابع الدين الحنيف ص ٣٦.

«وإن تطبيق الأحكام سيكون على المخالفين والخارجين وما أقلهم، لأن السواد الأعظم من المسلمين قائم بالتطبيق من نفسه إيماناً بالله وخشية من محاسبته وعقابه، فالتطبيق إذاً سيكون على المنحرفين الذين لم تنفع فيهم الموعظة ولم تجد معهم الذكرى»(١١).

وعلى هذا فهو يرى أنه يجب على الدولة المسلمة أن تترك فرصة للخارجين للتوبة والرجوع قبل عقابهم، ولا تعاقبهم إلا إذا ثبتت التهمة عليهم وتوافرت الأدلة على ذلك دون ضغط أو إكراه يضطرهم إلى الإعتراف بأشياء لم يفعلوها تحت وطأة التعذيب والضغط، وفى ذلك يقول:

«فإن الدولة يجب عليها قبل تنفيذ الأحكام على الخارجين أن تمنحهم فرصة ليتوبوا فيها إلى الله عز وجل ويندموا على ما فعلوا، وبعد ذلك تؤاخذهم فإن ذلك هو روح الشريعة الإسلامية لأنها تهدف لإصلاح المجتمع وإسعاده وليس من شأنها أن تعاقب بالظِّنَّة أو تؤاخذ بالشبهة، فقد ورد فى أصول التشريع: «إدرأوا الحدود بالشبهات، ولأن يخطىء الحاكم فى العفو أفضل من أن يخطىء فى العقاب» ...»(١٢).

أثر تطبيق الشريعة الإسلامية

إن تطبيق الشريعة الإسلامية راحة لنفس المؤمن وطمأنينة لقلبه وخلاص له وللناس من ظلم التشريعات الوضعية التى تضيق وتتسع حسب أهواء الناس، وعند تطبيقها تعم المحبة ويسود الرخاء ويسعد الناس سر قول الله تعالى: **﴿ولو أنهم أقاموا التوراة والإنجيل وما أنزل إليهم من ربهم لأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم﴾**(١٣).

---

(١١) من منابع الدين الحنيف ص ٣٦.
(١٢) من منابع الدين الحنيف ص ٣٧.
(١٣) سورة المائدة: الآية ٦٦.

وسر قول الله تعالى: ﴿**ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض**﴾[١٤].

وسر قول الله تعالى: ﴿ **ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب** ﴾[١٥].

وفى هذا المعنى يقول رضى الله تعالى عنه: «وبهذا الأسلوب الحكيم يستقيم الناس وينال المجتمع خيرى الدنيا والآخرة، ويتراحم الناس ويتواصوا بالحق ويتواصوا بالصبر، ولقد نعم الناس فى ظل تطبيق شريعة الله زماناً طويلاً حتى إن أحدهم إذا فقد منه شيء فى مكان ما ورجع إليه بعد عام وجده كما هو، لم يزل فى مكانه ولم تحركه يد أحد من الناس، لأن أحداً منهم لم يكن صاحبه حتى يمد يده إليه.

آداب لم يسمع الناس بمثلها إلا فى دولة الإسلام والمسلمين، ولقد كان كل مسلم يمثل الإسلام من كل جوانبه، وذلك من كمال إتباعه له وصدقه فى تطبيق أحكامه، فلو أحببت أن ترى الإسلام متجسداً لرأيت المسلمين وهم يروحون ويجيئون على ظهر هذه الأرض، فليس الإسلام فى حقيقته شيئاً غير المسلمين المتمسكين به»[١٦].

وصية :

وقد وصّى رضى الله تعالى عنه إخوانه ومحبيه جميعاً بتطبيق الشريعة فى أنفسهم وفى بيوتهم وفى أعمالهم وفى جميع أحوالهم، ولا يمتنعون عن ذلك بحجة أن الناسَ لا تطبقها، فكل إنسان مسئول عن نفسه والحديث الصحيح المتفق عليه يقول: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، فالرجل راع فى بيته وهو مسئول عن رعيته**» ولذا كمثال على ذلك نجده يحثهم على أن يذهبوا للملاك ويتراضوا معهم على الأجر الذى يرضيهم مقابل السكن،

---

(١٤) سورة الأعراف: الآية ٩٦.

(١٥) سورة الطلاق: الآيتان ٢، ٣.

(١٦) منابع الدين الحنيف ص ٣٧، ٣٨.

ويدفعونه لهم عن طيب خاطر بصرف النظر عن الأجر الذى ينص عليه العقد لأن أمر الشريعة فى ذلك مبنى على التراضى بين الطرفين، والإكراه كما فى القانون الحالى يورث الضغائن والأحقاد وهى التى تعمل الشريعة على إزالتها من النفوس.

والحمد لله بدأت الدولة تتحرك فى الإتجاه الصحيح نحو تطبيق الشريعة، فقانون الأرض الزراعية قد صدر مطابقاً لأحكام الشريعة ووافق عليه مجلس الشعب بعد عرضه على الأزهر الشريف، وجارى الآن إعداد قانون الإسكان على حسب الشريعة الإسلامية، ونسأل الله عز وجل توفيق المسئولين لإخراج جميع الأحكام مطابقة لشريعة الإسلام.

ثالثاً : العمل على نشر الإسلام :

وفى نظره رضى الله تعالى عنه أن عزة المسلمين تتحقق بتطبيق شريعة الله أولاً ثم العمل على نشر دعوته وتبليغ رسالته ثانياً تطبيقاً لقول الله عز وجل: **﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وأولئك هم المفلحون ﴾**(١٧).

ويرى أن سر خيريّة هذه الأمة وتفضيلها على ما سواها من الأمم إنما يرجع إلى هذا الأمر، ويتضح ذلك فى قول الله عز وجل: **﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾**(١٨).

ولذلك حث الأمة الإسلامية جميعها على القيام بهذا الواجب، ووضح ذلك فى كتابه «كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله؟».

---

(١٧) سورة آل عمران : الآية ١٠٤.
(١٨) سورة آل عمران : الآية ١١٠.

دعوة النـــاس إلى الله

والناس الذين يقوم المسلمون بدعوتهم إلى الله فى نظره ثلاثة أصـناف:

١ – أهل الكتب السماوية السابقة من اليهود والنصارى.

ودعوتهم تكون بالدعوة إلى الأمور الأساسـية والأصلية التى اتفقت عليها جميع الكتب السماوية وهى إفراد الله بالعبادة دون غيره ثم دعوتهم إلى تنزيه الإله الحق عن الإبن والولد وعن الصاحبة والزوجة. وغير ذلك مما نسبوه إلى الله زوراً وبهتاناً «لأن الكتابين المنزلين عليهما لا يختلفان مع القرآن الكريم في شيء من أصول الدين من توحيد الله وإفراده بالعبادة والمساواة بين الناس لأن القرآن الكريم من عند الله وهما من عند الله أيضاً، وهذين الكتابين قد بشّرا بالقرآن وبسيدنا محمد ﷺ، وهما أقرب الكتب السماوية عهداً بالقرآن الكريم وبسيدنا محمد ﷺ»[١٩].

ويجمع هذا كله قول الله عز وجل: **﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله، فإن تولوا فقولوا إشهدوا بأنا مسلمون﴾**[٢٠].

٢ – المشركون الذين أشركوا مع الله إلهاً غيره، ودعوة هؤلاء تكون بمخاطبة عقولهم وإقامة البراهين العقلية والحجج المنطقية على إفراد الله عز وجل بالوحدانية، كما يتضح فى قوله سبحانه: **﴿ لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فسبحان الله رب العرش عما يصفون ﴾**[٢١].

٣ – الكافرون الذين جحدوا وجود الله وأنكروه ولم يعترفوا به سواء منهم الدهريون الذين لا يعترفون بالدار الآخرة ويقولون: «ما يهلكنا إلا الدهر» أم الطبيعيون الذين لا يعترفون بالخالق أم غيرهم من الطوائف الجاحدة لوجود الله، وهؤلاء واجههم القرآن بالحجج الناصعة والأدلة الساطعة ويجمعها دليل الإيجاد

---

(١٩) من كتاب كيف يدعوا الإسلام إلى الله ص ١٠.

(٢٠) سورة آل عمران: الآية ٦٤.

(٢١) سورة الأنبياء: الآية ٢٢.

وهو الخلق من العدم لجميع الكائنات ودليل الإمداد وهو الرعاية والحرص والمعونة لجميع المخلوقات.

وفى ذلك يقول الله عز وجل: ﴿ **سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق، أولم يكف بربك أنه على كل شىء شهيد** ﴾(٢٢).

أسلوب الدعوة إلى الله عز وجل

ويرى رضى الله عنه أن خير أسلوب يتبعه الداعى إلى الله عز وجل هو:

١ – أسلوب القرآن الكريم، وهو وإن كان مفصلاً فى ثناياه إلا أنه يجمعه قول الله عز وجل: ﴿ **إدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن** ﴾(٢٣).

٢ – أسلوب النبى ﷺ، وله صلوات الله وسلامه عليه أساليب متنوعة فى الدعوة إلى الله، فمرة يرسل الرسل برسائل إلى جهات شتى، وأخرى يرسل علماء الصحابة وفقهائهم إلى الجهات النائية فى الجزيرة العربية وغيرها ليبشّروا بدين الله بين من أرسلهم رسول الله إليهم، ويجمع هذا النهج القويم قوله ﷺ: «**أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم**»(٢٤).

٣ – أسلوب الأئمة والهداة المرشدين فى الدعوة إلى الله عز وجل، وفيهم يقول رضى الله عنه:

«قد حصّلوا العلم النافع واستوصوا خيراً بالعمل الرافع وتخلقوا بكريم الأخلاق وجميل الصفات وحملوا نور الإسلام فى مشاعرهم ومداركهم، ونزلوا به للبلاد النائية البعيدة من بلاد غير المسلمين على هيئة تجار وصناع وسواح وعمال يجوبون الأقطار والشعوب ويندمجون فى وسط المجتمعات

---

(٢٢) سورة فصلت: الآية ٥٣.
(٢٣) سورة النحل: الآية ١٩٥.
(٢٤) رواه الديلمى عن ابن عباس.

التى نزلوا إليها ويبلغونهم دعوة الله بأسلوب جذاب وبحكمة عالية وبرقة ولطف نادرين وبعزيمة تهد الجبال وإرادة تهتز لها الأرض والسموات، وبذلك كانوا أمثلة عالية ونماذج راقية للإسلام الذى يدعو الناس إليه، فآمن على أيديهم خلق كثير وأمم وشعوب بأسرها لإقتناع الناس بهم وحب الناس لهم، مما جعل قلوبهم تتفتح وصدورهم تنشرح للدخول فى دين الله أفواجاً»(٢٥).

ويصف شيئاً من الجهاد الذى قاموا به إبتغاء وجه الله فيقول: «وكان هؤلاء الأئمة رضى الله عنهم يستعذبون العذاب، ويتلذذون بالهوان فى سبيل هداية الخلق إلى الله وإخراجهم من الظلمات إلى النور ولذلك كانت أصواتهم تسرى فى القلوب مسرى النسيم العليل البليل فتحييها من العدم وتخرجها من ظلام الشرك والجحود إلى نور التوحيد والإسلام عملاً بتوجيهات رسول الله ﷺ: **«ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب»**(٢٦).

وقوله ﷺ: « **لأن يهدى الله على يديك رجلاً خير لك مما طلعت عليه الشمس أو غربت** »(٢٧).

وقوله عز وجل: ﴿ **ومَن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين** ﴾(٢٨) ...»(٢٩).

وبعد أن يفيض رضى الله تعالى عنه فى ذكر جماعة من هؤلاء الأئمة العظام كأمثلة فيذكر الإمام محمد عبده والإمام جمال الدين الأفغانى والإمام محمد ماضى أبو العزائم والإمام عبد الرشيد إبراهيم، ويوضح نماذج من أساليبهم المدهشة التى يدخلون بها على قلوب الناس يذكر الفرق بين دعوة المسلمين ودعوة غير المسلمين فيقول:

(٢٥) كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله ص ٣٧.
(٢٦) متفق عليه.
(٢٧) رواه ابن حبان عن أبى رافع.
(٢٨) سورة فصلت: الآية ٣٣.
(٢٩) من كتاب كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله ص ٣٨.

« إن الدعوة الحقيقية إلى الله هى دعوة غير المسلمين إلى دين الإسلام بالكيفيات والأساليب التى سبقت الإشارة إليها، أما علماؤنا الأجلاء وأئمتنا الذين يقومون فى المجتمعات الإسلامية فإنهم مرشدون ومذكرون ومعلمون للمسلمين ما خفى عليهم من أمور الدين وما يحتاجون إليه من التشريعات والإفتاء لأن المسلمين قد استجابوا لدعوة الله ورسوله وآمنوا وأسلموا ولكن يحتاجون إلى واعظ ومذكر ومرشد يبين لهم حقائق الإسلام ومعانيه حتى يكونوا دائماً على ذكر من دينهم وعلى معرفة بقضايا إسلامهم.

﴿ **وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين** ﴾(٣٠) ....»(٣١).

مسئولية الدعوة إلى الله

يرى رضى الله عنه أن الدعوة إلى الله عز وجل مسئولية كل مسلم تشبعت روحه بالإسلام وأحسّ بجمال هذا الدين فأراد أن ينقله إلى غيره وفى ذلك يقول:

« وإن أمر الإسلام لا ينهض فى وقتنا هذا إلا إذا قام رجال من رجالاته يحملون أعباء الدعوة إلى الله على رؤوسهم وفى قلوبهم وألسنتهم وأخلاقهم وانساحوا بها فى الآفاق يدعون الناس بأسلوب مثل هذا الأسلوب الذى مر بنا فإن آخر هذه الأمة لن يصلح إلا بما صلح به أولها»(٣٢).

ولكنه يلقى بالمسئولية الكبرى على الأجهزة الآتية:

١ - الأزهر الشريف والهيئات الدينية :

ويرى أن عليهم توجيه الدعاة إلى خارج البلاد الإسلامية وتزويدهم بما يحتاجونه من العلوم والمعارف التى تعينهم على أداء مهمتهم فى البلاد التى يتوجهون إليها على أن يكفلون أهليهم وذويهم، وكذا يقومون بإرسال الكتب والخطابات إلى جميع أمم أهل الأرض غير المسلمة متمثلة فى رؤسائها وملوكها

---

(٣٠) سورة الذاريات : الآية ٥٥.

(٣١) من كتاب كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله ص ٣٨، ٣٩.

(٣٢) من كتاب كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله ص ٣٧.

ووزراءها وأمراءها وكبار المسئولين عنها، وكذلك إلى رجال الأديان فى هذه الدول.

٢ – وسائل الإعلام :

وعليها دور كبير لأنها تقوم بتوصيل المعلومات والمفاهيم بطرق شتى كالراديو والتليفزيون والصحف اليومية والمجلات ويلخص الدور الذى يجب عليها فى الآتى:

أولاً : عدم إذاعة وعرض وكتابة أى شىء يخالف أحكام الإسلام وآدابه الشريفة.

ثانياً : عدم إذاعة أو نشر أى شىء يكون فيه ترويج ونشر للأديان الباطلة بين المسلمين.

ثالثاً : توجيه مبادىء الدين الحنيف بصورة واضحة ومبسطة باللغات الحية لجميع شعوب العالم. على أن تغطى جميع القيم الإسلامية والعلوم الإيمانية.

٣– الهيئات السياحية الإسلامية :

ويرى أن الواجب على هذه الهيئات أن تقوم بإمداد السياح الذين تتعامل معهم بفكرة واضحة عن الإسلام تشمل آدابه وأخلاقه ووساطته فى عقيدته ويسره وسماحته ويجب أن تقدم إليهم كتاباً بسيطاً يتضمن هذه المعانى.

٤ – الحكومات الإسلامية :

وعليها الدور الأعظم بما تملك من إمكانيات وطاقات ويحدد أهم النقاط التى يجب عليها أن تقوم بها لإعادة مجد الإسلام وعظمته وإبلاغ رسالة الله الخاتمة ودين الله الحق إلى جميع العالمين فيما يلى:

أولاً : إقامة حدود الله وتطبيق أحكام الشريعة الإسلامية الغراء فى جميع مجالات الحياة وجميع المرافق والمصالح والأنظمة والهيئات التى تتألف منها الدولة.

ثانياً : العمل الجاد والمستمر من أجل توحيد كلمة المسلمين وجمع شملهم ونبذ الخلافات والخصومات والمنازعات من بينهم.

ثالثاً : تدعيم الشعوب الإسلامية الفقيرة وسد حاجاتها حتى لا تقع فى حبائل الدول الكافرة المتسلطة.

رابعاً : إقامة المشروعات الزراعية والصناعية الضخمة بالفائض من أموال الدول الإسلامية الغنية لتسد العجز الإقتصادى والصناعى والزراعى فى الدول الإسلامية الفقيرة.

خامساً : إزاحة السدود والحواجز المصطنعة بين الدول الإسلامية حتى يندمج المسلمون فى بعضهم ويتواصوا بالخير والبر والرحمة.

سادساً : عقد المؤتمرات واللقاءات الدينية الكبرى التى تتدارس شئون المسلمين الدينية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية على ضوء من تعاليم الإسلام الحنيف ويتخذون القرارات اللازمة فى هذا الصدد لتنفيذها على الصعيد الإسلامى الدولى.

جمعية الدعوة إلى الله

وإزاء تمزق المسلمين وتفرقهم وتكاسلهم عن الدعوة إلى الله عز وجل قام رضى الله تعالى عنه يعاونه ثلة من الرجال الصادقين بتأسيس جمعية الدعوة إلى الله للقيام بهذا الغرض النبيل وذلك فى عام ١٩٨٥ بالقاهرة وأشهرت برقم ٣٢٥٣ فى سجلات وزارة الشئون الإجتماعية بمصر. وقد وضع رضى الله تعالى عنه لهذه الجمعية منهجاً شاملا لكل ما يجب أن تكون عليه الجمعيات والهيئات الإسلامية ولأهميته كبرنامج يجب أن تحتذى حذوه الهيئات الإسلامية فى عصرنا رأينا أن يكتب هذا المنهج بجملته.

منهج جمعية الدعوة إلى الله

أولاً : بيان أقوال سيدنا رسول الله ﷺ وأعماله وأخلاقه.

ثانياً : بيان هدى أصحابه رضى الله عنهم.

ثالثاً : توضيح مذاهب أئمة المسلمين.

رابعاً : عدم التعصب لمذهب دون الآخر لاعتقادنا أن كل الأئمة رضى الله عنهم مجتهدون ولكل منهم سنده من كتاب الله وسنة رسوله وهدى أصحاب رسول الله ﷺ.

خامساً : التركيز على تزكية النفوس وتطهير القلوب من الأمراض المعنوية التى تؤثر على المؤمن وتحجبه عن الترقى إلى الدرجات الرفيعة.

سادساً : التركيز على المعانى الروحية التى ترقق المشاعر وترهف الإحساس.

سابعاً : اللقاءات المستمرة بين الدعاة وبين الإخوان رضى الله عنهم من جهة، وبينهم وبين عامة المسلمين من جهة أخرى حتى تنتشر هذه المعانى بين المسلمين.

ثامناً : أخذ الدعاة أنفسهم بعزائم الأمور لأنهم قدوة للإخوان وللمسلمين.

تاسعاً : تجمل الدعاة بمكارم الأخلاق العالية من الرحمة والحلم والشجاعة والصبر والجود والسخاء، ولو مع غير المسلمين لأنهم أبدال رسل الله وأنبياءه فى دعوة الخلق إلى الله، فالدعوة أعمال وأقوال وأخلاق وأحوال واعتقاد.

عاشراً : الإقتداء بأئمة الهدى والرشاد، وخاصة بالإمام أبى العزائم رضى الله عنه حيث أنه الوارث الكامل لسيدنا رسول الله ﷺ فى هذا العصر.

حادى عشر : أخذ الحكمة والمعرفة والعلم من جميع الكتب الإسلامية الجديد منها والقديم وبخاصة كتب الإمام أبى العزائم رضى الله عنه لاشتمالها على شتى العلوم الإسلامية وخاصة الروحانية ولمسايرتها لروح العصر.

ثاني عشـر : إعتقاد أن كل مسلم على جانب كبير من الخيروإن كان عاصياً لأنه يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر ويحرم رميه بالكفر أو الضلال أو الفسق.

ثالث عشر : اليقين بأنك أقل واحد فى المسلمين وإنّ أصغر مسلم خير منك عند الله ورسوله وأحق منك بكل فضيلة وبر ومعروف.

رابع عشر : إتهام النفس دائماً بالقصور والتقصير وإن عظّمها الناس وآثروها على أنفسهم بخيرى الدنيا والآخرة.

خامس عشر : الإقرار بالضعف والعجز عن القيام الكامل بما يحبه الله ويرضاه من أمور الدين والدنيا ولو رفع الله قدرك إلى ما فوق الثريا، فإن ذلك فضل الله عليك، ونظرات سيدنا رسول الله ﷺ إليك.

سادس عشر : تحسس نقاط النقص فى النفس والمجاهدة الدائمة لمعالجتها ولو كان ذلك على يد أصغر مسلم من المسلمين.

سابع عشر : النظر إلى أهل المجاهدة والمنافسة من كُمّل المؤمنين حتى نحذو حذوهم وننهج على طريقهم.

ثامن عشر : الأخذ بأيدى أهل الكسل والغفلة واللهو من المسلمين حتى تحثهم على طاعة الله ورسوله.

تاسع عشر : محاولة انتشال الغرقى فى المعاصى والذنوب إلى شاطىء التوبة والنجاة.

عشرون : دعوة غير المسلمين إلى الإسلام على اختلاف أجناسهم ولغاتهم ودياناتهم.

واحد وعشرون : الإبتعاد عن مس مشاعر الذين تدعوهم إلى الإسلام أو تنقذهم من المعاصى أو تنشلهم إلى طاعة الله حتى يلينوا جميعاً إليك، ولا يجدون فى أنفسهم غضاضة عليك.

ثاني وعشرون : حب الخير لجميع عباد الله كل على قدر حالتـه ودينـه.
ثالث وعشرون : مسـالمة النـاس وسـد أبواب النزاع والجـدال بالمرة.
رابع وعشرون : إحترام الآراء التى تخالف رأيك فى الدين.
خامس وعشرون : عدم إثارة الأمـور التى اختلف فيهـا علماء المسـلمين.
سـادس وعـشـرون : الإبتعـاد عن ذكر مسالب ومسـاوىء أى مسلم كائن من كان فإن ذلك يحبط ثواب الأعمال الصالحة ويحملك من أوزاره.
سـابع وعـشـرون : الحرص على تحصـيل العلم النافع ومنافسـة العلمـاء والمتعلمين فى ذلك.
ثامن وعـشـرون : مـوالاة العـارفين بالله والتقـرب إليهم بالنفس والنفيس حتى تنتظم فى عقدهم.
تاسع وعـشـرون : حب آل بيت رسول الله ﷺ وصحابته والترضى عنهم جميعاً عند ذكرهم.
ثـلاثـون : السكوت عن ذكر الخلافات التى وقعت بينهم تأليفاً لقلوب المسلمين وخشية من الوقوع فى تجريح أصحاب رسـول الله ﷺ.
واحد وثلاثون : الإحسان إلى المسىء والعفو عنه ومساعدة المحسن والدعاء له.
ثـانى وثـلاثـون : الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باللين والرحمة والحلم والتأليف بين قلوب المسلمين.
ثـالـث وثـلاثـون : الإصلاح بين المتخاصمين والتواصى بالعدل والصبر والمرحمة.
رابـع وثلاثون : مساعدة المحتاجين والعطف على البائسين.
خامس وثلاثون : عيادة المرضى ومواساتهم.
سادس وثلاثون : إغاثة المنكوبين وتقديم ما يلزمهم على قدر الإستطاعة.
سابع وثلاثون : إسداء النصيحة وتقديم الشورى للطالبين.

ثامن وثلاثون : ترشيد الإنفاق والحد من الإستهلاك والمحافظة على نعم الله والتوسط فى كل أمر من الأمور.

تاسع وثلاثون : الحب فى الله والبغض فى الله والقيام بجميع الأعمال من أجل الله ورسوله حتى تكون عبادة لله عز وجل وقربة إلى الله ورسوله.

أربعون : المسارعة إلى البر والقربات والأعمال الصالحة مهما كانت التضحيات وذلك بعد أداء الفرائض على الوجه الصحيح.

واحد وأربعون : مجاهدة النفس فى ترك المعاصى والذنوب بالمرة.

إثنين وأربعون : التوبة والندم بمجرد الوقوع فى الذنوب حتى لا يأثم بتأخير التوبة منه.

الثالث وأربعون : التفكر فى آلاء الله ومصنوعاته وآياته فى الموت وفى الدار الآخرة.

أربع وأربعون : المجاهدة المستمرة من أجل إعلاء كلمة الله والإستمساك بدين الله ولو مع الزوجة والأولاد والأقارب.

خامس وأربعون : الإعتبار والاتعاظ بأى مشهد قرآنى أو كونى.

سادس وأربعون : الذكر المتواصل الذى يخرج المؤمن من سجن الغفلة.

سابع وأربعون : الصلاة على النبى ﷺ.

ثامن وأربعون : الغيرة لله ولرسوله عند انتهاك حرمات الله أو التفريط فى أوامر الله ولو بعدم الرضى واستنكار القلب لذلك.

تاسع وأربعون : قراءة القرآن وتدبر معانيه.

خمسون : حفظ حديث رسول الله ﷺ والتعلق به.

إحدى وخمسون : تأليف الكتب الدينية وإعدادها وطبعها ونشرها بين المسلمين.

الثانى والخمسون : إنشاء المساجد وعمارتها ورعاية القائمين عليها.

هذا ولاتزال هذه الجمعية بعد انتقاله رضى الله تعالى عنه تقوم بالدور الذى رسمه لها على وفق المنهج الذى بينه لها ويقوم بهذا الأمر نخبة من الرجال الأكفاء الذين تربّوا على يديه رضى الله عنه، رباهم على الصدق والإخلاص والعمل إبتغاء وجه الله عز وجل. وقد قاموا بتوسيع مجال العمل بهذه الجمعية وتعميمها وسجلوها فى إطار عام جديد وهو (الجمعية العامة للدعوة إلى الله) والمسجلة تحت رقم ٢٢٤ فى ١٩٩٢/٣/٢٥ بوزارة الشئون الإجتماعية ومقرها الرئيسى ٧٤ شارع ١٠٥ بالمعادى، القاهرة. ولها فروع فى معظم المحافظات.

رابعاً : الرد على المستشرقين :

وينوه رضى الله تعالى عنه على الأهمية الكبرى لما تقوم به أجهزة الإعلام الغربية وخلفها جيش كبير من المستشرقين حيث يعملون جميعاً على تشويه صورة الإسلام بكافة السبل والإساءة إلى نبى الإسلام وإلى القرآن الكريم وإلى مبادىء الإسلام الخالدة، مما يجعل الذين يقرأون لهؤلاء القوم وغالبيتهم من الأجانب يحجمون عن الإسلام، فيطالب الهيئات الإسلامية العلمية المختلفة وخاصة الأزهر الشريف والجامعات الإسلامية بدراسة ما كتبه هؤلاء القوم والرد عليهم بالحجج العقلية والبراهين المنطقية لأن الحجة لا تقرع إلا بالحجة، ويعالج فى كتاباته كثيراً من هذه القضايا نشير إلى واحدة منها كمثال على ذلك وهى:

قضية إنتشار الإسلام بالسيف :

حجج المستشرقين

يسوق حججهم وأدلتهم فيقول: «كثير من المستشرقين إن لم يكن كلهم يتهمون الإسلام بأنه انتشر بالقوة والقهر، ويدللون على ذلك بآيات من القرآن الكريم مثل قول الله تعالى: **﴿قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر**

ولا يحـــرمـــون مـــا حـــرم الله ورســـوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الـكتاب ﴾(٣٣)

وقـول الله تعـالى: **﴿ يا أيهـا الذين آمنـوا قـاتلوا الذين يلونكم من الكفـار وليجـدوا فيـكم غلظة ﴾**(٣٤).

ويستدلون كذلك على فريتهم بأوامر الرسول وخلفائه لقادة الجيوش الإسلامية عند لقاء الأعداء بدعوتهم إلى الإسلام أولاً، فإن أبوا فيطلبون منهم دفع الجزية ثمناً لحماية المسلمين لهم وتركهم وشأنهم، فإن أبوا قاتلوهم، وليس لهـذا معنى إلا حمل الناس على الإسلام بالقوة وذلك مخالف لمبدأ حرية الإعتقاد»(٣٥).

الـــرد عليهـــم

وفى رده على هذه الفرية يسوق رضى الله عنه الأدلة ويرد عليها واحداً واحداً. ففى الدليل الأول يقول: «إن آيات القـرآن التى شرعت القتـال مرتبطة ببعضـها وإنها قد كملت بعضها، وتأسس بعضها على بعض، فالآية الشريفـة التى ذكروها وهى قـول الله تعـــالى: **﴿ قاتلوا الذين لا يؤمنـــون بالله ولا باليـــوم الآخـــر ولا يحـــرمـــون مـــا حـــرم الله ورســـوله ولا يدينون دين الحـق من الذين أوتوا الـكتاب ﴾** يكملها قول الله تعـالى:

﴿ وقـاتلوا فى ســبيل الله الذين يقـاتلونكم ولا تعـتـدوا إن الله لا يحب المعتـدين ﴾(٣٦).

فهم أخـذوا ما يوافقهم من آيات القتـال وتركوا ما يظهر نواياهم وخبثهـم، وإن كان التطبيق العملى لأحـكام القتال فى القرآن من رسول الله ﷺ هو الحجة الواضـحة فى الرد عليهم، فإنه ﷺ لما هاجر للمدينـة المنـورة ووجد بهـا اليهود،

(٣٣) سـورة التـوبة : الآية ٢٩.
(٣٤) سـورة التـوبة : الآية ١٢٣.
(٣٥) من كتاب قطرات من بحار المعرفة ص ٦٦، ٦٧.
(٣٦) سـورة البقرة : الآية ١٩٠.

ترك لهم حريتهم الدينية والمالية والإجتماعية، وكتب بينهم وبينه عهداً إحترم فيه مشاعرهم ومعابدهم ومرافقهم وجميع حقوقهم واشترط عليهم فيه ألا يؤذوا المسلمين ولا يألبوا عليهم أعدائهم ولا ينقضوا عهدهم وأن يشتركوا مع المسلمين فى رد الإعتداء على المدينة إذا هاجمها عدو، ولكن اليهود سرعان ما ارتدوا على أعقابهم ونقضوا عهودهم وقلبوا للمسلمين ظهر المجن، وعادوهم وآذوهم أشد الإيذاء فاضطر الرسول والمسلمون لمحاربتهم وقتالهم، ولولا نقضهم للعهد وانضمامهم لجيوش الأعداء ما حاربهم»(٣٧).

وفى الدليل الثانى الذى استشهد به المستشرقون وهو قوله تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين ﴾** يرد عليهم بأن أكبر دليل على بطلان حجتهم هو آخر هذه الآية «لأن معنى المتقين فى هذه الآية الذين يتقون الله فى عباد الله فلا يعتدون عليهم ولا يظلمونهم ولا يروّعونهم. اللهم إلا إذا بدأوا بالعدوان والشر فإنه يجب على المسلمين أن يلقنونهم درساً لن ينسوه أبداً حتى يحترموا جوار المسلمين وحرمتهم»(٣٨). هذا مع أن الإذن للمسلمين فى القتال حدده الله بأنه لدفع الظلم عنهم ورد الإعتداء عليهم سواء فى الدين أو المال أو العرض أو النفس وذلك فى قول الله عز وجل: **﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وأن الله على نصرهم لقدير﴾**(٣٩).

وبالإضافة إلى ذلك فإن الجميع يعلم كثرة وصاية الإسلام فى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالجار فكيف يأمر بقتاله وحربه من غير سبب.

أما رده على الدليل الثالث وهو زعمهم أن خلفاء الإسلام وقواده كانوا يرغمون الناس على اعتناقه بالإرهاب والقوة فيرد عليهم «أن المسلمين لم يتجهوا لحرب هؤلاء الأعداء من تلقاء أنفسهم، وإنما كان ذلك لأسباب موجبة لهذا

(٣٧) قطرات من بحار المعرفة ص ٧٠، ٧١ بتصرف.
(٣٨) قطرات من بحار المعرفة ص ٧٢.
(٣٩) سورة الحج : الآية ٣٩.

القتـال وهى إما لأنهم إعتدوا على المسلمين وقد توجه المسلمون إليهم ليؤدبوهم ويردوا إعتبـارهم، وإما لأنهم يصدون أقوامـهم عن دين الله الحق منتـهكين حرية الإنســان وكـرامـتـه، وإمـا لأنهم يمنعـون المسلمين من دعـوة النـاس لدين الله وعرض الإســلام عليهم، وإما لغير ذلك من الأمور التى تفرض على المسلمين هـذه الحرب من الوجهة الشرعية والإنسانية والتى تجعل المسلمين لا مناص لهم عن خوض هـذه الحرب»(٤٠).

هـذا بالإضافـة إلى أن الإسـلام لم يأذن لأهله بمفـاجـأة عـدوهم بالحـرب، ولذلك يدعونهم كما سبق، أما الكافرون الذين لم يكن هناك أى داع لقتالهم، فإن الإسـلام يمنـع أهله من مبادأتهم بالحرب، كل ما هنالك أن يدعونهم فقط إلى الأسلام بالحكمة والموعظـة الحسـنة، ويتركوا لهم حرية التفـكير والإختيـار **﴿فمن شـاء فليؤمن ومن شـاء فليكفر﴾**(٤١).

وقال الله تعـالى: **﴿ لا إكراه فى الدين قـد تبين الرشـد من الغى ﴾**(٤٢).

ولذلك دخل من دخل فى الإسلام حباً لعدالته وسماحته ورحمتـه ومسـاواته بين الجميع ولو أن الإسـلام قام بالسيف كما يزعم هـؤلاء المستشرقون ما بقى كـافـر على وجـه الأرض لأن المسلمين وصلوا فى وقت مـا لدرجـة من العـز والسـلطان والقـوة جعلتـهم يتـحـكمـون فى معظم الشـعـوب من هـذه الدنيـا، وكان يعيش فى ظـله فى ذلك الوقت اليهـــود والمســيحيون والذين لا دين لهم وكان الجميع يتمتعون بالأمن والحرية والسعادة الوارفة التى كان يتغنى بهـا الزمان والأجيـال.

« وسيظل الناس فى شقاء هذه الحروب حتى تعود الدولة للمسلمين فيخلصوا النـــاس من شــرورها، ويرحـمــوهم من ويلاتهـا، إذ أن المسـلمـون يعـاملون الله فى خلقــه، ويرضــونه جـل جلاله فى عبـاده، ويخـشــون الله ربهم، ويخـافـون

(٤٠) قطرات من بحار المعرفة ص ٧٤.
(٤١) سـورة الكهف : الآية ٢٩.
(٤٢) سـورة البقرة : الآية ٢٥٦.

ســـوء الحســـاب، وهـــذا بخلاف دول الـكفـر والصليب اليـوم الذين تجـردوا من كل هـــذه المعـانى والمبـادىء التى يعـيش من أجلهـا المسلمـون قـال الله تعـالى: ﴿ **وقـل للذين لا يؤمنـون اعمـــلوا على مكانتـكم إنا عامـلون، وانتظـروا إنا منتظرون** ﴾[٤٣] ....»[٤٤].

خامساً: العمل على جمع شمل الجماعات الإسلامية المتصارعة ولأهمية هذا الموضوع وحساسيته وخطورته على مستقبل العمل الإسلامى فسنفرد له باباً خاصاً به فيما يلى.

---

(٤٣) سـورة هـود: الآيتان ١٢١، ١٢٢.
(٤٤) من كتاب قطرات من بحار المعرفة ص ٧٥، ٧٦.

الباب السادس

فقه الخلاف
فى الصحوة الإسلامية المعاصرة

* ظاهرة الخلاف .
* أسباب الخلاف .

أولاً : شروط الإجتهاد .
موقف الناس من الإجتهاد .
ضرورته وآدابه .

ثانياً : التوحيد فى القرآن والسنة .
التوحيد .
شبهات حول عقيدة التوحيد .

ثالثاً : حول السنة والبدعة .

رابعاً : تغيير المنكر .

ظهرت فى الآونة الأخيرة صحوة إسلامية مباركة بين الشباب المسلم فى كل أنحاء العالم وهى ظاهرة طيبة تبشر بخير؛ وإن كان شابها كثير من الأمور التى جعلتها تخرج عن غايتها السامية وأهدافها النبيلة، وذلك أن كثيراً من روادها شغلوا الناس بأمور فرعية أو هامشية وجعلوها هى الدين وليتهم وقفوا عند ذلك، وإنما الأدهى والأمر أنهم يلزمون الناس بأفكارهم وآرائهم، ومن يخالفهم يتهمونه تارة بالكفر، وتارة بالمروق وغيرها من التهم التى لا يليق بمسلم أن يلصقها بأى مسلم حتى ولو كان مرتكباً للكبائر فلا يخرج الإنسان من الدين إلا بما دخل به وهو الشهادة بالوحدانية لله، وبالرسالة لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وهذا ما جعل كثير من المفكرين الإسلاميين المعاصرين يتعرض لهذه الظاهرة بالشرح والتحليل فهذا مثلاً الدكتور عبد الحليم عويس يقول: «ومن أنكر النكر فى الفكر الإسلامى الحديث أن إبادة شعب مسلم بأكمله، وأن تكبيل شعب مسلم وحرمانه من حقوقه فى ممارسة دينه وحريته، بل والتنكيل به شر تنكيل، قد لا تشغل من فكر بعض الناس، وحتى بعض العاملين للإسلام قدر ما يبذلون من جهد وطاقة فى المحافظة على أشياء ربما يكون ترتيبها فى قائمة الإيمان، بعد (الحياء الذى هو شعبة من الإيمان) بعشرين درجة!.

إن شعوباً إسلامية تجلد كلها، وتجرى عملية إبادتها وتصفيتها على مشهد ومرأى من الناس جميعاً !.

وإن الحرية مختنقة بالنسبة لمعظم المسلمين، والشورى مفقودة تقريباً.

وإن الأقليات الإسلامية تخضع لبرنامج إبادة دولية!.

إن معظم هذه القضايا لا تحتل من اهتمام بعض المسلمين المكانة الجديرة بها، بينما تصدت قضايا أخرى (ثانوية) أو على الأقل (فى درجة متأخرة) عن هذه القضايا... بحيث اختلطت الأمور إختلاطاً شديداً، وأصبح المسلمون لا يعرفون

الفــرق بين الواجب العـينى والكفـائى، ولا بين المـــكروه والمبـاح، ولا الفــرق بين القـضايا المصيرية، والقـضايا الثانوية، تماماً مثلما قيل عن أهل بيزنطة الذين سقطت مدينتهم وهم مشـغولون بالجـدال حول الأصــل فى الدجاجة، الكتكوت أم البـيضـة! ومثلمـا سقطت أثينا من قبل وهى مشـغولة بالقـضايا التى طرحـها السوفسطائيون، وشلوا بها (العقل الإغريقى) عن الحركة مع الحقائق فى الإتجاه الصــحيح»[1].

وبعد أن يسوق الكاتب نماذج للقضايا التى يجب أن تتصدر العمل الإسلامى كقضية حقوق الإنسان المسلم والشورى، والفقر والجوع لدى الشعوب الإسلامية، وضرورة التكافل الإجتماعى بين المسـلمين، والإقتصـــاد الإســـلامى، وتخلف المســلمين فى العلوم الطبيعية والرياضية، والأقليات الإسلامية، والغزو الفكرى وغيرها ونماذج أخرى للقضايا الهامشية كرفع الصوت أو عدم رفعه فى كلمة (آمين) فى الصــلاة وإسدال الثوب أو رفعـه عن الأرض، وتكفير طوائف كثيرة من الأمــة وتعليم المـرأة جائز أم لا، والأغانى حـلال أم حرام، واللحية ومكانتـها فى الســلوك الإســلامى ينتهى إلى بيان رأيه فى هـذه المشـكلة برمتهـا فيقول: «إنه لمن الضرورى – فى هـذا المقام ـ أن أقول: إن من حق كل مسلم (بلغ درجة الإجتهـاد) أن يطبق على نفسـه ما يؤديه إليـه إجتهـاده، وإن من الأهمية بمكان أن يعى كل مسلم مجتهد أن إجتهاده لا يجعله فيما وصل إليه أفضل من غيره، فـقـد يكون غيـره أفضل منه فى جوانب أخرى، والمسلم – أى مسلم – يقـاس بمحصلته الأخيرة، وبالفائدة النهائية التى تعود من جهوده واجتهاداته على المجتمع الإسلامى، داخلياً وخارجياً.. ثم بمدى تطابق حركته فى مجملها – مع البنـاء الإسلامى الكامل المتوازن المنسجم ذلك هو المقيـاس الثـابت – أما غـير ذلك، فـهو من الإنحراف والهوى الممـثلين فى الجزئية، والإسقـاطات المذهبية، وفرض

---

(١) من كتاب (الإسلام كما ينبغى أن نؤمن به) ص ٢٧، ٢٨.

النزعة الشخصية، وما يتبع ذلك من عوامل الإنحراف وإتباع الشهوات والميل العظيم...»(٢).

وهذا الشيخ محمد الغزالى يحذر من خطورة هذا الأمر فيقول: «الصحوة الإسلامية المعاصرة مهددة من أعداء كثيرين، والغريب أن أخطر خصومها نوع من الفكر الدينى يلبس ثوب السلفية، وهو أبعد الناس عن السلف إنها إدعاء السلفية وليست السلفية الصحيحة.

إن حب السلف دين وكرههم نفاق! إنهم دعائم حضارتنا، ومعالم رسالتنا، من أجل ذلك يجب أن نحسن التأسى بهم، وأن نرفع عنهم كل ما يؤذى سمعتهم»(٣).

ويناقش الشيخ الغزالى قضية من هذه القضايا التى يثيروها فيقولون: نحن نرفض التقليد المذهبى، ونعلم الناس الأخذ المباشر من الكتاب والسنة!.

ويرد عليهم قائلاً: «لا يأبى مسلم الإرتباط بكتاب ربه وسنة نبيه وتصوركم أن الفقه المذهبى يستقى من نبع آخر غير الكتاب والسنة غير صحيح.

والفقهاء الأربعة الكبار، نماذج رفيعة لاحترام الكتاب والسنة، ولا يلام مسلم تبع واحداً منهم، كما لا تلامون أنتم فى اتباع الشوكانى أو الألبانى أو الصنعانى»(٤).

ويوضح سر الخلاف ومنبعه وكيف ينشأ فيقول: «إنكم ترون رأيكم – الذى تابعتم فيه أحد الناس – هو الحق وحده، ثم تشنون هجوماً على من خالفه بوصفه خارجاً على السنة كأن السنة وقف عليكم أنتم لا غير!.

أحب أن تعلموا أن الإجتهاد الفقهى خطأه وصوابه مأجور، وأن الأمر لا يتحمل عداوة وفرقة! ولو سلمنا أن ما لديكم هو الصواب، فمخالفكم

(٢) الإسلام كما ينبغى أن نؤمن به، د. عبد الحليم عويس ص ٣٢.
(٣) سر تأخر العرب والمسلمين للشيخ محمد الغزالى ص ٥٢.
(٤) نفس المرجع ص ٥٣.

ما حُـرم ثواب الله! فلمـاذا تريدون إحراجه، وإخراجه من دائرة السـلف، لتبـقى حـكراً عليـكم؟.

الرأى عنـدى أن المأسـاة (خُلقيـة)، لا علميـة، وأولى بكم أن تتـواضعوا لله، وتصلحوا نيتكم معه، وتتطامنوا لإخوانكم المؤمنين، وتحسنوا الظن بهم.

إذا اقتنعتم برأى فمن حق غيركم أن يقتنع بغيره، ولا مكان لحرب ولا ضرب، والخـلاف الفقهى لا حرج مـنه، أما الأثم ففى التعصب المذهبى الضيق!.

والعـالم الإسـلامى رحب، والمذهب الذى يضـيق به قطر يتسع له آخر، والذى ينبو عنه عصر تتسع له عصور أخرى»(٥).

ويحلل الشيخ الغزالى أسبـاب هذه الظاهرة ويرجعـهـا إلى العلم الذى يتلقـونه ويسـوق بعض النتـائج التى تترتب على إنغلاق هذه الفـئـات على هذا العلم فـقط فيقـول:

«وقد لاحظت ثلاث ثمار مُرة لهذا العلم المغشوش، الأولى أن بعض الطـلاب الذين لا يحسـنون إعـراب جمـلة يقـولون عن الأئمـة المتبـوعين: هم رجـال ونحن رجال!.

الثانية أن نفراً من العمـال والفلاحين فرّطوا فى أعمـالهـم الحرفية، أو الفنيـة، مكتفين فى إثبات تدينهم بثوب قصير، ولحية مشوشة، وحمل عصا حيناً، أو إرتداء عمامة ذات ذنب عندما تكون (المشيخة) قد ثبتت لصاحبها!.

أما الملاحظة الثالثة، وخطرها شديد فإن عملاء روسيا وأمريكا أيقاظ فى محاربة الإسلام، مـهرة فى إطفاء صحوته الجديدة! وهم يجتـهدون فى إبراز الجمـاعات المتطرفة والتغاضى عن نشاطها لأنها وجه دميم للإسلام ودعاية حقيـقية ضده، وهدم للوحدة، وتسجيل للفرقة»(٦).

---

(٥) نفس المرجع ص ٥٣.
(٦) نفس المرجع ص ٥٤.

وهكذا نجد العلماء الأجلاء يتعرضون لهذه الظاهرة شرحاً وتحليلاً غيرة منهم على دينهم وحمية منهم على إسلامهم، ورغبة فى جمع شمل المؤمنين، وإذابة الخلافات بين المسلمين، وكان للشيخ رضى الله عنه باع طويل فى تحليل هذه الظاهرة ومعالجة أسبابها، ومناقشة قضاياها على بساط البحث العلمى المنزه عن الهوى والعصبية، والخروج بعد ذلك بالرأى المعتدل الصحيح الذى يوافق الأئمة العدول سلفاً وخلفاً وهذا ما سنحاول بسطه فيما يلى:

ظاهرة الخلاف

إستطاع الشيخ رضى الله عنه أن يكشف الأسباب الحقيقية وراء الخلافات التى طفت على سطح الحياة الإسلامية وخاصة فى العقدين السابع والثامن من هذا القرن (القرن العشرين) فهو يرى باديء ذى بدء أن الخلاف ظاهرة صحية وخاصة بين المتخصصين فى الشريعة الإسلامية لأنه يكشف لنا عن خصائص جديدة وعظيمة فى هذه الشريعة، وهو إلى جانب ذلك يثرى الحياة الإسلامية بإضافة آراء جديدة إلى الفقه الإسلامى قائمة على قواعد الإستنباط والإجتهاد الدينى ولكن هذا الخلاف فى الرأى لا يصل إلى حد الإثارة بين المسلمين، فما بالك إذا وصل إلى حد القذف والسب وغيره!.

الخلاف وارد - أى أنه كان يحدث بين الأصحاب رضى الله عنهم - ولكن الخلاف لا يفسد للود قضية، هذا فضلاً عن أنه لا يدعو إلى تسفيه رأى أحد المعارضين للآخر أو تجريحه أو التشنيع عليه ما دام كلا منهما قد أخذ بالمنهج الإسلامى فى الإستدلال والإستنباط، بل كل منهما يرى رأى صاحبه صواباً لأنه يوافق الشريعة وإن كان هو شخصياً يميل إلى تفضيل رأى معين إلا أن الشريعة لسعتها ومرونتها تسع الجميع. ويتحدث رضى الله تعالى عنه مبيناً أضرار هذه الفتنة فيقول:

« وإن إختلاف المسلمين حول هذه الجزئيات البسيطة فى الدين قد أثرت على قلوبهم، وفتنتهم فى دينهم، وجعلت بعضهم يسىء الظن ببعض، ويتهم

بعضهم بعضاً بالإبتداع، وهـذا هو المنكر بعينه، بل هذا الإختلاف وسـوء الظن هو بدعة الضـلالة التى حرمهـا الله ورسـوله، وتفريق كلمـة المسـلمين حـول هـذه الفروع، وضرب بعضهـم ببعض، هذا هو الفساد الكبير والفتنـة فى الدين فليتق الله المسلمون فى بعضهـم، ويراعوا حق الأخوة الإسلامية فهى أكبر من إقامة سـنة أو تركها»(٧).

وينعى رضى الله تعـالى عنه على من يشغلوا الناس بمثل هذه الأمـور، ويبين الواجب على المسلمين فى هذه الظروف العصيبة التى يمربها العالم الإسلامى الآن فيقول:

« وإنه يجب على المسلم أن يدرك بعـــقله السليم وضع المسلمين الآن، وحاجتهم الضرورية إلى نبذ الخلافات المذهبية، والتعصبات الفكرية، والتشنجات النفسية التى تشيع العداوة والفرقة والبغضاء بين المسلمين، فإنها الطامة الكبرى التى دهمت المسلمين ووقفوا يتناحرون حول الصغير من الأمـور وتركوا الكبائر تنتهك جهـاراً وتركوا المضيعين لأركان الإسـلام، والمتهـاونين فى أداء الفرائض، تعج بهم الأسواق والطرقات والمقاهى.

السنن لو تركهـا المسلم طوال عمـره وتمسك بالفـرائض لكان من المؤمنين الصادقين، والناجين فى الدنيا والآخرة.

وكم من وقت المسلم الثمين يضيع حول النزاع فى سنة الجمعـة القَبلية مثـلاً، هل هى سـنة أو بدعة؟ أو صـح سـندها أو لم يصح، ولا ينتهى الحديث حولهـا، وكأن من تركها ترك فرضاً، أو من فعلها أتى منكراً، وتقوم الدنيا وتقعد حـول الأذان يوم الجمعـة، هـل هو أذان واحــد أو إثنين، وكأن الذين يفعـلونه قد فعـلوا ضلالة وإثماً مبيناً، أو من تركه ترك ركناً من أركان الإســـلام.

والخلاف فى هذه الأمور قديم، وسيظل، وهو خلاف لفظى، لكن المسلمين الآن لجهلهم بالدين جعلوا منه إختلافاً حقيقياً فرق بينهم وجعل بينهم النزاع

---

(٧) مصابيح على طريق الإيمان جـ ٢ ص ١١.

والشـحناء، وهذا هو نتيجة الجهل بوسـعة الإسـلام، وبأنه لا ضير على المسـلم في الأخـذ بهـذا أو بذاك، ففى كلّ خير، والمسلم لا ينبغي له أن يضيّق ما وسّعه الله ورسوله وأئمة المسلمين باجتهادهم فى فهم ما ورد عن رسول الله ﷺ وصحابته رضى الله عنهم»(٨).

أسـباب الخـلاف

وبعـد أن يفـيض رضى الله عنه في وصف هذه الظاهرة وآثارها الضـارة على المجتمعات الإسلامية، يضع يده على الأسباب الحقيقية التى أدت إليها:

فيعزو رضى الله عنه السبب الأساسى لهـذه الظاهرة إلى دخول غير المختصين فى الدين فى مجال الدعـوة وتعرضـهم للإفتاء بدون الحصـول على مؤهـلاته التى وضـعها له علماء أصـول الفقه وكان يردد دائماً هذه الحكمة: «إنما حرموا الوصول بتضييع الأصول وأول أصل من الأصول: ﴿ **فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمـون** ﴾(٩).

ويرجع السبب الثانى إلى غرور بعض المتعالمين وعدم تسليمهم إلى من فوقهم فى العـلم والدين مـع قول الله عـز وجـل: ﴿**وفوق كل ذى علم عليم**﴾(١٠)، هذا بالإضافة إلى العصبية فى الرأى، وتحكيم الهوى، فضلاً عن الرغبات والآمال الفانية والتى تحمل بعض النـاس على تفسـير الأحـكام الدينـية بما يسـاعدهم على بلوغ آمالهم ومآربهم ناهيـك بالخـروج عن الآداب الإسـلامية فى الحـوار والمناقشـة حتى فى الحديث عن السلف الصالح وفى ذلك يقول رضى الله تعالى عنه: «ويجب على المسلم أن يعتقد أن الله عز وجل جعل هذا الدين رحمة بالناس، وتأليفـاً لقلوبهـم، وتوحيـداً لكلمتهـم، وجمعـاً لشـملهم، ولم يكن الدين يوماً

(٨) مصابيح على طريق الإيمان جـ ٢ ص ١١٢، ١١٣.
(٩) سـورة النحل : الآية ٤٣.
(١٠) سـورة يوسف : الآية ٧٦.

من الأيام سبباً فى الأضغان والأحقاد والأمراض النفسية، بل: ﴿ **هو للذين آمنوا هـدى وشـفاء** ﴾[(١١)].

وإنما سبب ذلك:

دعاة الجهالة بالدين.

وحب الأثرة والرياسة والتعصب.

والأطماع فى حطام هـذه الدنيا الفانية، لا حباً ولا حرصاً على المسلمين.

وكذلك المتبعين لهم من الهمج الرعاع الذين لا عـلم لهم ولا بينـة.

وقد قال ﷺ ما معنـاه: «**النـاس رجـلان: عالم ومتعـلم وما سـواهما همج رعاع أتبـاع كل ناعق**» وقـال ﷺ: «**النـاس رجـلان: عالم ومتعلم ولا خير فى ما سواهما**»[(١٢)]، وقال عليه الصـلاة والسـلام: «**اتقوا الدنيا فوالذى نفسى بيده إنها لأسحر من هاروت وماروت**»[(١٣)]. وقال عليه السـلام: «**حب الدنيـا رأس كل خطيئـة**»[(١٤)].

فمن اهتدى بهذه الحكم والأحاديث والآداب التى أشرنا إليها فى هذه الرسالة أقلع عن كل مـا يشين المسلمين ويسىء إليـهم ويضـرهم، وتاب إلى الله عـز وجل عما وقع منه، توبة نصوحاً لا يعود بعدها إلى إحياء أسباب الفرقة والنزاع، ووسائل الخصام والشقاق، وترك الجدال والمراء وإن كان محقاً، كما قال ﷺ: «**أنا زعـيم بيت فى ربض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقـاً**»[(١٥)].

ثم يعـتـذر المسلم إلى رسـول الله ﷺ، عـمـا بدر منه من عـدم رعـايتـه لسنتـه الشريفة، وهديه الكريم فى دعوة المسلمين إلى الخير ونهيهم عن الشر.

---

(١١) سـورة فصلت : الآية ٤٤.

(١٢) رواه الطبرانى فى الكبير وأبو نعيم فى الحلية عن ابن مسعود.

(١٣) رواه الترمذى فى نوادر الأصول عن عبد الله بن بشر المازنى.

(١٤) رواه ابن أبى الدنيا والبيهقى.

(١٥) رواه أبو داود والبيهقى عن أبى أمامة.

ثم يستسمح إخوانه المسلمين، الذين قد هيج عليهم أفكارهم، وأقلق عليهم راحتهم، وأشغل بالهم وتركهم يتخبطون حول ما ألقاه عليهم من آراء وأفكار قد تكون خطأ يحتمل الصواب، وقد تكون صواباً يحتمل الخطأ وعليه أن يعتقد فى المسلمين الخير وأن يظن فى نفسه الشر حتى ينهض بحاله، ويفيق إلى رشاده،ويهتدى بهدى الله ورسوله»(١٦). هذا وسنشير إلى بعض النقاط التى عالجها رضى الله عنه على حسب المقام ومن أراد التوسع فى ذلك فعليه بكتاب مصابيح على طريق الإيمان، التوحيد فى القرآن والسنة، ندوة حول التصوف وغيرها من كتبه رضى الله تعالى عنه.

أولاً : شروط الإجتهاد

ونتيجة للجدل الكثير الذى ثار حول موضوع الإجتهاد نجده رضى الله عنه يعالج هذا الموضوع من شتى نواحيه، فأما من ناحية وجوبه فى هذا العصر وفى كل عصر فيتفق مع السادة العلماء الأجلاء على ذلك، ولكنه يشترط لمن يقوم بهذا الأمر أن تتوفرفيه الصفات التى يتطلبها القيام بهذه المهمة العظيمة ويجملها رضى الله تعالى عنه فى قوله:

« لا يجوز لأحد أن يأخذ من كتاب الله وسنة رسوله مباشرة إلا إذا كان:

١ – عالماً بأسرار كتاب الله وسنة رسوله.

٢ – عالماً بأسرار اللغة العربية التى نزل بها كتاب الله ووردت بها سنة رسول الله ﷺ.

٣ – علم أسباب نزول القرآن وأسباب الحديث الذى ذكره النبى عليه السلام.

٤ – علم التواريخ والسير.

٥ – علم أعراف الناس وعاداتهم وطباعهم لأن التشريع جاء من أجلهم.

٦ –علم أقوال الصحابة والأئمة المجتهدين فى بيان كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

---

(١٦) مصابيح على طريق الإيمان جزء ٢ ص ١١٥، ١١٦.

٧- علم أصول الفقه من الحلال والحرام، والمكروه والمباح.

٨- علم الفرض والسنة، والمندوب والمستحب، وخلاف الأولى، والمصالح المرسلة.

٩- عرف القياس وما أجمعت عليه الأمة من تشريعات فى كل عصر من العصور.

١٠- علم حاجة المجتمع فى عصره من الأقضية والأحكام بحسب ما استجد من أمور وأحداث حتى يستخرجها لهم من القرآن والسنة.

١١- علم العلوم التى تتعلق بتفسير القرآن والسنة من علوم السند والمتن والجرح والتعديل والرواية والدراية وغيرها.

١٢- وبعد هذا كله يستفت قلبه المتعلق أولاً وأخيراً بالله ورسوله، ويستلهم الرشد والمدد والعون من الله، ويستلهم النظرات والرضى من رسول الله ﷺ، متبرءاً من حوله وحيلته، ومن الشهرة والسمعة، وحب الجاه والمنزلة، وزاهداً فى عرض الحياة الدنيا، فانياً عن كل شهوة ورغبة، معتذراً إلى الله ورسوله عن أى همة أو لمة، تكون منه لغير الله ورسوله، ثم يأخذ من القرآن والحديث ما يحتاج إليه هو وأهل عصره، مع احترامة وتقديره لآراء إخوانه من الأئمة المجتهدين، السابقين منهم والمعاصرين له، حتى يعطى كل ذى حق حقه»(١٧).

موقف الناس من الإجتهاد

ويقسم رضى الله عنه الناس بالنسبة للإجتهاد إلى قسمين، أما من توافرت فيه شروط الإجتهاد السابقة فله ذلك وفى ذلك يقول: «إن باب الإجتهاد مفتوح لمن تحققت فيه الأهلية والصلاحية للإجتهاد، وليس كل إنسان حصل قشوراً من العلم أو أصابه رذاذ من وابله، يدعى لنفسه أنه غنى عن علوم الأئمة، وآراء

(١٧) مصابيح على طريق الإيمان جـ٣ ص ٢٦، ٢٧.

الفقهاء، واجتهاد العباقرة الأفذاذ، وأنه يأخذ من القرآن والسنة مباشرة دينه وطريقه فهذا خطأ فى الرأى، وفساد فى العقل، وضلال فى السلوك»(١٨).

وأما من لم تتوفر فيه هذه الشروط فهو داخل فى قوله رضى الله عنه: «أما عوام المسلمين الذين لم يكن لهم نصيب من العلم والتعلم فيكفيهم أن يعبدوا الله سبحانه وتعالى على أى مذهب من المذاهب الإسلامية، من غير أن يعرفوا أن هذا مذهب زيد أو عمرو، وكل من أفتاهم من العلماء فيما يحتاجون إليه، فعليهم أن يأخذوا به من غير أن يعرفوا مذهب هذا العالم الذى أفتاهم، وذلك تيسيراً من الله عليهم، لأنهم معذورون بعدم قدرتهم على الدرس والتحصيل، وعليهم أن يتعلموا ما يصحح عبادتهم فى نظر الله ورسوله، فإن الله عز وجل لا يكلف نفساً شيئاً أكثر من طاقتها»(١٩).

ضرورته وآدابه

وأما عن مدى حاجة المسلمين إلى الإجتهاد ففى ذلك يقول رضى الله عنه: «وحاجة المسلمين إلى إختلاف آراء الفقهاء حول موضوع واحد، أمر لابد منه، لأن اختلافهم جاء من فهم كل واحد منهم للنص القرآنى أو الحديث النبوى، والنص فى حد ذاته يتسع معناه لهذه الآراء المختلفة، والمسلم إن أخذ بأى رأى منها فهو مصيب، وكل مسلم له ظروفه الصحية والإجتماعية والإقتصادية التى تتحكم فيه، فليس المسلمون كلهم على حالة واحدة حتى يأخذوا جميعاً بمبدأ واحد»(٢٠).

غير أنه لا يحدث خلاف بين الفقهاء والعلماء بسبب اختلاف وجهات نظرهم حول مسألة ما، لأنهم يؤمنون بأن النص يتسع لكل هذه الآراء التى ذهبوا إليها، وأن ذلك توسعة من الله على عباده المؤمنين، فقبلوا هذه التوسعة من الله عز وجل

(١٨) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٢٧.
(١٩) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٢٨.
(٢٠) مصابيح على طريق الإيمان جـ ٣ ص ٢٨.

بصدور منشرحة، وقلوب مطمئنة، ولذا يوجه رضى الله تعالى عنه المسلمين أجمعين إلى الآداب التى يجب أن يتحلوا بها عند مناقشتهم للمسائل الإجتهادية، أو حديثهم عن أئمة المجتهدين فيقول: «ويجب على المسلمين الذين هم فى أمس الحاجة إلى كل هذه المذاهب والآراء على كثرتها، لأنهم يجدون فيها المخرج من المضايق والشبهات والله واسع عليم، يجب عليهم أن لا يختلفوا مع بعضهم حول هذه المذاهب ما دامت كلها صحيحة عن الله ورسوله، وأن يترك بعضهم بعضاً يختار منها ما يشاء من غير حساسية ولا كراهية، ولا نزاع ولا جدال، لأن الجدال فى الحق بعد ما تبين، خصلة من خصال النفاق، نعوذ بالله جميعاً منه»(٢١).

وهذا ما اتفق عليه أجلة علماء المسلمين قديماً وحديثاً ويكفى أن نشير إلى مثال واحد من جهابذة القدامى وهو الآمدى حيث يقول «يجتهد العلماء فى ضوء القواعد الكلية ومقاصد الشريعة لاستخراج الأحكام الجزئية التى تلائم زمنهم وبيئتهم، وتناسب عاداتهم وأحوالهم، وفيها يكون الإختلاف بإختلاف طرائق الإستدلال، ولا يؤدى هذا الإختلاف إلى ضرر أو مفسدة ما دامت مسائل الدين الأساسى، الإعتقادية والعملية موضع اتفاق، تجتمع عليها الأمة، بل فى الإختلاف بالجزئيات وتعدد الآراء فى حكمها مافيه يسر، إذ يتيح هذا لولى الأمر أن يختار منها ما يحقق مصالح الناس، ويتفق مع ما تتطلبه حياتهم، ويرفع عنهم الضيق والحرج، وهى التى كانت مصدر ثروة تشريعية عظيمة، وتراث فقهى رائع، يستوعب ما يجدّ للناس من أقضية فى ظل شريعة الإسلام الخالدة، وما كان لنصوص الشريعة القطعية المتناهية أن تحكم ألوان النشاط البشرى المتجدد الذى لا ينتهى، ولو جاءت أدلة الأحكام كلها قطعية، لكان فى هذا حجر على العقول، وجمود فى التفكير، وحرج شديد يقف الناس أمامه عاجزين عن معرفة أحكام المسائل المتجددة فى كل عصر.

(٢١) نفس المرجع ص ٢٩.

وقد اكتسبت الشريعة الإسلامية بأدلتها الظنية مرونة كثيرة، إذ أتاحت للعلماء المجتهدين أن ينظروا فيها، وأن يستنبطوا الأحكام التى تتفق مع المصالح المعتبرة شرعاً بما يناسب البيئة والزمان، وهذا هو الذى أدى إلى اختلاف الفقهاء، فكان فى اختلافهم سعة على الأمة، وكان عمر بن عبد العزيز يقول: «ما يسرنى أن أصحاب رسول الله ﷺ لم يختلفوا، لأنهم إذا اجتمعوا على قول فخالفهم رجل كان ضالا، وإذا اختلفوا فأخذ رجل بقول هذا ورجل بقول هذا كان فى الأمر سعة»(٢٢).

وهذا أيضاً ما قرره الأستاذ طه عبد الباقى سرور بعد دراسته الشاملة لآراء السابقين واللاحقين والمسلمين والغربيين حيث يقول: «فكل كلية فى التشريع الإسلامى، خلية عامرة بالحياة المتجددة، التى ترسم الأفق الأعلى للروح الإسلامى، ثم تترك للمشرع التفصيل والتقنين، والمطابقة بينها وبين واقع الحياة، ومقتضيات العرف، وملابسات الزمان والمكان، وهذه أكبر معجزات التشريع الإسلامى الذى جاء ليكون شعاراً لخير أمة أخرجت للناس، ودستوراً هو عدالة الله بين خلقه، ورحمته بين عباده.

فهو تشريع لا يستمد قانونه العام من الكتاب والسنة فحسب، بل تتسع آفاقه لكل تطور فى الزمان أو المكان، فيضيف إلى كلياته العامة فى الكتاب والسنة العقل الإنسانى باجتهاداته وأقيسته واستنباطه، والتطور الزمنى وما ينشأ معه للناس من أقضية وحاجيات، فيضيف إلى الإجتهاد والقياس والإجماع قاعدتين تتسعان بآفاقهما الرحبة لكل طارىء على الحياة وقادم على الوجود قاعدتى سد الذرائع والمصالح المرسلة.

إلى أن يقول: .... فقد اكتفى القرآن والسنة، برسم الخطوط العريضة، والكليات العامة، وتركا التفصيلات والتطبيقات للناس يجيلون فيهما عقولهم بما يوافق مصالحهم ويكفل حاجياتهم.

(٢٢) معوقات تطبيق الشريعة منّاع القطان ص ١٠٣، ١٠٤.

والأصل فى الشريعة الإسلامية، أنها شريعة تقوم على الرحمة والسعة والرفق والتيسير، وبذلك ينتفى كل تشريع يوجب العسر والحرج.

وهذا امتياز واصطفاء للأمة الإسلامية التى أكرمها الله وأنعم عليها، وجعل من بعثة رسولها صلوات الله وسلامه عليه رحمة عامة للعالمين، ورحمة خاصة بها، هو هذا التشريع الذى وضع عنها الإصر والأغلال والشدة التى فرضت فى التشريعات السابقة»(٢٣).

ثانياً : التوحيد فى القرآن والسنة

ونظراً للجدل الكثير الذى ثار حول قضايا التوحيد والشبهات التى يبلبل بها كثير من الأدعياء عقول العامة كدور الأسباب فى الحياة، والتوسل والوسيلة، وزيارة الأولياء والصالحين، وغيرها ويتمادى بعضهم فيصف مخالفة فى الرأى فى هذه القضايا بالكفر أو الشرك أو الفسوق، عالج رضى الله عنه هذه القضايا باستفاضة موضحاً وجه الحق فيها، ومبتغياً بذلك رضا الله ورسوله والدار الآخرة وسنحاول أن نجمل رأيه فى بعض هذه القضايا لأهميته وجدته وإن كان فصّل ذلك فى كتابه التوحيد فى القرآن والسنة.

التوحيد

يستند رضى الله عنه فى بيان حقيقة التوحيد إلى الآيات القرآنية الكريمة:

﴿ وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم ﴾(٢٤)، **﴿ الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ﴾**(٢٥)، **﴿ شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم ﴾**(٢٦).

---

(٢٣) دولة القرآن – طه عبد الباقى سرور ص ١٣٨، ١٣٩.
(٢٤) سورة البقرة : الآية ١٦٣.
(٢٥) سورة البقرة : الآية ٢٥٥.
(٢٦) سورة آل عمران : الآية ١٨.

وبذلك يرجع إلى طريقة السلف فى الإستدلال بالقرآن وترك الإحتجاج بالمنطق والفلسفة وغيرها من الحجج السوفسطائية العقيمة التى شتتت وحدة المسلمين، وبعد أن يشرح هذه الآيات شرحاً مبسطاً بعيداً عن الغرابة والتكلف ينتهى إلى تقرير حقيقة التوحيد فيقول: «فالتوحيد هو اعتقاد القلب بأن الله واحد أحد لا شريك له فى ملكه وملكوته، وأن الله له التصريف المطلق فيهما لا راد لأمره ولا معقب لحكمه، وأن الله فرد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»(٢٧).

ثو يوضح ذلك التعريف بلغة أبسط لتأكيده فى النفوس وتقريره فى الأذهان فيقول: «وعلى ذلك فإن التوحيد هو تفريد الله بالخلق والإيجاد والرزق والإمداد والإحياء والإماتة، والتقدير والتدبير والتصريف التام فى جميع الكائنات فى السموات والأرض وما بينهما وفى الدنيا والآخرة، ثم بعد ذلك تنزيه الله عن كل علة وغرض وعن كل نقص وهزل وعن كل لهو ولعب، وعن كل ما لا يليق بجنابه المقدس عز شأنه»(٢٨)، وبعد أن يبين الصفات الواجبة للذات الإلهية وذلك من خلال الآيات القرآنية؛ يوضح المقصود بالتوحيد الخالص فيرى أنه: «هو تطهير القلوب من الآراء الفاسدة ومن الشك والأوهام الباطلة وعقد القلب على العقيدة الحقة»(٢٩)، ثم يبين ركائز التوحيد وهى الإيمان بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره، وبعد ذلك يبين رضى الله عنه أساسين عظيمين يؤدى فهمهما إلى إزالة الخلافات بين المسلمين فى شأن عقيدة التوحيد هما:

١ – دور الأسباب فى حياة الناس فقد جعل الله المنافع فى تلكم الأسباب لينتفع بها الإنسان ويقضى بها مآربه ويشهد فى هذه الأسباب حكمة الله فى إيجادها وتسخيرها للإنسان»(٣٠). وهذا لأن الأسباب لا تفعل من ذاتها ولا من نفسها، وإنما تفعل بقدرة الله عز وجل وإرادته، وبأمره لها أن تفعل،

(٢٧) التوحيد ص ١٣.
(٢٨) نفس المرجع ص ١٤.
(٢٩) التوحيد ص ١٨.
(٣٠) التوحيد ص ٢٣.

«فالأسباب وسائل فقط يستعين بها الإنسان على الوصول لغايته وقضاء حاجته»(٣١)، ويبين رضى الله عنه الحكمة من إيجاد الأسباب فيقول: «ولقد أقام الله الأسباب ليظهر للعقل مسبب الأسباب سبحانه وتعالى ولتوجد المسببات عند مباشرة السبب لها لأن الأشياء إن وجدت بدون أسباب اختل نظام العقل لعدم شهود الحس قدرة الله التى أوجدت الشيء من غير سبب، فتصير الحياة كلها معجزات وخوارق تدهش الألباب وتحير العقول والأفهام، ولكن الله رفيق بعباده فوضع الأسباب رحمة بهم، حتى لا تفجأهم الأحداث بدون مقدمات وبدون وسائل فسبحان اللطيف الخبير»(٣٢).

٢ – أما الأساس الثانى فهو رسوخ العقيدة فى قلب كل مؤمن، وعليه فلا خوف على أى مسلم من الشرك والكفر لأن التوحيد مستقر فى قلوبهم وفى ذلك يقول: «إن الكفر بعيد جداً عن كل مسلم، كما أن الإسلام بعيد جداً عن كل كافر، وإن الذى يفضل كافراً على مسلم، فقد باء بغضب من الله، وإن الذى يكفر مسلماً بغير موجب للكفر فقد كفر بالله ورسوله، قال رسول الله ﷺ: « **إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها أحدهما فإن كان كما قال وإلا رجعت عليه** »(٣٣)...»(٣٤).

شبهات حول عقيدة التوحيد

ويعالج رضى الله تعالى عنه بعض الشبهات التى يثيرها بعض المتشددين حول عقيدة التوحيد فيضيقون على الناس ما وسّعه الله لهم من رحمته وذلك مثل:

١ – إدّعائهم أن الإستعانة بغير الله عز وجل شرك، واستنادهم فى ذلك إلى الحديث المروى عن ابن عباس رضى الله عنهما والذى يقول فيه رسول الله ﷺ:

(٣١) نفس المرجع ص ٢٤.
(٣٢) نفس المرجع ص ٢٥.
(٣٣) متفق عليه من حديث ابن عمر.
(٣٤) نفس المرجع ص ٢٦، ٢٧.

«إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله»(٣٥)، ويسوق إلينا رضى الله عنه فى دحض حجتهم فهماً ثاقباً لم يسبقه إليه أحد فيقول: «وفهمى فى هذا الحديث الشريف أن رسول الله ﷺ لم يقل لابن عباس ولا تسأل غير الله، فقد أمره أن يسأل الله ولم ينهه أو يحرم عليه سؤال غير الله وذلك لقول الله تعالى: **﴿فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون﴾**(٣٦)، وكذلك قول الرسول ﷺ لابن عباس رضى الله عنهما: **«وإذااستعنت فاستعن بالله»** فلم يقل له ولا تستعن بغيره فإن الإستعانة بغير الله من صميم الدين، لقول الله تعالى على لسان سيدنا موسى: **﴿ واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ﴾**(٣٧)، وقول الله تعالى: **﴿ يا أيها الذين آمنوا استعينوا بالصبر والصلاة﴾**(٣٨). وقول الله تعالى: **﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ﴾**(٣٩)، يعنى ليعن بعضكم بعضاً على أعمال البر وعلى أعمال التقوى» (التوحيد ص ٣٥).

وهكذا يتبين لنا أن الإستعانة بغير الله إنما هى بأمر من الله ورسوله ولا حرمة ولا كراهية فيها، ولا كفر ولا شرك فيها فقد جعل الله كل شيء ليستعين به الإنسان فى قضاء حاجاته ومآربه، ويصل به إلى منتهى غاياته وآماله، وعليه أن يشكر الله عز وجل على تسخيره الأشياء إليه وجعلها معينة له على معاشه ومعاده، ولقد استعان رسول الله ﷺ فى أمور الدين والدنيا بأصحابه وبغيرهم وبكل ما حوله من أشياء تنفيذاً لأمر الله وحكمته فى إقامة الأسباب.

٢- ما أثاره بعض المتعالمين حول قول رسول الله ﷺ: **«لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**(٤٠)، وقولهم إن المسلمين

---

(٣٥) رواه الطبرانى والبيهقى عن ابن عباس.
(٣٦) سورة النحل: الآية ٤٣.
(٣٧) سورة طه: الآيات ٢٩- ٣٢.
(٣٨) سورة البقرة: الآية ١٥٣.
(٣٩) سورة المائدة: الآية ٢.
(٤٠) رواه الطبرانى عن أسامة بن زيد.

الذين يتخذون المساجد على الموتى ويصلون فى هذه المساجد قد تشبهوا باليهود والنصارى، وقد دخلوا فى هذه اللعنة التى ذكرها رسول الله ﷺ فى هذا الحديث الشريف وقد ردّ عليهم رضى الله عنه بكلماته النيّرة وحججه الساطعة فقال: «هذا الحديث موجه أصلاً على اليهود والنصارى وليس منصباً على أحد من المسلمين وذلك لأن اليهود والنصارى قد فسدت عقائدهم، وضلوا فى إيمانهم وأخذوا يقصدون بعبادتهم أصحاب القبور من أنبيائهم وأحبارهم ورهبانهم والصالحين منهم، وذلك بنص قول الله تعالى: ﴿ **اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون** ﴾(٤١).

وإن اليهود والنصارى يعتقدون فيهم النفع والضر والإعطاء والمنع وغير ذلك من الأمور التى لا تتأتى إلا من الله سبحانه وتعالى، ولا تنبغى لأحد سواه، ومن هنا اتخذوهم أرباباً وعبدوهم من دون الله، وكانوا يسجدون فى هذه القبور لأصحابها، ولذلك لعنهم رسول الله ﷺ فى هذا الحديث الشريف، ونحن نعلم أن اللعن هو الطرد من رحمة الله، والحرمان من مغفرته سبحانه وتعالى، لأن من تنصب عليه اللعنة إما كافراً بالله، وإما أشرك مع الله آلهة غيره.

أما المسلمون الذين يدفنون أمواتهم فى المساجد ويصلون فيها فإنهم بعيدون كل البعد عن لعنة الله ورسوله، لأنهم لم يتشبهوا باليهود ولا بالنصارى فى شىء مما سبق ذكره من الأمور التى توجب اللعن. فإن المسلمين إنما يدفنون الصالحين منهم فى المساجد تكريماً لهم وتقديراً لفضلهم، وعملهم وجهادهم حتى يتذكر من يصلى فى هذه المساجد مآثرهم وأعمالهم وأخلاقهم وفضلهم فيتأسى بهم ويقتدى بأعمالهم وأخلاقهم، ولم نسمع أن مسلماً سجد لقبر ولا لصاحب قبر مهما كان شأنه»(٤٢)، وبهذا يظهر لنا معنى الحديث ويتبين كيف أن اللعن منصب على اليهود والنصارى لكونهم عبدوا أنبيائهم

(٤١) سورة التوبة: الاية ٤١.
(٤٢) التوحيد ص ٤٥، ٤٦.

ورهبانهم وأحبارهم واتخذوهم آلهة من دون الله. وظهر أيضاً كيف أن أصغر مسلم لم يتخذ مع الله إلهاً آخر، ولم يقصد بعبادته أحداً غير الله عز وجل لصحة عقيدته وصدق إيمانه بالله ورسوله.

٣- قول بعض المثقفين إن الذين يشدون الرحال ويسافرون إلى أى مسجد من مساجد الأولياء قد ارتكبوا إثماً كبيراً لظنهم أنهم مخالفين للحديث الشريف الذى يقول: «**لا تشد الرحال إلا إلى ثلاث مساجد مسجدى هذا والمسجد الحرام والمسجد الأقصى**»[٤٣]. وقد بين رضى الله عنه لهم وجه الصواب فى هذا الحديث فقال: «فاتهم أن هذا النهى إنما هو للكراهة فقط وليس للتحريم لعدم وجود قرينة تدل على تحريم ذلك هذا من ناحية. ومن ناحية ثانية، فإنه فاتهم أن الصلاة فى المسجد الأبعد فيها مثوبة أعظم وفيها تكفير للخطايا ورفع للدرجات بسبب كثرة الخطوات لهذا المسجد، ومن ناحية أخرى ثالثة: فإن معنى الحديث الشريف لا تشد الرحال بصفة واجبة أو مفروضة إلا لهذه المساجد الثلاث، وإن كان يجوز شد الرحال لغيرها من المساجد على سبيل الندب والسنة»[٤٤]، بل يذهب رضى الله عنه إلى أبعد من ذلك فيوضح جلية هذا الأمر ويبين أن الذين يسافرون إلى هذه المساجد لا يقصدوها فى الحقيقة ونفس الأمر، وإنما يقصدون زيارة أصحابها من آل بيت رسول الله ﷺ ومن الأولياء والصالحين رضى الله تعالى عنهم وهذا من السنة المؤكدة. وفى ذلك يقول: «وإن من السنة المؤكدة أن يزور المسلم قبور الصالحين والشهداء والمقربين فقد كان رسول الله ﷺ يزور شهداء أحد ويزور أهل البقيع وغيرهم من الموتى ويدعو الله عندهم بما شاء»[٤٥]

(٤٣) رواه الطبرانى فى الجامع الكبير عن عمرو وأبى سعيد.
(٤٤) التوحيد ص ٤٧، ٤٨.
(٤٥) التوحيد ص ٤٨.

ثالثاً : حول السنة والبدعة

كثر اللغط من أدعياء العلم فى كل مكان عن السنن والمبتدعات وجعلوا حديث سيدنا رسول الله ﷺ القائل: «**كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**»(٤٦) سيفاً مسلطاً على كل شيء يخالف رأيهم فأوقعوا الناس فى الحيرة فقام رضى الله عنه يبين للناس المقاصد الشرعية والدينية من هذا الحديث فقال: «إن المحدثات هى الأمور التى حدثت فى الدين بعد رسول الله ﷺ وهى نوعان:

النوع الأول من المحدثات هو ما يدخل تحت ما أمر الله به ورسوله، وقد استحسنه المسلمون من أعمال القربات والبر والخير فهو من السنة، وهو بدعة حسنة قال ﷺ: « **من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء**»(٤٧) ...»(٤٨).

ويضرب لها أمثلة كثيرة فيذكر مثلاً قتال مانعى الزكاة، وجمع القرآن فى عهد سيدنا أبى بكر، وجمع المسلمين على صلاة التراويح جماعة بالمسجد وتدوين الدواوين فى عهد سيدنا عمر، والأذان الثانى للجمعة، وإجراء التوسعة فى مسجد رسول الله ﷺ، وجمع المسلمين على مصحف واحد وإحراق ما عداه فى عصر سيدنا عثمان، ثم تدوين الحديث، ووضع النقط على حروف القرآن وكذا حركات الإعراب فى عصر التابعين، ثم الصلاة على النبى بعد الأذان، والإحتفال بمولد النبى ﷺ وغيرها من الأمور التى استجدت، ويقول: «وما ذكرناه هو على سبيل المثال لا الحصر فكل هذه الأمور يسمى بدعة لأنه استحدث بعد عهد رسول الله، لكنه فى الوقت نفسه يسمى سنة من سنن الإسلام لأنه فعل أصحاب رسول الله، وقد ورد فيهم قول النبى ﷺ: «**عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين**

(٤٦) رواه أحمد عن ابن مسعود.
(٤٧) رواه الترمذى عن جرير.
(٤٨) التوحيد ص ٣٦.

المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ»(٤٩)، بل إنه يؤكد على وجوب هذا الأمر على العلماء المجتهدين، والأئمة الراشدين فى كل عصر، ويستدل على ذلك بقول الله عز وجل: **﴿ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾**(٥٠)، ويوضح هذا الأمر فيقول: «إن أولى الأمر، وذوى الشأن فى فهم كتاب الله تعالى وسنة رسوله، جعل الله لهم حكمة وعلما فى استخراج الأحكام التى يحتاجها الناس فى حل مشاكلهم، وفى تصحيح مسارهم، على نور من كتاب الله وسنة رسوله، وهذا هو الفقه فى دين الله، واستنباط الأحكام لكل حدث يحدث ويستجد فى المسلمين من كتاب الله وسنة رسوله» وقوله تعالى: **﴿لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾** تؤكد قيام العلماء المجتهدين، والأئمة الراشدين فى كل عصر، من عصور الأمة الإسلامية، حتى لا تضل أمة الإسلام، ولا تزيغ عن الهدى. وحيث أن هذه الأمور، أمور ضرورية لحياة المسلمين، واستنباط الأحكام لها أشد منها ضرورة، لاطمئنان المسلمين على دينهم ومعاشهم، فلم تكن هذه الأمور، ولا الأحكام التى تستنبط لها بدعة فى الدين، لأنها لم تكن موجودة فى عهد رسول الله ﷺ وصحابته، ولكنها سنة الإسلام، وهدى القرآن»(٥١).

أما النوع الثانى من المحدثات فيشير إليه بقوله: «هو كل عمل خالف ما كان عليه رسول الله ﷺ أو خالف نصاً صريحاً من كتاب الله عز وجل، أو حديث رسوله ﷺ وهو بدعة الضلالة التى ضل بها مخترعها، وضل عن سبيل الله كل من عمل بها. وإن من يعمل بهذه البدعة يعذب فى نار جهنم حتى يتطهر منها وهذا إذا لم يتب إلى الله منها فى الدنيا، ومات مصراً عليها، أما من تاب فقد تاب الله عليه، وعفا عنه والله عفو كريم، قال رسول الله ﷺ: «**ومن سن سنة**

---

(٤٩) مصابيح على طريق الإيمان جـ ١ ص ٤١ والحديث رواه الترمذى وابن ماجه عن العرباض بن سارية.
(٥٠) سورة النساء: الآية ٨٣.
(٥١) مصابيح جـ ١ ص ٤١.

سـيّئة فعليـه وزرها ووزر من عمـل بهـا من بعـده من غير أن ينقص من أوزارهم شيء»(٥٢).

ويضرب لها أمثلة كثيرة جداً نسوق منها:

١ – تبرج النسـاء.

٢ – إختلاط النساء بالرجال لغير حاجة.

٣ – تجمّـل المرأة لغير زوجها، وتجمل الرجل لغير زوجته.

٤ – إستعمال الملابس التي تحدد العورة أو تصفها سواء في ذلك الرجل أو المـرأة.

٥ – رمي الحكام والأمراء بالكفر أو الفسوق.

٦ – تكفير المسلم المخالف لبعض أحكام الشريعة.

٧ – إقامة المسارح للرقص الخليع.

٨ – فتح حوانيت للقمار والميسر والتصريح بها.

٩ – التفرقة بين المسلمين ولو باسم الدين.

١٠ – الجدال حول الفروع التي اختلف فيها الأئمة.

وهكذا يتضح لنا الفرق بين البدعة الحسنة التي سنها العلماء وأئمة الهدى حيث أن لها أصل في دين الله، ورآها المسلمون شيئاً حسناً، وأقرها العلماء منهم، أما البدعة السيئة، فهي التي لا أصل لها في الشرع، ولا يستحسنها المسلمون ولا يقرها أهل العلم والذكر.

---

(٥٢) التوحيد ص ٣٨ والحديث رواه الترمذي عن جرير.

رابعاً : تغيير المنكر

ارتفعت أصوات كثير من الجانحين فى الفترة الأخيرة تطالب كل فرد فى المجتمع بتغيير المنكر بالقوة وإلا كان آثماً، ويؤيدون دعواهم بقوله ﷺ: **«من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»**(٥٣).

فتصدى رضى الله تعالى عنه لهذه الفرية مبيناً من هم الذين يتوجه إليهم هذا الخطاب النبوى والطرق الحكيمة التى يتبعونها فى إزالة المنكر فيقول: «هذا الحديث الشريف موجه بادىء ذى بدء إلى من يستطيع تغيير المنكر من الأمراء والحكام والعلماء الذين يقدرون على تغيير المنكر مرة بالحكمة ومرة بالموعظة الحسنة، وثالثة بالتخويف والزجر، ورابعة بالأخذ على يد صاحب المنكر، وخامسة بالمداراة والستر حتى يستقيم هذا الإنسان المعوج على الصراط المستقيم»(٥٤)، وأما العوام ومن فى حكمهم ممن يعجزون عن التغيير باليد أو باللسان فلهم دور أيضاً فى تغييرالمنكر ينبه إليه فيقول: «وإن الذى لا يمكنه تغيير المنكر بلسانه أو بيده يجب عليه أن ينكره بقلبه يعنى لا يرضى به ولا يرضى عن فاعله ويحزن ويتألم لوقوعه، ويدعو الله أن يغيره ويبلغ الذين يمكنهم تغييره وعلى ذلك يكون كل المسلمين قد اشتركوا فى تغيير المنكر كل بحسبه وعلى قدر طاقته»(٥٥).

هذا وكل إنسان يملك تغيير المنكر بالقوة وباللسان أيضاً فى منزله وعلى من يعولهم، ويمونهم، وفى دائرة عمله واختصاصه وكل مكان من المجتمع يصل إليه تأثيره بلا ضرر يحصل له من جراء ذلك، لكن ما هو المنكر الذى يجب عليه تغييره؟.

---

(٥٣) رواه الترمذى عن أبى سعيد.
(٥٤) التوحيد ص ٤١.
(٥٥) التوحيد ص ٤١.

ونظراً للخلط الكثير فى تحديد ماهية المنكر الذى يجب إزالته وتغييره وخاصة بين الجهلة وأنصاف المتعلمين وضّح رضى الله عنه هذا الأمر ووضع له الضوابط الشرعية التى تحدده بدقة فقال: «ماهو المنكر الذى يجب تغييره؟ هو كل أمر توعد عليه الشارع الحكيم مرتكبه بالعذاب والخسران فى الدنيا والآخرة، وهى الأمور المحرمة شرعاً، والمنصوص على حرمتها فى كتاب الله، وفى سنة رسوله ﷺ، وأجمع على حرمتها أئمة المسلمين. وليس من المنكر الأمور المختلف فى حرمتها بين علماء المسلمين وأئمتهم وليس من المنكر ترك المسلم لبعض السنن والمندوبات والنوافل والمستحبات وإنما المنكر هو تركه لفريضة من الفرائض الواجبة عليه لله عز وجل أو إرتكاب إثم من الآثام المحرمة شرعاً»(٥٦)، ولا يترك رضى الله عنه هذا الموضوع حتى يبين الآداب الواجب اتباعها فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فأما من يترك السنن والنوافل فيوجب على العلماء والمرشدين أن يرغّبوه فى الإتيان بها، وأن يشوقوه إلى عملها بتذكيره بالثواب المنوط بها وبالجزاء الذى أعده الله لفاعلها، وبالحرمان الذى يصيب من قعد عنها وتهاون فيها، مع عدم مؤاخذة المسلم عليها وعدم التشديد عليه فى شىء منها. وكذلك من يفعل المكروهات أو الأمور المشتبه فيها فإن على الأئمة والعلماء أن يتلطفوا له فى القول وأن ينبهوه إليها برفق من غير أن يجرّموه أو يثيروا ضجة حوله، ويلخص الأدب الواجب فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيقول: «لا يجوز أمر بمعروف يؤدى إلى جدال وشقاق كما لا يجوز النهى عن المنكر بغلظة وفظاظة فيكون الشر الذى يجلبه على الناس أكثر من الشر الذى ينهاهم عنه، إن الشر لا يأتى بالخير أبداً، قال الله تعالى لسيدنا موسى وهارون عليهما السلام عند دعوتهما فرعون إلى الإيمان: ﴿ **فقولا له قولاً ليناً لعله**

(٥٦) التوحيد ص ٤٢.

يتـذكر أو يخشى ﴾(٥٧)، وإن أفجـر مسـلم خـير من فرعون لأنه لم يكفر بالله ولم يشرك به شـيئاً »(٥٨).

هذا وقد اكتفينا بإبراز هذه الموضوعات من بين الموضوعات التى عالجها الشيخ فى هذه الناحيـة خـوفـاً من الإطالة حيث أنه رضى الله عنه عـالج كل المسـائل الخلافيـة كـالتوسل والوسيلة، وحكم الإحتـفـال بالمولد النبـوى، وقـراءة القـرآن بصـوت مرتفـع فى المسـاجد... وغيرها بدقة متناهيـة، وبأسلوب سـهل مبسط، وذلك من خـلال الآيات القرآنيـة والأحاديث النبـوية، فمن أراد الإسـتفاضة فى ذلك فعليـه بالكتب التى أشرنا إليهـا فيما سبق.

(٥٧) سـورة طه : الآية ٤٤.
(٥٨) التوحيـد ص ٤٣.

الباب السابع
بناء الأسرة المسلمة

الفصل الأول : هيكل الأسرة الفاضلة :
أولاً : القدرة على الزواج.
ثانياً : إختيار الإنسان شريك حياته.
ثالثاً : القدرة على المباشرة الجنسية.
رابعاً : تربية الأبناء وحسن رعايتهم.
الواجب نحو الإبن جنيناً.
الواجب نحو المولود.
أسرار الرضاعة.
تأخير الحمل أثناء الرضاعة.
حكم تنظيم الإنجاب.
اليوم السابع للمولود.
الفصل الثانى : منهج الإسلام فى تربية النشء.
١ - المرحلة الأولى : الملاعبة..
٢ - المرحلة الثانية : التأديب.
٣ - المرحلة الثالثة : المصاحبة.
مشكلات الأبناء مع الآباء.
العقوق وعدم الرضا - هضم حقوقهم - إلغاء شخصية الإبن.
الفصل الثالث : عناية الإسلام بالمرأة.
١ - قوامة الرجل على المرأة.
٢ - الإنفاق.
٣ - الميراث.
٤ - الطلاق.
٥ - قضية النشوز.

إن بنيان المجتمع لا يكون قوياً ومتماسكاً إلا إذا كانت الأسرة طيبة وصالحة لأن المجتمع يتكون من الأسر، والأسرة تتكون من الزوجين والأبناء، ومن هنا وضع الإسلام الأسرة فى مقدمة القضايا التى عالج أمورها ورتب شئونها، ونظم حياتها من بداية نشأتها إلى نهاية أمرها، وأحاطها بأسوار قوية من الأحكام والآداب حتى تظل مصونة الجانب محفوظة الكرامة لها حرمتها ولها حريتها ولها حقوقها، ومن هنا وجدنا الشيخ رضى الله تعالى عنه يولى اهتماماً كبيراً بالأسرة من كافة جوانبه، ويركز بصفة خاصة على الجوانب التى برزت فى العصر الحديث ولم تكن موجودة بهذه الصورة فيما قبل ليضع لها العلاج الناجع والدواء الشافى من كتاب الله، وهدى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ، وقد برزت فى عنايته بالأسرة المسلمة في كل كتبه وخاصة منها: حقوق الإنسان فى الإسلام، توجيهات فى بناء الأسرة، قبس من معانى سورة النور، الإنسان الوسط الجزء الثالث من كتاب مصابيح على طريق الإيمان، خواطر إيمانية حول تنظيم الأسرة، وسنحاول فى عجالة سريعة توضيح الجوانب البارزة فى إهتمامه بالأسرة فى المجتمع العصرى الحديث وذلك لحاجة المجتمع الإسلامى إلى هذه التوجيهات فى تلك الفترة التى تحاول الأمة فيها العودة إلى روحها الإسلامية السامية.

الفصـــل الأول

هيــكل الأسرة الفاضــلة

يجــعــل رضى الله تعــالى عنــه الأســرة بنــاء يتكون هيكله من أربع أسس رئيسـية هى:

أولاً : القــدرة على الزواج :

ويعنى بهـا القـدرة على القـيـام على تكاليف الزواج حسب العـرف والعـــادة والشـرع الشريف، وكـذلك نفـقـــات الإعاشـة فى ظروف تسـمح بعـدم الجور والحيف على الزوجـة بحيث تجد ما كانت تجده فى بيت ولى أمرها من الإعاشة والسكن والملبس، وكـذلك القــدرة على رعـاية الأبنـاء وتربيـتـهـم تربيـة طيبـة ولذلك عندمـا سئل رضى الله عنه عن معنى حـديث النبى ﷺ الذى يقـول فيـه: «**بئس الأثم أن يضيع المرء من يعـول**»[1]، كان مما قاله فى شرح ذلك الحديث: «كلمة بئس معناها الذم والوعيد لمن يوصف بهـا، وقد وصف بها الإثم كأن الآثام تتفـاوت فى مدارجهـا وفى النحوس والشقاء، وكان من أشدها جرماً وعناءا وعذاباً فى الدنيــا والآخـرة إهمـال الإنســـان أسرته وأبنـاءه وتضـيـيع الإنســـان لهـم وذلك بحرمانهم من أى حق من حقـوقهـم فى هذه الحيـاة كـالتعليم والتمـريض والتـغـذية الكافيـة ووقـايتـهـم من الشـرور والمفـاسـد وحـمـايتـهـم من البـرد والحـر الشــديدين وغــير ذلك من مرافق الحيــاة التى يعيشها الناس»[2].

ثانيـاً : إختيار الإنسان شريك حياته :

ويقصد بالإنسان هنا الرجل أو المرأة وضوابط الإختيار السليمة يجمعها رضى الله تعالى عنه فى النية وهى القصد الذى يدفع الإنسان للعمل، فالعمل لكى يكون عملاً صالحاً يعود أثره على صاحبه فى الدنيا والآخرة لابد أن يسبقه النوايا الطيبة

(١) رواه أبو داود عن عبد الله بن مسعود.
(٢) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٢٥.

والقـصـود الحسنة ولذا يوضح رضى الله عنه النوايا التى يجب على الإنسـان أن يستحضرها فى نفسه، ويضمرها فى فؤاده عند رغبته فى الزواج فيقول: «ينوى الإنسـان بهـذا الزواج إرضـاء الله، وإعـفـاف النفس، وإحـصـان الفـرج، ووضع لبنة صالحة فى صرح الأمة، ويقصد بذلك الزواج إيجاد العلائق الكريمة، والروابط الطيبـة بين الأسر، وتوفير المحبـة والتـآخى والتعـاون بين المجتمع، وتنشئة الأبنـاء على الخلق والفضيلة الحميدة ليكون قد قدم بذلك عملاً صالحاً وخيراً عظيماً، يعـود عليـه أثره وثوابه فى الدنيـا والآخـرة، ويتمـثـل ذلك فى قـول الله تعـالى: **﴿ربنـــا هب لنـا من أزواجنـا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماما﴾**[٣]، وقـول رسـول الله ﷺ: «**تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس**»[٤]، ثم يفـصـل رضى الله عنه الأسس التى يجب أن يراعيهـا الرجـل فى إخيار الزوجة وهى:

١- أن تكون على خلق فـاضـل ومـتـمـسـكة بدينهـا، لقـول النبى ﷺ: «**فاظفر بذات الدين تربت يداك**»[٥].

٢- أن تكون من بيت سليم من الأمراض النفسية والجسمية، وأن لا تكون من بنات العم أو الخال لقول النبى ﷺ: «**اغتربوا لا تضووا**»[٦].

٣- التقارب فى السن وفى الثقافة وفى الناحية المالية وأن تحوز الرضى والقبول، ولذا فيجب أن ينظر الرجل إلى المرأة التى يريد الزاج منها، وأن تنظر هى أيضاً إليه، حتى ترى منه ما تحبه ويرى منها ما يحبه، وذلك لأن الحياة التى تبدأ بالألفة والمحبة تدوم سـعادتها، ويعظم أثرها فى كل المجالات[٧].

---

(٣) سـورة الفرقان: الآية ٧٤.
(٤) خواطر إيمانية ص ٧، والحديث رواه ابن ماجه من حديث عائشة.
(٥) رواه ابن حبان من حديث أبى هريرة.
(٦) رواه إبراهيم الحربى فى غريب الحديث عن عمر.
(٧) باختصار من كتاب (توجيهات فى بناء الأسرة) ص ٥، ٦.

ثالثاً : القـدرة على المباشرة الجنسية :

وهى من أهم الشـروط التى لابد من توافـرها فى كل من الرجل والمرأة على السـواء فإنهـا من أهم مقـاصد الزواج ويتـرتب عليـهـا وجـود المحبـة بين الزوجين والرحمة بينهمـا، وإنجاب الذرية التى بها تتم سعادة الأسرة وينبنى المجتمع، وحول هذا المبدأ يقـول الله تعالى **﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزاجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إنّ فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾**(٨). وقد أشار النبى ﷺ إلى هـذا الأمـر بقـوله: «**يا مـعـشـر الشـبـاب من إسـتطاع منـكم البـاءة فليتـزوج فإنه أغض للبـصر وأحـصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء**»(٩). وأيضاً أوضح الله سبحانه وتعالى فى كتابه العزيز ضرورة توفر مبدأ القـدرة على الزواج ونفـقاته وتربية الأبناء وتنشئـتهم فقـال جلت قدرته: **﴿وليستعفف الذين لا يجدون نكاحاً حتى يغنيهم الله من فضله﴾**(١٠). ويجـمل رضى الله تعالى عنه ما سبق فيقول: «مع أن الزواج أصل عظيم من أصول الإسلام ورغب الإسـلام فيـه بشتى الطرق إلا أنه حاطه بسيـاج قـوى من الأسس والقـيم التى تحفظ عليه قدسيته وروابطه، فإذا انعدمت هذه الشروط أو بعضها نجد الإسلام يأذن بتأخير الزواج لأنه يصبح عائقاً فى وجه الحياة السليمة والعيشة الطيبة وإن تم الزواج فى هذه الحالة فسيكون نوعاً من العبث بالحياة وقيمها ويترتب عليه الشقاء والمتـاعب لذلك نرى الإسلام يتدخـل لتفرقة هـذه الحيـاة الهزيلة التى تمت فى الظـلام وتحت شـعـار التغـرير وعـدم الفـهم الصـحيح للزواج قـال تعـالى: **﴿وإن يتفرقا يغنى الله كل من سـعته﴾**(١١).

(٨) سـورة الروم : الآية ٢١.

(٩) متفق عليـه.

(١٠) سـورة النور : الآية ٣٣

(١١) خواطر إيمانية ص ٨.

رابعـاً : تربيـة الأبنـاء وحسن رعايتهم :

ويركز رضى الله تعالى عنه بصفة خاصة على هذا الجانب لأهميته بالنسبة لاسقرار الأسر، واتزان الأفراد، وسعادة المجتمعات، ولذلك نجده يبرز جوانب رعاية الأبنـاء فى شتى مراحل حياتهم، بل إنه يحرص على وجود هذه الرعاية قبل إيجادهم وسنوضح خطوات الرعاية التى رتبها رضى الله عنه للأبناء على سبيل الإختصار فيما يلى:

الواجب نحـو الإبن جنينـاً

ففضلاً عن مراعاة الأسس الشرعية فى إختيار الزوجين وهو أصل عظيم فى العناية بالأبناء يوجب الإسلام على الأبوين نحو جنينهما ما يلى:

١ – أن تتناول الأم الأغذية الجيدة الطيبة الحلال حتى يتكون الجنين تكويناً سليماً قوياً ويقوم بتوفير ذلك الغذاء الوالد أو ولى الأمر.

٢ – أن لا يتعرض له أحد بسوء كالإجهاض أو تعاطى الأدوية التى تضر به ويوضح رضى الله عنه حكم الدين فى الإجهاض فيقول: «فى هذه المراحل الأربعة، التى هى العلقة والمضغة والعظام واكتساء العظام باللحم يكون الإجهاض حراماً، وتتضاعف فيها حرمة التعرض للجنين من مرحلة لأخرى، كل مرحلة بقدرها، إلا أن الإجهاض فى تلك المراحل لا يكون قتلاً، لأن القتل لا يتحقق إلا بعد أن تدخل الروح إلى الجسم، وذلك إنما يكون بعد تلك المراحل الأربعة. وقد قدر العلماء هذه المراحل بفترة زمنية قدرها أربعة أشهر قمرية من بدء حمل المرأة، وإن المرأة بعدها تحس بحركة الجنين فى أحشائها وعند ذلك يكون الإجهاض قتلاً لإنسان وجدت فيه كل مقومات الحياة الإنسانية، وكل من أعان على عملية الإجهاض فى هذه الحالة يعتبر جانياً ومشتركاً فى جريمة القتل. ولا يجوز الإجهاض بحال من الأحوال بعد ذلك إلا إذا قرر الطبيب العدل المختص أن بقاء الحمل فيه خطورة على حياة الأم، وحينئذ يكون الإجهاض أمراً إضطرارياً ويدخل تحت القاعدة القائلة «الضرورات تبيح المحظورات». وهى مأخوذة من قول

الله عز وجل: ﴿**فمن اضطر غير باغ ولا عاد فلا إثم عليه**﴾[١٢]. ومع ذلك فإن من يباشر هذا العمل يستغفر الله ويعتذر إليه من هذه الضرورة التى ألجأته إلى مباشرة هذا العمل، والله شاهد ورقيب وحسيب وليس بغافل عما يعمل الناس، قال جل شأنه مشنعاً على من يأتى هذا الفعل بغير حق: ﴿**من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً**﴾[١٣].

٣- توفير الجو الصافى له فى البيت، حتى لا يتأثر بالخصومات والمنازعات التى تثار فى محيط الأسرة، فيصاب بالإهتزازات النفسية والأمراض العصبية، كذلك يحظى الجنين بحب الأبوين والرغبة فيه حتى يحرصا على خلق المناخ الطيب له. ولذا يوضح رضى الله عنه الواجب على الزوجين إذا حدث بينهما خلاف فيقول: «وإن الحياة الأسرية لا تخلو من بعض المشاحنات والمنازعات وسوء التفاهم وعلى الزوجين أن يتجنبا هذه الأمور أمام أولادهما صغاراً كانوا أو كباراً، حتى لا يتأثروا بهذه المواقف الصعبة وينحاز فريق منهم للأب وآخر للأم أو يتحيزوا جميعاً إلى واحد منهما أو يتركوا البيت ويهربوا منه فتسوء حالتهم وينحرفون عن الصراط السوى. وإنه يجب على الزوج وهو رب الأسرة إذا احتدم النزاع بينه وبين زوجته أن يخرج من المنزل فوراً إلى أى مكان حتى تهدأ العاصفة وإن عاد بعد ساعة أو أكثر فيعود بوجه غير الذى خرج به من البيت؛ حتى يعالج هذه المنازعات بروح الدين الشريف ويغير هذا الجو المتعكر وإذا لم يخرج الزوج وجب الزوجة أن تقطع دابر الشيطان وتدخل إلى حجرة من المنزل بعيدة عن مكان النزاع حتى يتغير هذا الوضع»[١٤].

٤- يكون مسكن الأسرة صحياً ومناسباً لحياة الإنسان وعن شروط هذا المسكن يقول: «يجب على الأبوين الحرص على إيجاد المسكن الصحى قبل الزواج، وليس

---

(١٢) سورة البقرة: الآية ١٧٣.
(١٣) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ١٨. وسورة المائدة: الآية ٣٢.
(١٤) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٢٨، ٢٩.

معنى ذلك أن يكون شقة واسعة مفروشة بالرياش والأساس ونحو ذلك مما يحتفل به الناس اليوم، كلا بل المسكن الصحى حجرة واحدة بمنافعها يدخل إليها الهواء والضوء من النافذة ومجهزة بما تيسر من المستلزمات الضرورية للأسرة»(١٥).

الواجب نحــو المولود

إذا خــرج الجنين إلى الحيــاة فيـجب إماطة الأذى عنــه ولفــه فى مـلابس ملائمـة له، وتسمـيته إسمـاً كريماً يعتز به إذا كبر وأدرك، ويضـفى عليه بهـجة وسروراً، والأذان بصـوت خافت فى أذنه اليمنى، وإقامة الصلاة فى أذنه اليسرى، وتعويذه بالأدعية الواردة مثل: (أعيـذه بالواحد من شر كل حاسد) وبسورة الفلق والناس والفاتحة، وتقوم الأم بإرضاعه من لبنها، ولأهمية الرضاعة الطبيعية للطفل تحـدث رضى الله عنه عن حكمتها، ثم بين كيفيتها.

أسرار الرضــاعة

ويسوقها رضى الله عنه أثناء شرحه لقول الله عز وجل: ﴿**والوالدات يرضـعن أولادهن حـولين كـاملين لمن أراد أن يتم الرضـاعـة وعلى المولود له رزقـهن وكسـوتهن بالمعروف**﴾(١٦). فبعد أن بين بلاغة القرآن وإعجازه فى توجيه الأمر للأم بإرضاع ولدها بنفسها، إلا أن يكون بها مرض فتقوم أخرى بإرضاعه باللبن الذى يناسبه، أو ترضعه من اللبن المعد بمعرفة الطبيب المختص، بين أسرار الرضاعة فقـال: «ولا يقــدر إنســان مـهـمـا أوتى من علم أن يحيط بكل هـــذه الحــكم، وهــذه الحكم حسية ومعنوية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

١ - أن الأم ترضع الولد مع لبنهـا الرحـمـة والعطف والحنان والحب والوفـاء والإخلاص والبر والود والإحسـان. ومعـان كثيرة تتعلق بصفات الأم من الإيمان والشجاعة والثبـات على المبـدأ والتفانى في سـبيل الحق والواجب وحب الوطن وغير ذلك من قول الله تعالى: ﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه﴾.

---

(١٥) حقوق الإنسان في الإسلام ص ٩.
(١٦) سورة البقرة: الآية ٢٣٣.

فالأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

أما بعض الحكم المادية التى تكون فى إرضاع الأم طفلها من لبنها فهى كثيرة جداً وقد كشف عنها الطب، فلبن الأم يتكون من الغذاء الذى تأكله وعناصر أخرى فى جسم أجهزة الأم الذى يتكون الطفل منه فهو يناسب طبيعة الطفل وقدرته على الهضم والإمتصاص. وكذلك يتناسب مع نمو الطفل فلبن الأم له ميزات خاصة وآثار كبيرة فى نموه لا توجد فى أى لبن آخر مهما كان»(١٧).

تأخير الحمل أثناء الرضاعة

يجب على الأم أن لا تحمل أثناء الرضاعة لأن ولدها لم ينفصل بعد عنها، ولا ينبغى لها أن ترضعه بعد الحمل، فإن الحمل يفسد لبنها ويؤذى طفلها، هذا ما يؤكده رضى الله عنه عند شرحه الوافى لحديث رسول الله ﷺ: **«لا تقتلوا أولادكم سراً فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه»**(١٨) حيث يقول: «ومن هنا نجد الإسلام يفسح صدره فى هذه الفترة المهمة من حياة الطفل ويوصى بل ويأمر بأن تمتنع الأم عن الحمل فى هذه المدة بوسيلة أو بأخرى حتى يتم فطام الولد بعد عامين كاملين من ولادته... ويسترسل فى شرح الحديث قائلاً: ... ومعنى الحديث والله أعلم أن لا تأتوا الأمر المستتر بينكم وهو الوطأ أثناء إرضاع أولادكم فيتسبب عنه الحمل الذى يودى بحياة أولادكم وهذا توجيه كريم من رسول الله ﷺ، وتنبيه إلى أن مباشرة الزوجة أثناء رضاعها إغتيال لحق الطفل وهضم له لأن فى هذا هلاك له سراً أى بطريقة لا يعرفها أحد إلا الخاصة من الأطباء والعلماء بسنة رسول الله ﷺ لأنه هو الطبيب الذى بعثه الله لعلاج الإنسانية، وحل مشاكل المجتمع فى كل ناحية من نواحى الحياة»(١٩).

---

(١٧) خواطر إيمانية ص ١٢.
(١٨) رواه أحمد والسيوطى فى الجامع الكبير عن أسماء بنت زيد.
(١٩) خواطر إيمانية ص ١٥، ١٦.

حكم تنظيم الإنجاب

وحرصاً على المولود وشفقة عليه، ورغبة فى الحفاظ على المودة والرحمة بين الزوجين يبيح رضى الله عنه تنظيم الإنجاب بالوسائل الطبية الحديثة فيقول: «مع ملاحظة أن الرسول ﷺ قال: «لا تقتلوا أولادكم سراً» كأن حمل المرأة أثناء إرضاعها الطفل قتلاً له، وهذا جرم يحرمه الإسلام وكل الشرائع، وفى تعبير النبى بقوله فإن الغيل يدرك الفارس فيدعثره عن فرسه يشير إلى عدم مباشرة الزوجة مدة الرضاعة والزوج لا يستطيع صبراً عن زوجته مدة الحولين ولذا فقد يسّر الله للزوج أمر العزل أو تعاطى العقاقير التى قدتؤخر الحمل لحين فراغ الأم من إرضاع طفلها وفطامه، وفى ذلك تيسير على الناس وعدم إيقاعهم فى الحرج أو المشقة والعنت ولا يكون فى ذلك قتلاً للذرية كما يدعى البعض»(٢٠).

وعن كيفية تنظيم الإسلام للإنجاب حرصاً على حق الطفل المولود، ورعاية لصحة الأم يقول رضى الله عنه: «إن مدة الحمل المعتادة تسعة أشهر تضاف إلى مدة الرضاعة فتصير فترة الحمل والرضاعة ثلاثة وثلاثون شهراً وهى فترة العناية بالإنسان الذى يستقبل الحياة على وجه الأرض وهى أهم مراحل عمره ولذلك بذل الإسلام جهوداً كبيرة لرعاية الطفل فى هذه المرحلة، وبعد فترة الرضاعة وهى تسعة أشهر وسنتان لا مانع بعدها من تجدد الحمل مرة أخرى إذا لم تكن هناك عوائق غير ما تقدم تمنع من الحمل وكانت ظروف الأسرة مهيأة لاستقبال حمل آخر»(٢١).

---

(٢٠) خواطر إيمانية ص ١٦.

(٢١) خواطر إيمانية بتصرف ص ١٨، ١٩.

اليوم السابع للمولود

يقوم والده فى اليوم السابع من ميلاده بحلق شعره والتصدق بوزنه فضة أو ذهباً إن أمكن، فإن لم يستطع يتصدق بما تيسر من النقود، ويختنه إن كان ذكراً، ويعق عنه بذبح عنز أو شاة يطعمها الأهل والأقارب والأصدقاء والفقراء إن تيسر له ذلك وعن عادة السبوع الذى يعمله الناس الآن يقول رضى الله عنه: «هو عادة طيبة لا بأس بها لأن أهل المولود يقدمون بعض الهدايا البسيطة لأهليهم وجيرانهم وأصحابهم فرحاً بالمولود، ولكن هذا لا يغنى عن السنن والآداب التى أشرنا إليها»(٢٢).



(٢٢) توجيهات فى بناء الأسرة ص ١٢.

الفصـــل الثـــانى

منهج الإســلام فى تربية النشء

ويوضح رضى الله عنه الهـدى النبـوى فى تربيـة النشء، وذلك على ضـوء التقسيم الذى أشار إليه الحديث النبوى الشريف: «لاعبوهم سبعاً، وأدبوهم سبعاً، وصاحبوهم سبعاً، ثم اتركوا لهم الحبل على الغارب»(٢٣)، فيقسم مراحل تربية النشء إلى ما يلى:

١- المرحلة الأولى : الملاعبـة : وفى هذه السن يحتاج الطفل إلى محاكاة الأبوين أو الرائدات بدور الحضانة، وهنا يجب أن تكون القدوة سليمة ومستقيمة وواعية ومتحركة مع الأطفال وأن يمنح كل طفل ما يناسبه من الرعاية حسب طاقاته الذهنيـة والصحية، وفى هـذه السن يمكن إكتشاف المهارات والقـدرات لدى الأطفال، ويزيد رضى الله عنه هذا الأمر وضوحاً فيقول: «وعلى المنزل أو دور الحضانة إحضار اللعب للأطفال والنزول إلى مستواهم واللعب معهم حتى يكون اللعب مهذباً ومجدياً للأطفال. وقد كان رسول الله ﷺ يلاعب الأطفال ويسألهم عن أدوات اللعب ويمسح على رؤوسـهم ويحـملهم ويقـبلهم ويعطيـهم الحلوى ويؤانســهم ويمازحـهم وكـان إذا ركـب على ظهـره أحـد أحفـاده وهو سـاجد انتظره حتى ينزل ثم يرفع من سجوده ولما قيـل له فى ذلك قال عليـه السـلام: **«إن إبنى ارتحلنى فكرهت أن أستعجله»**(٢٤).

٢- المرحلة الثانية : التأديب : وهى من أخطر المراحل فى حياة الطفل ويتم التأديب أو التعليم فيها فى أيامنا هذه عن طريق المناهج الدراسية التى وضعتها وزارة التربية والتعليم وعنها يقول رضى الله عنه: «وهى وافية بالغرض لو أحسن المربون أدائهـا فإنهـا فى غاية الجودة والكمال، وتحتاج إلى القـدوة الطيبة، والصادقين

---

(٢٣) رواه أبو الشيخ ابن حبان عن أنس.

(٢٤) توجيهات فى بناء الأسرة ص ١٤، ١٥. والحديث رواه النسائى والحاكم عن عبد الله بن شداد.

من الأســاتذة لكى يسـيروا بأبناءهم إلى الخـير والمجـد المنشـود، ثم يقـول: ومن لم يسعفه الحظ بدخول المدرسة، وذهب يتعلم حرفة أو صنعة فعلى والديه وعلى شيخ الحرفة والصنعة أن يقدموا له الزاد الكافى من الدين والأخلاق والأمانة والعفة مع تعليمه الصنعة، وهكذا فكل راع مسئول عن رعيته»(٢٥).

وفى هذه المرحلة أيضاً يجب تنفيذ التوجيه النبوى الشريف الذى يقول فيه ﷺ: «**مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين، واضربوهم عليها لعشر سنين وفرّقوا بينهم فى المضاجع**»(٢٦). وعن الصلاة فله رضى الله عنه رأى لم يسبقه أحد من الفقهاء إليه وذلك حيث يقول: «وإننى أرى أن يصلى الصبيان خلف الرجال ولكن يصلى معهم أولياءهم يتخللون صفوفهم حتى يحكمون حركتهم فى الصلاة ويخشى الصبيان من آبائهم فلا يلعبون ولا يتزاحمون ولا يتصايحون ويمكن أن يصلى الصبيان بجوار الحوائط والأعمدة حتى يحسوا بأنهم كبار فيحترمون الصلاة، وهذا الرأى وإن كان يخالف ما عليه المسلمون من قبل، لكن هذا الزمن يختلف عن زمانهم وعلى العلماء أن يجتهدوا للمسلمين، ويروا ما هو خير لهم ويرشدونهم إليه»(٢٧).

وأما عن التفريق فى النوم فيبين حكمته فيقول: «النوم عورة من العورات التى يجب سترها ومعنى ذلك أن الإنسان فى حالة النوم قد يتعرى ولا يدرى، وقد يلقى بيده أو رجله على من ينام معه ولا يحس، وقد تقع يده أو رجله على مكان عفة النائم بجواره وهو لا يشعر، لكل ذلك وغيره كان التفريق بين الأبناء فى النوم أمر واجب»(٢٨).

---

(٢٥) توجيهات فى بناء الأسرة ص ١٥.
(٢٦) رواه أحمد والخرايطى فى مكارم الأخلاق عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده.
(٢٧) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٢٠.
(٢٨) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٢١.

ثم يوضح كيفية هذا التفريق ويرى أن يتم بين الذكور والإناث بحيث يكون للذكور غرفة، وللإناث حجرة، ثم بعد ذلك يتم التفريق بين أبناء كل صنف وذلك يكون بجعل سرير لكل منهم إن إمكن، أو وضع حاجز بينهم إن كانوا على سرير واحد، أو ينامون على الأرض من غير أسرّة»(٢٩).

وينبه على ولاة الأمور أن يلاحظوا فى منهج التأديب أن يشمل ما أشار إليه الحديث النبوى الشريف الذى يقول: «**أدبوا أولادكم على ثلاث خصال حب نبيكم وحب آل بيته وتلاوة القرآن فإن حملة القرآن فى ظل عرش الله يوم لا ظل إلا ظله مع أنبياءه وأصفياءه**»(٣٠).

ويرى رضى الله عنه أن الأجهزة المسئولة عن تربية النشء هى المنزل، والحضانة، والمدرسة، والنوادى، والمساجد، وتفصيل دور هذه الأجهزة مبسوط فى كتابه توجيهات فى بناء الأسرة.

٣- المرحلة الثالثة : المصاحبة : والمصاحبة هى المرافقة والمؤاخاة وذلك بأن يشركه فى جميع الأمور المنزلية والعملية والعلمية التى تعيش فيها البيئة ويحمله مسئوليات يقوم بها تحت الملاحظة والإختبار، ويكلفه المهام اليسيرة والسهلة ويوجهه لكيفية الأداء والتنفيذ، ويصوب له أخطاءه ويعطيه الفرصة بعد الفرصة لكى يتدارك ما أخطأ فيه وهكذا حتى سن الواحد والعشرين سنة، وعن هذه الفترة يقول: «وهذه هى فترة التجربة والخطأ والتصحيح والتمرين على حمل الأعباء، وفى نهايتها يصبح الواحد منهم قادراً على سياسة الأمور وتدبير الشئون، وقد نضج عقله ولا خوف عليه بعد ذلك، فنتركهم يسيرون فى أمور الدنيا والدين ويتحملون الأمور المنوطة بهم ونقف من ورائهم نراقبهم من بعيد كما يراقب صاحب الدابة المعلمة والمدربة كيفية تصرفها نحو مهمتها التى كلفت بها مثل كلاب الصيد ونحوها من الطيور والسباع المتعلمة»(٣١).

---

(٢٩) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٢١.
(٣٠) رواه الشيرازى والديلمى وابن النجار فى تاريخه عن على.
(٣١) توجيهات فى بناء الأسرة ص ١٥، ١٦ بتصرف.

مشكلات الأبناء مع الآباء

كثيراً ما يحدث مشكلات بين الأبناء والآباء وهي ترجع إلى الجهل بالحقوق والواجبات الشرعية، أو إلى الشـدة البالغـة من الآباء، أو الغرور والطيش من الأبناء، أو لغيرها من الأسباب، وقد تناول رضى الله عنه هذه المشكلات بالبسط والتحليل وخاصة المشكلات التي تجعل الأبناء فى حيرة ربما لإحساسهم بالعجز عن إرضاء الآباء، أو لشعورهم بأنهم عاقين فى نظر الآباء بلا سبب فعلوه أو جرم إرتكبوه وسنشير إلى بعض هذه المشكلات على سبيل المثال:

١ - العقـوق وعـدم الرضـا :

فبعض الوالدين يعامل إبنـه معاملة قاسـية وغليظة ويهـدده بعـدم الرضا عنه مع أن الإبن فى غاية الإستقامة والطاعة لهما ويحاول إرضاءهما بكل ما يقدر عليه وعن هذا يجيب رضى الله عنه فيوضح معنى العقوق الذى يشير إليه الشرع بأنه: «أذية الأب أو الأم وإهانتهما وضربهما وشتمهما بالكلام البذىء الجارح، وهضم حقوقهما وغصب مالهما، وما إلى ذلك من الأشياء المحرمة شرعاً»(٣٢). ثم يوضح حقيقة موقف الإبن المطيع والوالدين الساخطين بلا سبب فيقول: «أما الإبن الذى يحسن إلى والديه ويعاملهما معاملة كريمة ويطيع أمرهما ويجتهد فى إرضائهما ويبتعد عن كل ما يحزنهما أو يغضبهما ويتقى الله فيهما ومع ذلك فإن أباه أو أمه غير راضين عنه فإن ذلك من إساءة الأبوين لإبنهما وعقوقهما له، وذلك أيضاً أمـر حرمـه الله على الوالدين وإن الرجـل الذى ذهب إلى أمـير المؤمنين عمـر ابن الخطاب وشكا إليه عقوق إبنه فاستدعى أمير المؤمنين الإبن وقال له: كيف تعق أباك وأنت تعلم أن ذلك من الكبائر؟ قال له: يا أمير المؤمنين إن أبى عقنى قبـل أن أعقه قال: وكيف ذلك؟ قال: إختار لى أماً زنجية، وسمانى جعراناً ولم يعلمنى شـيئاً من القـرآن، فقـال أمير المؤمنين للرجـل: إذهب وأحسن صحبة ولدك فإنك قد عققتـه قبـل أن يعقـك»(٣٣).

(٣٢) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٣٥.
(٣٣) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٣٥، ٣٦.

أما الأب أو الأم التى تقول لإبنها أنا غير راضية عنك مهما تعمل وأنا أدعو عليك دائماً أن لا يريك الله طيباً وأنت ابن عاق إلى غير ذلك من التهديد والوعيد والإبن لا يفعل شيئاً يستحق عليه ذلك فيقول فى ذلك رضى الله عنه: «إن الله سبحانه وتعالى ليس على رغبة أحد ولا على هواه قال تعالى: **﴿ولو اتبع الحق أهواءهم لفسدت السموات والأرض ومن فيهن﴾** [سورة المؤمنون: الآية ٧١]، وإن الله لا يظلم أحداً مثقال ذرة ولا أقل، وإنه يطلع على القلوب والأعمال لا على الصور والأموال وإن الله يجازى الوالدين على هذا القول الذى يخالف الحقيقة والواقع لأنه يعتبر من البهتان والإفتراء الذى يجب التوبة إلى الله منه والإعتذار إلى الإبن عنه، فإن لكل إنسان حقاً قِبل الآخرين سواء كانوا آباءً أو أبناء أو غيرهم»(٣٤).

وإن كان يوصى الإبن أن يقابل جفوة الأبوين بالصبر والتحمل ومصاحبتهما بالمعروف وإطاعة أمرهما وإزالة هذه الجفوة بكل الوسائل حتى يرضى الله ورسوله فيهما ويرضى بقية الأسرة.

٢- هضم الأبناء حقوقهم :

وذلك أن بعض الآباء المستبدين يكلف إبنه بالعمل معه ولا يعطيه أجراً أو يعطيه أجراً لا يكفيه، وكذلك بعض الآباء يريد الإستئثار بمال إبنه والتصرف فيه على وفق هواه وهؤلاء يستندون إلى الحديث النبوى الشريف الذى يقول: **«أنت ومالك لأبيك»**(٣٥)، ولهؤلاء وأمثالهم يقول رضى الله عنه: «واجب الأب أن يعطى إبنه الذى يعمل عنده ما يكفيه ويكفى زوجته وأولاده بحسب العرف والعادة حتى يعيش إبنه العيشة اللائقة بأمثاله من غير هضم ولا جور وعلى الأقل

(٣٤) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٣٧.
(٣٥) أخرجه أبو يعلى عن عمر والطبرانى فى الصغير عن جابر.

يعطيه أجراً مثل زملاءه الذين يعملون عنده أو عند غيره. وإنه يجب على الإبن أن يبصّر والده باحتياجاته هو وأولاده من النفقات فإذا امتنع الأب عن تغطية هذه الإحتياجات أو امتنع عن إعطاءه أجر المثل فلا بأس إذاً من أن يترك الإبن أباه ويعمل عند غيره أو يعمل لنفسه حتى يسد حاجاته، وعن الجانب الآخر يقول رضى الله عنه:... أما قول النبى ﷺ: «**أنت ومالك لأبيك**» فإن معناه أن يأخذ الأب ما يحتاج إليه من مال إبنه ولو بدون إذنه كما لو كان يأخذ من ماله فإنه لا حرج عليه فى ذلك، وإذا أخذ الأب أو الأم من مال إبنهما أكثر من حاجتهما فإن ذلك يحتاج إلى إذن الإبن ورضاه، فإن الله قد وضع الحدود فلا يتعداها إلا الظالمون ونحن جميعاً مسلمون وقائمون بطاعة الله ورسوله»(٣٦).

٣- إلغاء شخصية الإبن :

هناك بعض الآباء يضغطون على أبنائهم نحو أمور معينة بحجة أنهم أعلم بمصالحهم وخاصة إذا كان الأمر يتعلق بمستقبل الأولاد، وعن هذا المسلك غير الحكيم فى التربية يقول رضى الله عنه: «ليس للأب أن يضغط على إبنه نحو أمر معين ولكن عليه أن يفتح الأبواب أمامه ويبصّره بمحاسن الأمر الذى يرجوه له حتى يكون عن رغبة واقتناع، وهذا معنى قول النبى ﷺ: «**وصاحبوهم سبعاً**» يعنى اتخذ من إبنك صاحباً تستشيره وتطرح الأمر أمامه ليفكر فيه ويقلب وجوه النظر، ويستشير نظراءه وإخوانه ويبدى رأيه صريحاً ثم يطرح الوالد رأيه أمام إبنه فى هذا الموضوع أيضاً، ويدلل كل منهما على وجاهة نظره ثم ينتهى الأمر بالأخذ بأحسن الرأيين، وبهذا يحس الإبن بمسئوليته ويشعر بمكانته فى الأسرة وهكذا تسير الأمور إلى الأفضل والأحسن»(٣٧).



(٣٦) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٣٨.
(٣٧) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٤٢، ٤٣.

الفصــل الثالث
عناية الإســلام بالمرأة

عنى الإسلام بالمرأة عناية كبيرة حتى أنه سوّى بينها وبين الرجل فى أشياء كثيرة منها التكاليف الدينية من الإعتقادات والعبادات والأخلاق والمعاملات وسوّى بينها وبين الرجل فى الأجر والثواب فى الآخرة قال الله تعالى: **﴿فاستجاب لهم ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض﴾**(٣٨)، فكانت المساواة فى الأجر والثواب لأنهما تساويا فى العمل وفى التكليف به من قبل الشارع الحكيم. وكذلك سوّى الإسلام بينهما فى طلب العلم وتحصيله، وفى العمل بحيث تتولى المرأة الأعمال التى تناسب فطرتها، وفى الحقوق المدنية كالملكية الخاصة بها، وتصرفها الكامل فيها، وفى ذلك يقول رضى الله عنه: «إن الإسلام منحها أهلية التصرف المطلق فى جميع شئونها، حتى تزويجها نفسها بدون ولى. حقوق لم تكن تحلم المرأة بها لولا الإسلام. وكذلك سوّى الإسلام بين الرجل والمرأة فى الإنسانية فاحترم إنسانيتها كما احترم إنسانية الرجل فهى لا تقل عن الرجل فى هذا الشأن لأنها إنسانة كاملة الأوصاف والمعانى كالرجل تماماً فى ذلك»(٣٩)، ولذا وجدنا الشيخ رضى الله عنه يولى عناية كبيرة لقضايا المرأة، ويقف فيها موقف المدافع عن حقوق المرأة التى أوجبها لها الإسلام وحاول بعض المتعصبين سلبها منها، ونرى ذلك واضحاً فى تصديه للقول الذى تردده الألسن على أنه حديث شريف ويتعللون به لإنقاص قدر المرأة وهو «النساء ناقصات عقل ودين» فيقول فى ذلك رضى الله عنه: «أعتقد أنه ليس حديثاً عن رسول الله ﷺ، وأن رسول الله لم يقل هذا الحديث، لأنه يتنافى مع أدب النبوة الكريم فى مخاطبة الناس وإرشادهم»(٤٠)، ويرى أن هذا القول لأحد العلماء المتقدمين ويقدم له العذر فى قوله هذا لأنه رأى من نقص المرأة عقلاً أن شهادتها على

(٣٨) سورة آل عمران: الآية ١٩٥.
(٣٩) حقوق الإنسان فى الإسلام ص ٤٦.
(٤٠) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٦٠.

النصف من شهادة الرجل فى الحقوق المالية، وأما النقص من ناحية الدين فلأنه رأى أن الصلاة تسقط من على المرأة فى حالات حيضها ونفاسها وولادتها، غير أنه يرد على هاتين الحجتين قائلاً: «قد ذكر الله العلة فى ذلك، وهى أن المرأة قد تنسى بعض ما شهدته أو سمعته، فتقوم الأخرى باستكمال الشهادة على وجهها وذكر ما نسيته الأولى، وحالة النسيان وعدم الإستيعاب هذه من طبيعة المرأة، وذلك من انشغالها بولدها أو بحملها أو بمن معها من الأهل والمتاع، وإن الله سبحانه لا يكلف نفساً إلا طاقتها، فطاقة المرأة فى هذا المجال على النصف من الرجل، فلم يكن عيباً فيها ولا نقصاً وقد قال ﷺ: **«إن الله وضع عن أمتى الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه»**(٤١)، ولكن الله عز وجل أراد أن يحيط حقوق الناس وديونهم بسياج قوى جداً، وأن يحصنه بحصن منيع من التوثيق والتأكيد، فأقام المرأتين مقام الرجل فى هذه الشهادة»(٤٢). وأما عن النقص من ناحية الصلاة فيقول: «وهذه الأمور من التحريم والوجوب إنما تستجيب المرأة فيها لأمر الله، فهو الذى حرّم عليها الصلاة فى هذه الأحوال، وهو الذى أمرها بالصلاة فى غيرها، فالذى يلتزم بأمر الله فى الفعل والترك لا يكون ناقصاً، وإنما يكون قائماً بأمر الله غير متبرم به. وينتهى بعد ذلك إلى هذه النتيجة.. وعلى ذلك فليست المرأة ناقصة فى تكوينها، ولا ناقصة فى تكليف الله لها، ولا ناقصة فى عملها، ما دامت قد التزمت بأداء ما أمرها الله به وانتهت عما نهاها الله عنه»(٤٣).

ويرى رضى الله عنه عدم مجابهة النساء بهذه الأقوال حتى وإن كانت وردت لأنها تهبط بالمرأة، وتفت فى عضدها، وتجعلها تحقد على الرجل الذى يلصق بها تهمة النقص ويوجه الدعاة إلى الأسلوب الأمثل فى هذا الأمر فيقول: «ويجب على

---

(٤١) رواه ابن ماجه عن ابن عباس.
(٤٢) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٦١.
(٤٣) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٦٢.

الأئمة والدعاة إلى الله أن يوضحوا ذلك وينشروه، خاصة فى الأوساط النسائية، حتى تقف المرأة على كرامتها ومكانتها»(٤٤).

وبعد أن يسوق الأمثلة الكثيرة لفضليات النساء وأثرهن ينبه إلى صحة الحديث الوارد عن رسول الله ﷺ فى هذا الشأن وهو قوله ﷺ: **«يا معشر النساء تصدقن وأكثرن من الإستغفار فإنى رأيتكن أكثر أهل النار تكثرن اللعن وتكفرن العشير. ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذى لب منكن، قيل: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: أما نقصان العقل فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وتمكث الليالى ما تصلى، وتفطر فى رمضان فهذا نقصان الدين»**(٤٥).

ويبين أن هذا الحديث خاص بطائفة معينة من النساء يقول فيهن: «وإذا أمعنا النظر فى الحديث الشريف وجدناه فى جملته موجه للنساء اللاتى يكثرن اللعن ويكفرن العشير، ويتغلبن على الرجال ويسلبن عقولهم بسبب ما يصنعن بأنفسهن من التجمل والتزين والتبرج أمام الرجال بما يؤثر على ذوى الألباب منهم فضلاً عن عامة الناس وهذا العمل لا يكون إلا من النساء المخالفات لأمر الله ورسوله، والخارجات على أحكام الإسلام الحنيف ولذلك يأمرهن رسول الله ﷺ بالإستغفار، وهو التوبة من هذه الأفعال الذميمة والأعمال القبيحة والصفات المشينة التى لا تليق بأى مسلمة من المسلمات، وأمرهن بالإكثار من الصدقة لتكفر عنهن هذه السيئات»(٤٦).

وبهذا البيان قد زال اللبس الذى يكتنف بعض العقول فى فهم معنى هذا الحديث الشريف الذى يعتبر قاعدة هامة من قواعد الإسلام، لأنه ينبنى عليه أحكام وآداب كثيرة تتعلق بالتربية والسلوك للرجل المسلم والمرأة المسلمة.

---

(٤٤) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٦٣.
(٤٥) رواه مسلم عن ابن عمر، وأحمد ومسلم والترمذى عن أبى هريرة.
(٤٦) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٦٦.

وبعد أن يفيض رضى الله عنه فى الحديث عن منزلة المرأة فى الإسلام يعالج بنزاهة بالغة، ودقة علمية رائعة الأمور التى تختلف المرأة فيها عن الرجل وهى القوامة والشهادة والميراث والطلاق والإنفاق، وقد تحدثنا عن الشهادة فيما سبق وسنوجز الحديث عن بقية النقاط فيما يلى:

١ - قوامة الرجل على المرأة :

إدعى بعض ذوى النفوس المريضة من هواة الغمز واللمز على الإسلام، أن جعل الإسلام القوامة فى الأسرة للرجل على المرأة نوع من الإستبداد والتسلط، فرد عليهم الشيخ رضى الله عنه قائلاً: «وليست قوامة الرجل على المرأة نوعاً من الإستبداد والتسلط، وإنما هو نوع من التعاون الذى زادت فيه أعباء الرجل لقوة شخصيته وقيامه بتحقيق العدالة بين أفراد الأسرة، وتقويم العوج فيها بالرفق واللين والحسنى من غير صلف ولا عجرفة»(٤٧).

وهو يرجع أسباب إعطاء الإسلام القوامة للرجل إلى أمرين:

أولهما : أن الله فضّل الرجل على المرأة لقوة التحمل فى إدارة الشئون، وصبره فى المعاملة مع الناس، وسعة أفقه فى الخبرة والتجربة، لأن طبيعته تقتضى ذلك، وقد أناط الله به الكدح والمغامرة والتصدى للأحداث التى لا تقدر المرأة على مواجهتها.

ثانيهما : أن الله فرض على الرجل التكسب للأسرة والإنفاق عليها والسهر على مصلحتها والضرب فى الأرض طولاً وعرضاً من أجل ذلك.

وفى ذلك يقول رضى الله عنه: «فالرجل يمتاز بهذه المعانى وهى من مرشحات القيادة والقوامة، وهى أيضاً عاطفة الأبوة وفطرتها، فى حين أن المرأة تمتاز بعاطفة الأمومة والحمل والولادة والرضاع، فكلٌ له طاقاته وقدراته التى ميزه الله بها، ليتم نظام الكون وتسير قافلة الحياة على أكرم مثال وضعه الله تبارك وتعالى.

---

(٤٧) حقوق الإنسان فى الإسلام ص ٣٦، ٣٧.

ثم يضيف قائلاً: ... والنقص إنما يكون فى الخروج على الفطرة والنظام الذى وضعه الله فى طبيعة كل من الرجل والمرأة، لأن الله خلقها أنثى وجعل لها مميزات لم تكن للرجل، كما أنه سبحانه جعل فى الرجل مميزات لم تكن فى المرأة»(٤٨).

٢- الإنفـــــاق :

وهو القيام بكل متطلبات الأسرة من الطعام والشراب واللباس والسكن والتعليم والعلاج وغير ذلك من المستلزمات التى تحتاجها الزوجة وأولادها، وقد فرض الله عز وجل كل هذه النفقات على الرجل، ولم يفرض على المرأة شيئاً منها بل أعفاها منها رحمة بها وشفقة عليها، وجعل لها القيام بتدبير المنزل ورعاية أبناءها وزوجها ويظهر ذلك فى قول الله عز وجل: **﴿والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن بالمعروف لا تكلف نفس إلا وسعها لا تضار والدة بولدها ولا مولود له بولده وعلى الوارث مثل ذلك﴾**(٤٩).

٣- الميـــراث :

تشدق بعض المغرضين بأن الإسلام هضم المرأة حقها وجعل لها نصف الرجل فى الميراث ونسوا أو تناسوا أن المرأة قبل الإسلام كانت لا ترث مطلقاً بل كانت هى نفسها متاع يرثها الأبناء والأحفاد، وجاء الإسلام فرفع قدرها وأعطاها الحقوق المقررة للرجل فلم يفرق بينهما إلا فى الميراث وبعض أمور أخرى؛ هذا فضلاً عن أن الأديان والملل والنحل الأخرى لا تعطى المرأة شيئاً قليلاً أو كثيراً، بل إن من يتشدقون بحقوق الإنسان من الغربيين يسلخونها من أسرتها وينسبونها لأسرة الزوج وإلى هؤلاء جميعاً يقول الشيخ رضى الله عنه: «وقد ورّث الإسلام المرأة وجعل لها نصف الرجل فى الميراث، وذلك لأن المرأة لها حقوق مالية أكثر من الرجل، فقد أعفاها من النفقة على نفسها بجميع أنواعها من الطعام والشراب

(٤٨) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٥٢، ٥٣ بتصرف.
(٤٩) سورة البقرة : الآية ٢٣٣.

واللباس والسكن والركوب والتمريض، وجعلها حقاً لها فى عنق وليّها قبل الزواج وفى عنق زوجها بعده، ولها كذلك حق المهر وحق المتعة إن طلقت، وليس عليها أى نفقات إلا إذا تطوعت بشىء لبعلها أو أبناءها أو والديها.

والمرأة بذلك تكون قد أخذت من الإسلام هذه الحقوق من ميراث وخلافه بدون أن يطلب الإسلام منها شيئاً، إلا ما كان حقاً لله فى مالها، كالزكاة والكفارات والفدية ونحوها، ولما كان الرجل هو الذى يتحمل عن المرأة أعباءها فقد ضاعف الله له حق الميراث قال الله تعالى: ﴿ **يوصيكم الله فى أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين** ﴾ [سورة النساء : الآية ١١]»(٥٠).

٤ – الطلاق :

ويحلو لبعض المتغربين أن يردد أن الإسلام أهدر حق المرأة فى الحرية والكرامة بجعله الطلاق فى يد الرجل فقط وإلى هؤلاء يقول رضى الله عنه: «وقد جعله الله للرجل دون المرأة لأن العصمة بيده بحكم أنه هو الذى يطلب الزواج ويسعى فيه ويتحمل تكاليفه، فكان حريصاً عليه أكثر من المرأة، وكذلك هو القيم على الأسرة والمدبر لشئونها، وله نظر بعيد وبصر نافذ فى معالجة المشاكل التى تعترضها بخلاف المرأة التى كثيراً ما تنقاد وراء العواطف والدموع.

وإن طريق الزواج ممتد على مدى الحياة، وإن القلاقل والهزات فيه كثيرة، وإن الرجل له قدرة على احتوائها أكثر من المرأة بحكم فطرته وطبيعته التى خلقه الله عليها، من أجل ذلك وغيره جعل الله حق الطلاق للرجل؛ وقد جعله للمرأة فى أضيق الحدود، وذلك إذا اشترطت فى العقد أن تكون العصمة بيدها وقبِل الرجل هذا الشرط»(٥١).

هذا وقد أحاط الإسلام الرابطة الزوجية بحصون منيعة تحميها من الزعزعة والإنهيار فأعلم الزوج أن الطلاق أمر يبغضه الله عز وجل بغضاً شديداً، وأعلمه

(٥٠) حقوق الإنسان فى الإسلام ص ٣٥.
(٥١) حقوق الإنسان فى الإسلام ص ٤٦.

أنه لا يجوز أن يطلق زوجته أثناء حيضها، وكذلك لا يجوز أن يطلقها فى طهر جامعها فيه، وأيضاً لا يصح طلاقه أثناء غضبه وخروجه عن صوابه بحيث لا يعقل الأمور ولا يدريها أثناء غضبه، وكذلك لا يقع الطلاق المعلق على فعل شىء أو تركه، وكذلك لا يقع الطلاق الذى أرغم عليه أو الطلاق الذى أراد به التهديد والتخويف ولم يرد به الطلاق، وقد شرعه الله للضرورة القصوى التى لا خلاص منها إلا بالطلاق، ومن أجل ذلك كان الطلاق بيد الرجل الذى يقدّر هذه المواقف ويحسب لها ألف حساب قبل الإقدام على الطلاق الذى يهدم بيت الزوجية ويشتت الأسرة، ومع ذلك قرر الإسلام للمرأة حق طلب الطلاق من زوجها وذلك لأسباب ذكرها رضى الله عنه هى:

أولاً : إعساره وعدم قدرته على الإنفاق عليها.

ثانياً : عجزه عن أداء العملية الجنسية.

ثالثاً : ضربها وأذيتها إيذاءً شديداً لا يليق بكرامة الإنسان.

رابعاً : الغياب عنها لمدة سنة.

خامساً : التزوج بثانية لأنها أضيرت بذلك مادام الزواج لغير علة بها أو سبب منها.

فى كل هذه الحالات لها الحق أن تطلب طلاقها منه، والقاضى يطلقها منه إن امتنع هو عن تطليقها»(٥٢).

وهكذا نجد الإسلام أباح الطلاق وأعطاه للرجل وأخذ عليه تعهدات وتحفظات كثيرة فلا يقدم عليه إلا مضطراً، وأباحه للمرأة فى أضيق الحدود، فهذا هو الحلال الذى لا يتناول منه أحد شيئاً غير المضطرين إليه.

---

(٥٢) حقوق الإنسان فى الإسلام ص ٢٥.

٥- قضية النشــوز :

ولأهمية هذا الموضوع لكونه مرض عضال يجب علاجه، ولأخذ البعض على الوســائل الإسلامية لعلاجه واتّهامهــا بالعنف والقســوة، عالج رضى الله عنــه هــذا الموضوع من جميع جوانبه وذلك بناء على الآية الكريمة: **﴿واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً ﴾** [سورة النساء: الآية ٣٤].

فيعرّف النشــوز بأنه: «عــدم امتثــال الأمر والتمــرد عليــه، مع أن هــذا الأمر فى مصلحة الحياة الزوجية وليس خارجاً عن طاقة الزوجة»(٥٣). ويذكــر أمــثلة للشذوذ أو النشوز لتوضيحه منها:

١- أن يطلب زوجها أن تفعل شيئاً معيناً فتمتنع وتصر على موقفها.

٢- أن يأمرها زوجها بترك شيء فتعاند وتفعله.

٣- أن يتكلم زوجهــا فى موضــوع ما فترفع صوتها عليــه وتتشاجر معــه بدون داع.

٤- أن يطلبهــا زوجهــا للفراش فلا تستجيب له أو أن يستأمنها على مـاله ومتاعه فتبــدده.

٥- أن تتدخل فى شئون تجر عليها وعلى زوجها الشقاء والتعب.

٦- أن تحدث النزاع والمشاكل بين الجيران والأقارب باستمرار.

٧- أن تضرب أولادها ضرباً شــديداً بغير ذنب وأن لا تستجيب لنصــح أو توجيــه»(٥٤).

---

(٥٣) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٥٦.
(٥٤) توجيهات فى بناء الأسرة ص ٤٣.

وطرق العلاج التى أشارت إليها الآية الكريمة كما يلى:

أن يقوم الرجل بتذكيرها ووعظها باللين والرحمة، وأن يوضح لها ما كان بينهما من حب ومودة ووفاء، ويبين لها مغبة هذا العمل وعاقبته فى الدنيا والآخرة، ويذكرها بحقوق الرجل على المرأة كما بينها الإسلام، ويترك لها فرصة تفكر وتتروى فيما قاله لها فإن استقامت بعد ذلك فبها ونعمت، وإن استمرت على ما كانت عليه من التلاعب فيهجرها فى الفراش، يعنى يترك مجامعتها ولا يأتى معها حالة الجنس، ولا يكلمها إلا لضرورة ويعرض عنها. فإن أتى ذلك بفائدة ورجعت إلى صوابها فلا بأس، وإن أبت فيضربها ضرباً غير مبرح. فقد تكون المرأة فى هذه الحالة كالطفل الذى يخوفه أبوه بالضرب ليحمله على الطاعة ويكرر ذلك مرة كل ثلاثة أيام وهذا مع الهجران والوعظ.

ويمكن علاجها بأمور أخرى منها الترغيب بأن يشترى لها كذا وكذا وأن يعطيها كذا وكذا، ومنها الترهيب بأن يمنع عنها ما تحبه وتشتهيه وهكذا فلعل ذلك يغير من سلوكها فإن أطعنكم فلا تعتدوا عليهن ولا تظلموهن ولا تسيئوا لهن ولا تمنعونهن من خيركم وبرّكم، ولا تبخلوا عليهن بما يطلبن من المتع والزينة التى أحلها الله لهن وهكذا نجد أن القرآن الكريم قد وضع الأمور فى غاية من الدقة والإحكام فقد وضع الله عز وجل هذا العلاج وقائياً من حالات النشوز التى قد تحصل من بعض الزوجات. أما اللواتى يرضين بحكم الله ورسوله ويجتهدن فى مرضاة أزواجهن ويحرصن على ذلك فقد وصفهن القرآن بأعظم الأوصاف، وأثنى عليهن ثناءً عاطراً كريماً هز أعطافهن وهيج مشاعرهن نحو المسارعة فى الإستجابة لله سبحانه والإلتزام بآدابه وأحكامه والعمل على إرضاءه عز وجل وإرضاء رسوله ﷺ فقال عز وجل: ﴿ **فالصالحات قانتات حافظات للغيب بما حفظ الله** ﴾ [سورة النساء: الآية ٣٤].

وهكذا نجده رضى الله عنه يذكر كل شىء يتعلق بالمرأة سواء من ناحية تربيتها أو حقوقها، أو زواجها أو طلاقها أو عملها أو حملها ورضاعها، حتى تفصيل ملابسها وتصميم الأزياء لها.

وذلك لبيان مدى الأهمية التى أولاها الإسلام لها والتى جمعها الشاعر الحكيم فى قوله:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

الباب الثامن

نهجه فى التربية الروحية

أولاً : المرشد الربانى
ضرورة التعرف على المرشد - صفات المرشد -
نورانية المرشد وشفافيته.

ثانياً : الأدب مع المرشد
نموذج قويم لأدب المريد مع شيخه - الغاية من الأدب مع المرشد -
من أدب السالكين - مِنَنْ العارفين.

ثالثاً : الأدب مع الإخوان
واجب الأخ نحو أخيه - الزيارة فى الله ورسوله.
آداب زيارة الإخوان فى الله.

رابعاً : الوصول إلى الله
١- اليقظة. ٢- جهاد النفس.
٣- التجمل بمكارم الأخلاق. ٤- الإستقامة.
٥- حقيقة الوصول إلى الله.

خامساً : مقامات القرب
جهاد المقربين - نعيم أهل القرب.
وصية للإخوان.

وهذا الباب هو زبدة هذه الأبواب كلها لأنه الباب الذى ظهرت فيه طاقاته الروحانية، وإشراقاته النورانية، وعلومه الوهبية، وليس من الإنصاف أن نأتى على هذا الموضوع فى باب واحد، وقد كان يحتاج إلى كتاب مفرد، كما أنه ليس من العدل أن نتحدث عن الشيخ وهو من كبار أرباب التربية الروحية الصافية فى هذا العصر دون أن نشير إلى شيء من نهجه فى التربية الروحية، لذلك اضطررنا إلى الحديث عن هذا الموضوع باقتضاب شديد على أن نعود إليه بالتفصيل فى كتاب آخر إن شاء الله حتى لا يخرج الكتاب عن حيزه وحجمه الذى أردناه له.

وسنركز فى عجالة سريعة على الأصول التى يجب أن يتمسك بها السالك، ويعيش فى نور أحوالها، ويتكمل بجميل نعوتها حتى يصل إلى رضوان الله عز وجل الأكبر ويدخل فى ميادين فضله الأزلية، ويرتع فى موائد كرمه النورانية، ويتقلب فى أبواب فتحه الذاتية. وهى كما يلى:

أولاً : المرشد الربانى

وهو الرجل العالم العامل الذى وهبه الله النور الكاشف للظلمات والشبهات، ومنحه الفقه فى دين الله، وتأويل المتشابهات، وفك رموز الخفيات من آيات القرآن وحديث رسول الله ﷺ، وهو الفرد الذى تتنزل عليه الفيوضات والإلهامات من العلوم الوهبية اللدنية، زيادة على ما حصله من العلوم الكسبية والإجتهادية، وهو العبد الذى آتاه الله رحمة فى قلبه بعباد الله حتى قام يبذل كل ما لديه لإخراج الناس من الظلمات إلى النور، ويبين لهم معالم الدين الحنيف، ويجدد آثار السنة المطهرة، ويعيد إلى الأذهان ما خفى من هدى الأئمة، وما اندرس من آداب وأحوال وسلوك السلف الصالح رضى الله عنهم.

ضرورة التعــرف على المرشــد

المرشد الكامل أمل المؤمن وبغيته، وطلب المحسن ومقصده، لأن صحبته تؤثر على نفسه تأثيراً مباشراً وعميقاً، وتجعل المؤمن يتشبه به فى سيره وسلوكه، وأخلاقه وآدابه، وتأثير الصحبة على النفــوس أمر لا يستطيع أحــد أن يتجاهله، قال ﷺ: «**المرء على دين خليــله فلينظر أحــدكم من يخالل**»(١).

ولذا نجــده رضى الله عنه يبين أهمية المرشـد وشـدة الحاجة إليـه فيقـول: «كان طلب المرشـد واجباً على المؤمن، لأنه يحمل المسـك وهو العـلم الذى يؤثر على النفوس، ويجد المؤمن رائحته فى نفسه فيهشّ له قلبه ويبشّ، ويشتاق المؤمن إلى الجمالات والكمالات الحقيقيــة من معــانى الدين الشريف، وهى الأمــور التى يتجدد بها الإيمان، من الحب فى الله، والبغض فى الله، والثقة بالله، والتوكل على الله، والتفويض لله، والصبر والرضى،والزهد والورع، والإيثار والبر والإحسان، والعفو والمسامحة، والصلة والمودة، والمروءة والنجدة والشجاعة، والبعد عن محارم الله وعن كل ما يكرهه الله ورسوله ظاهراً وباطناً، حتى يكون عبداً قائماً لله عز وجل بما يحبه ويرضاه، فى كل وقت من أوقاته، بل فى كل نفس من أنفاسه.

وهذا لا يكون إلا بصحبة العارف بالله، الخبير بأمراض النفوس وكيفية علاجها، لأنه يستخرج الشفاء من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

ويقـول أيضــاً:... والمرشـــد مطلوب من أجـل الترقى فى المقامات، والرفعـة إلى أعلى الدرجات، لأن المقــامات غيب خفى، والمرشـد ينزل بالسـالك فيهـا على قدر قواه الروحانيــة من غير إرهاق ولا إجحاف»(٢).

فالمؤمن الطالب للوصول إلى رضوان الله الأكبر، ومعية رسوله ﷺ، يجب عليه أن يلازم المرشد بقدر استطاعته، حتى يعيش فى دائرة الحياة الحقيقية التى دعانا الله

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٧٤، ٧٥.

عز وجـل إليهـا بقوله: ﴿ **يا أيهـا الذين آمنوا استجيبوا لله وللرســول إذا دعاكم لما يحـيـيكم**﴾(٣)، فإن انتقل المرشد إلى الحياة البرزخية، صاحب المريد أشبه الناس به فى أقواله وأعمـاله، وأخلاقه وآدابه وسيرته، حتى لا يحرم المؤمن من صحبة المرشد فى صورة من صوره القريبة منه فى المعانى والحقائق.

ويجمل رضى الله عنه كل ما سبق الإشارة إليه فيقول: «من هذا العرض السريع ينكشف لنـا ضرورة التعرف على المرشـد الكامل، ومجاهـدة النفس فى صحبته، وإن كان معنا وبيننا العلماء الحافظون لأحكام الشريعة، والمفتون لنا فى مشكلاتنا، إلا أن المرشد يكشف لنا عن أسرار هذه الأحكام وحكمتها، ويعرف أمراض النفوس وكيفية علاجها، ولأن حاله يشرق على النفوس فيزكيها، وعلى القلوب فيطهرها، وعلى الأرواح فيرقيها، وعلى الجوارح فتقشعر من خشية الله، وتلين إلى طاعة الله ورسوله، وإن الحكمة العالية تتراءى لنا من خلال أحاديثه، تهدى العقول والأفكار إلى سواء السبيل»(٤).

صـفات المرشـد

وللمرشد صفات كثيرة يتعرف بها عليه أشار إليها الله عز وجل فى قوله: ﴿**فوجد عبـداً من عبادنا آتيناه رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علماً**﴾(٥)، فقد كشف الله عن صفات هـذا الرجل بهـذه الآية الكريمة، وهى تقص علينا من أخبار سيدنا موسى وفتاه عليهم السلام، وهما يبحثان عن العبد الذى يطلبه سيدنا موسى ليتعلم منه ما لم يكن يعلم، وقد كان سيدنا الخضر مثلاً لهذا الرجل الذى يجدّد الله به معالم الدين، وسنة سيد المرسلين فى كل عصر من الأعصار، حتى تقوم الساعة، وأبرز الصفات التى يتحلى بها، والتى يمكن الإشارة إليها بناءً على استعراض كتبه رضى الله عنه ما يلى:

---

(٣) سورة الأنفال: الآية ٢٤.

(٤) مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثالث) ص ٨١.

(٥) سورة الكهف: الآية ٦٥.

١ – هو رجل يبين للناس كلام الله عز وجل، وحديث رسوله ﷺ بما يناسب عقولهم، مع الرحمة بهم، وذلك بالحكمة الرشيدة، والبصيرة النافذة، قال الله تعالى: **﴿قل هذه سبيلى أدعو إلى الله على بصيرة أنا ومن اتبعنى﴾**(٦).

٢ – هو رجل بلغ فى كمال اتباعه لسيدنا رسول الله ﷺ مقاماً لا يقدر معه أن يلتفت عن رسول الله طرفة عين ولا أقل، ولا أن يخالفه فى أى شىء مهما كان صغيراً.

٣ – هو عبد من عباد الله المخصوصين لذاته، والمفردين لحضرته جل شأنه، وقد آتاه الله رحمة من عنده تسع الناس فى عصره، فهو يعطى كل واحد منهم نصيبه من هذه الرحمة التى وهبها الله له.

٤ – هو رجل علّمه الله علماً من لدنه سبحانه وتعالى، وهذا العلم ينفع الله به الناس فى زمانه لأنه علم قريب العهد بالله، قد أكرم به من حضرة اللدنية الإلهية مباشرة بدون واسطة، وهى حضرة القرب الأقرب من الله عز وجل، وهذا العلم تقوم به الحجة على المعاندين والمجادلين، وتتضح به الطريقة والمحجة للمؤمنين والمسترشدين.

٥ – هو رجل ورث عن رسول الله ﷺ علوم الشريعة، وعلوم الطريقة، وعلوم الحقيقة.

٦ – هو رجل جعله الله خبيراً بمعانى تجليات الحق تبارك وتعالى، وعليماً بأسراره، وغيوبه القدسية، وجعله الله حفيظاً على هذه الأسرار والغيوب، فلا يبيح منها شيئاً إلا لأهلها بقدر طاقتهم، وحسب حاجتهم، قال الله تعالى: **﴿الرحمن فاسأل به خبيرا﴾**(٧).

٧ – هو رجل قلبه مع الله ورسوله دائماً أبداً، وإن كان جسمه مشغولاً بالأعمال الكونية، أو بهداية الناس إلى الله، فهو مع الحق بسره، ومع الخلق بجسمه.

---

(٦) سورة يوسف: الآية ١٠٨.
(٧) سورة الفرقان: الآية ٥٩.

٨- وهو رجل قائم لله بالحق لا يتزحزح عنه قدر أنملة، وإن خالفه الناس أجمعون، ولو اجتمعوا على أن يغيروا من موقفه ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً.

٩- هو رجل أذل نفسه للمؤمنين والمؤمنات، وأعزها على أهل الكفر أجمعين، فلم يقدروا على إذلاله وإهانته.

١٠- هو رجل يرجع الناس إلى أمره جميعاً عند اختلافهم حول مُحدثات الأمور من المشاكل التى لم يجدوا لها حلاً فى كتاب الله ولا فى سنة رسوله ﷺ، ولا فى أقوال الأئمة المجتهدين لأنه أعلم أهل زمانه بدين الله، سر قول الله تعالى: **﴿ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾**(٨)، لأن الله أقامه مقام رسول الله ﷺ، وألهمه الحكمة والصواب، وفصل الخطاب.

١١- وهو رجل فات المقامات، وتخطى المنازل بالنسبة للناس جميعاً فى عصره فلم يفته سابق منهم، ولم يدركه لاحق منهم، والله أعلى مقامه فوقهم جميعاً، وأخفاه عنهم، فإنهم يرونه مثلهم، ولكنه عند الله عظيم.

١٢- وهو رجل واحد فى الأمة، وله أبدال كثيرون يبلغون الناس ما علمه الله له، وما ألهمه به من الفقه فى كتاب الله، وفى سنة رسوله ﷺ، مما يحتاجه أهل عصره فى حل مشاكلهم، وتزكية نفوسهم قال الإمام على رضى الله عنه: «اللهم لا تخل الأرض من قائم لك بحجة إما ظاهراً مشهوراً وإما باطناً مستوراً لئلا تبطل حجج الله وبيناته» وقال سيدنا رسول الله ﷺ: «**إنّ الله يبعث على رأس كل مائة عام لهذه الأمة من يجدّد لها دينها**»(٩)، وعن هذا الرجل يقول رضى الله عنه: «هذا الرجل هو بغية كل مؤمن، ومقصد كل محسن، وأمل كل فرد من أهل الصفاء والإخلاص، وإن الكل يبحث عنه، ويسعى فى طلبه، اقتداء بسيدنا موسى عليه السلام وعملا بأمر رسول الله ﷺ فى حديثه الشريف الذى يقول فيه: «**اطلبوا العلم ولو بالصين**»(١٠). والعلم الذى أمرنا رسول الله ﷺ بطلبه إنما يكون

(٨) سورة النساء: الآية ٨٣.

(٩) رواه أبو داود عن أبى هريرة.

(١٠) رواه ابن عدى والبيهقى فى الشعب من حديث أنس.

عند العالم العامل، وعند الفرد الكامل، وهو علم الإيمان، وعلم تزكية النفوس، وعلم الوصول إلى الله عز وجل، وقال ﷺ أيضاً: «**استرشدوا العاقل ترشدوا، ولا تعصوه فتندموا**»(١١)، والعاقل هو الذى يعقل عن الله عز وجل آياته، ويعقل عن رسول الله ﷺ وصاياه وإرشاداته»(١٢).

نورانية المرشد وشفافيته

هذا وقد لمسنا هذه الصفات بل وأكثر منها فى هذا الرجل الذى أكرمنا الله به رضى الله عنه فقد كان هو المثال العملى لقول ابن مسعود رضى الله عنه: «لا تزالون بخير ما إن وجد فى صدر أحدكم شيء وجد من يخبره عنه» فقد كنا نذهب إليه وصدورنا جياشة بأفكار خاصة نريد عرضها عليه، أو أسئلة معينة نود معرفة إجاباتها، أو مشاكل خاصة تثير همومنا، فما إن نجلس إليه ويبدأ فى حديث معتاد حتى نجده يتولى الحديث عن أفكارنا، أو الإجابة على أسئلتنا، أو التعرض بالتوضيح لمشكلاتنا، وذلك قبل أن تتحرك شفاهنا بهذه الأشياء، وذلك من باب: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» [رواه الترمذى عن أنس]، بل الأكثر من ذلك أنه كان يشعرنا أثناء توجيهه لنا أنه مطلع على كل أحوالنا ببصيرته النورانية، وشفافيته الروحانية. فعندما كنت أطالع كتب القوم وتواجهنى معضلة ويتصادف أن نحضر معه لقاء بعدها إذا به يستعرض المشكلة فى درسه ويناقشها بإسهاب وبتبسيط يثير الإعجاب، وإذا كان الرأى الذى اطّلعت عليه غير واف بالمراد يبادهنى بمناقشته مع إضافة ما يراه مناسباً لإتمامه. ومن ذلك أنى كنت أطالع كتاب (كشف الغمة) للإمام الشعرانى، وفى باب (الإمامة فى الصلاة) منه، قرأت أن الزبير بن العوام وطلحة الخير بن عبيد الله عندما دخلا الكوفة، وصلّيا خلف أئمتها قالا لهم: «ما أحسن صلاتكم إلا أنكم تخالفون النبى ﷺ فى أمرين هما: أن أئمتكم لا يلتفتون إلى اليمين بعد انتهاء الصلاة،

(١١) رواه مسلم وأحمد عن أبى هريرة.
(١٢) قطرات من بحار المعرفة ص ١٣٢.

وتنصرفون من المسجد قبل انصراف أئمتكم، وقد كان ﷺ إذا سلّم من الصلاة التفت إلى يمينه ووجّه وجهه للمصلين خلفه، وكنّا لا ننصرف من المسجد إلا إذا انصرف ﷺ».

فلما ذهبت إليه إذا به يقول لى: هل قرأت شيئاً عن إلتفات الإمام بعد السلام؟ قلت: نعم، وذكرت له ما سبق، فقال رضى الله عنه مكملاً الحكم الشرعى: رأى الإمام مالك أن هذا فى غير مسجد رسول الله ﷺ، أما بمسجده صلوات الله وسلامه عليه فيلتفت الإمام إلى يساره حتى لا يواجه الحضرة المحمدية بظهره.

ومن ذلك أنه عندما أمرنى بالإرشاد، وكنت أتوجه بأمره إلى الجهات المختلفة للقيام بوعظ أهلها وإرشادهم، كان يتولى بعد عودتى وفى درسه تصحيح بعض المفاهيم التى ذكرتها، ويعيد توضيحها بما يلائم العصر مع اليسر، فقد كنت أنقل عن السابقين آرائهم وأستشهد بها فى دروسى، وربما لا أفطن أنها لا تلائم العصر، أو أنها تشدّد على الناس.

فكان يقول لى منبهاً وهو فى الدرس العام حتى لا يفطن إلى ذلك أحد. بعض الناس يقول فى هذا الموضوع كذا، والصواب الذى يجب أن نقوله للناس هو كذا ويذكر الأسباب ومثال ذلك موضوع (الموت) فقد كنت أركّز فى حديثى عنه عن شدّته ورهبته كدأب السابقين حتى سمعته يقول: يذكر الناس الموت ويذكرون ما فيه من شدة ورهبة ولا يفرقون فى شأنه بين المؤمنين وغير المؤمنين، وما قالوه حق وواقع ولكن بالنسبة للكافرين والمشركين والجاحدين، أما بالنسبة للمؤمنين فالأمر يتغير فهو بالنسبة لهم فرح بلقاء الله، وسرور بتكريم الله، وجعل يذكر من ضروب التكريم، وألوان النعيم التى يتلقاها المؤمن عند موته؛ ما جعل الحاضرون يحبون الموت ويتمنونه(١٣).

---

(١٣) ذكر الشيخ موضوع الموت بإسهاب فى كتاب (قطرات من بحار المعرفة) ص ٨٤ وما بعدها.

ومما أثار دهشة كثير من الإخوان، أنى كنت برفقته رضى الله عنه فى بلدة الرزيقات قبلى مركز أرمنت محافظة قنا، وقد توجه لزيارة بعض المرضى، وذهبت أنا والإخوان للمسجد، وحان وقت الظهر فصلينا الظهر ثم طلب بعض الإخوان منى درساً فتحدثت معهم شارحاً لحكمة من حكم الإمام أبى العزائم رضى الله عنه تقول:

الورثة أربعة :

١ – ورثة الأقوال : وهم حملة الشريعة الأمناء، الممنوحين الفهم.

٢ – ورثة الأعمال : وهم العبّاد الورعون.

٣ – ورثة الأحوال : وهم أهل المواجيد الصادقة المحدّثين.

٤ – الوارث الفرد الجامع.

وقد شرحت لهم حسب ما تيسّر الثلاثة الأولى؛ وهممت بشرح الرابعة وإذا بأخ يدخل علينا ويقول أجيبوا الشيخ، فقد أرسل يدعوكم. فقمنا وذهبنا إلى حيث يجلس الشيخ، ولما أخذ كل منا موقعه من المجلس، بدأ رضى الله عنه الحديث قائلاً، الورثة أربعة وذكرهم على سبيل السرد، ثم أخذ يشرح الوارث الرابع، أى من حيث انتهيت أنا، فكان مما قاله رضى الله عنه: «الوارث الفرد الجامع، وهو مشكاة المكانة المحمدية، وشجرة زيتونِ المثل الأعلى للمكانة الأحمدية، القائم بالقيوم الذى استظهر القرآن من لدن، ورتّله محادثة مع ربه بعد تلاوته، لأنه الفرد القرآنى وهو الذى أفرده الله بالإيتاء **﴿ولقد آتيناك سبعاً من المثانى والقرآن العظيم﴾** وعظمة القرآن حقيقة ثابتة، ولكن قول الله العظيم هنا إشارة إلى إقبال القلوب على الفرد القائم إقبالاً به يكون القرآن عظيماً فى نفوسهم بعد غفلة القلوب، ولكل وارث أصحاب، وإنما الرضوان الأكبر لأهل الفرد الوارث الجامع، لأنهم أهل الذكر الأكبر، وذلك لأنهم استغرقوا فى ذكر الله فى كل شأن، بعد أن أتقنوا الوضوء، وصلوا الركعتين لله، قال ﷺ: «**من توضأ فأحسن الوضوء، وصلى ركعتين لم تحدثه نفسه فيهما بشىء، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه**» والوضوء

طهارة الجوارح السبع حساً ومعنى، وهو المشار إليه بقوله ﷺ : «**فأحسن**» ، والصلاة تحقيق وتعيين والمرتبتين لحصول المواجهة حال الركوع والسجود، فتكون كل جارحة ذاكرةً لله بحسب أفقها المبيّن لها. وأصحاب الفرد الجامع بين مستحضر أو حاضر، فبدايتهم المراقبة من حيث الصحبة، فتراهم يدعون إلى الله فى بدايتهم كما يدعو غيرهم فى نهايته، وهم فى أنفسهم فى بداية المجاهدة، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، وهم صفوة الله من عباده، وخيرته من كل قرن، أما الفرد القرآنى فالكبريت الأحمر، اشتاق إليه وإلى أصحابه رسول الله ﷺ، وناهيك بهذا الفخر، وما مضى قرن من القرون بعد الصحابة، إلا وكل مستقيم يحن إليه ويتمنى رؤيته» .

فأتى بكلام أدهش الحاضرين. والأمر فى هذا يطول لو تحدثنا بكل ما لمسناه وشهدناه، فما بالك لو ذكرنا ما حدث بينه وبين الصادقين من الإخوان؟.

إن هذا لاشك يحتاج إلى مجلدات، ولكننا نكتفى بهذا القدر رغبة في الإيجاز، هذا فضلاً عن أنه رضى الله عنه كان لا يحب الحديث فى مثل هذه الأمور، ويتبرم منها، ويركز كل حديثه عن العلم ومناقشة المسائل العلمية النافعة للإنسان فى دنياه وآخرته. هذا ولم يقم رضى الله عنه بالدعوة إلى الله عز وجل إلا بعد أن رأى رسول الله ﷺ فى المنام وقال له: «إنا أقمناك لدعوة الخلق إلى الله عز وجل فى هذا الزمان» . فقام امتثالاً للأمر.

ثانياً : الأدب مع المرشد

أدب المريدين مع الشيوخ عند الصوفية من مهام الأدب حتى قالوا فى ذلك:

الزم الأدب وإلا فانتظر العطب، وقال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه: حافظ على الأدب ولو رقّيت إلى أعلى الرتب، وللقوم فى ذلك اقتداء برسول الله ﷺ وأصحابه، وذلك فى قول الله عز وجل: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدى الله ورسوله واتقوا الله إن الله سميع عليم﴾**(١٤)، ولأهمية هذا الباب نجد أن أئمة الصوفية قد استوفوا هذا الباب شرحاً وتحليلاً وقد جمع معظم هذه المعانى

(١٤) سورة الحجرات : الآية الأولى.

السهروردى رضى الله عنه فى كتابه النفيس (عوارف المعارف) وتلخيص هذه الآداب كما يلى:

١ – أن يكون المريد مع الشيخ مسلوب الإختيار لا يتصرف فى نفسه وماله إلا بمراجعة الشيخ وأمره وإذا كان معه فى أمر جامع لا يذهب حتى يستأذن منه.

٢ – ينبغى أن يلزم السكوت ولا يقول شيئاً بحضرته من كلام حسن إلا إذا استأمر الشيخ ووجد من الشيخ فسحة فى ذلك، وشأن المريد فى حضرة الشيخ كمن هو قاعد على ساحل بحر ينتظر رزقاً يساق إليه.

٣ – ينبغى أن يكون تطلعه إلى مبهم من حاله يستكشف عنه بالسؤال من الشيخ، على أن الصادق لا يحتاج إلى السؤال باللسان فى حضرة الشيخ بل يبادئه بما يريد، لأن الشيخ يكون مستنطقاً نطقه بالحق، وهو عند حضور الصادقين يرفع قلبه إلى الله ويستمطر ويستسقى لهم.

٤ – أحسن أدب المريد مع الشيخ السكوت والخمود والجمود حتى يبادئه الشيخ بما له فيه من الصلاح قولاً وفعلاً.

٥ – ينبغى للمريد أن لا يحدث نفسه بطلب منزلة فوق منزلة الشيخ.

٦ – لا ينبسط المريد بين يدى الشيخ برفع الصوت وكثرة الضحك وكثرة الكلام إلا إذا بسطه الشيخ.

٧ – ينبغى للمريد أنه كلما أشكل عليه شيء من حال الشيخ يذكر قصة موسى مع الخضر عليهما السلام كيف كان الخضر يفعل أشياء ينكرها موسى، وإذا أخبره الخضر بسرها يرجع موسى عن إنكاره، فما ينكره المريد لقلة علمه بحقيقة ما يوجد من الشيخ فللشيخ فى كل شيء عذر بلسان العلم والحكمة.

٨ – ومن الأدب: ألا يكتم على الشيخ شيئاً من حاله ومواهب الحق عنده وما يظهر له من كرامة وإجابة، ويكشف للشيخ من حاله ما يعلم الله تعالى منه، وما يستحى من كشفه يذكره إيماء وتعريض.

٩ – ومن الأدب: أن لا يدخل فى صحبة الشيخ إلا بعد علمه بأن الشيخ قيم بتأديبه وتهذيبه، وأنه أقوم بالتأديب من غيره.

١٠ – ومن الأدب: أن يراعى خطرات الشيخ فى جزئيات الأمور وكلياتها، ولا يستحقر كراهية الشيخ ليسير حركاته معتمداً على حسن خلق الشيخ وكمال حلمه ومداراته.

١١ – ومن أدب المريد مع الشيخ: أن لا يستقل بوقائعه وكشفه دون مراجعة الشيخ، فإن الشيخ علمه أوسع وبابه المفتوح إلى الله أكبر.

١٢ – ومن الأدب مع الشيخ: أن المريد إذا كان له كلام مع الشيخ فى شىء من أمر دينه أو أمر دنياه لا يستعجل بالإقدام على مكالمة الشيخ والهجوم عليه حتى يتبين له من حال الشيخ أنه مستعد له ولسماع كلامه وقوله متفرغ(١٥).

نموذج قويم لأدب المريد مع شيخه

وكمثال لهذا الأدب السامى نسوق ما ذكره الإمام القشيرى رضى الله عنه عن حاله مع شيخه أبى على الدقاق رضى الله عنه حيث يقول: «لم أدخل على الأستاذ أبى على –رحمه الله– فى وقت بدايتى إلا صائماً، وكنت أغتسل قبله، وكنت أحضر باب مدرسته غير مرة فأرجع من الباب احتشاماً من أن أدخل عليه، فإذا تجاسرت مرة ودخلت، كنت إذا بلغت وسط المدرسة يصحبنى شبه خدر حتى لو غرز فىّ إبرة مثلاً لعلّى كنت لا أحس بها، ثم إذا قعدت لواقعة وقعت لى لم أحتج أن أسأله بلسانى عن المسألة؛ فكلما كنت أجلس كان يبتدىء بشرح واقعتى، وغير مرة رأيت منه هذا عياناً، وكنت أفكر فى نفسى كثيراً أنه لو بعث الله عز وجل فى وقتى رسولاً إلى الخلق هل يمكننى أن أزيد فى حشمته على قلبى

(١٥) بتصرف من كتاب (عوارف المعارف للسهروردى) الباب الحادى والخمسون (فى آداب المريد مع الشيخ) ص ٤٠٣.

فوق ما كان منـه رحمه الله تعالى؟ فكان لا يتصور لى أن ذلك ممكن ولا أذكر أنى فى طول اختـلافى إلى مجلسه ثم كونى معـه بعـد حصول الوصلة أن جرى فى قلبى أو خطر ببالى عليـه قط اعتراض إلى أن خـرج -رحمـه الله تعـالى- من الدنيـا»(١٦).

الغاية من الأدب مع المرشد

وهكذا نجـد الأئمـة رضى الله عنهم يركـزون على هذا البـاب من الأدب ويجعلون عليه المعوّل فى رقىّ المريدين وحصول الفتح لهم ولذا نجده رضى الله عنه يذكر حال المريدين مع أشـياخهم بأسـلوبه الفـذّ الجـذاب فيقـول تحت عنوان (حال أهل الصـفا مع أئمتهم): «إنهم كانوا يرون فى أئمتهم الأسـوة والقـدوة التى يجب عليهم إتباعها، ويرون فيهم الكمال الذى يجب عليهم أن يسارعوا إليه وأن يلحقوا به، ويشهدون فيهم النور الذى يهتدون به، ويعتقدون فيهم الخير الذى يأمّلونه، وينشدون فيهم التقوى والصلاح الذى يرجونه، ويؤمنون بأنهم ورثة رسول الله ﷺ، ويلحظون بأن أولئك الأئمـة يتلقـون من الله الحكمـة وفـصل الخطاب، ويتناولون من يمين رسول الله ﷺ رحيق الشراب، فأحبوهم حباً أكثر من حبهم للوالدين والأقربين بل أكثر من حبهم لأنفسـهم، وأجلوهم واحترموهم وأنزلوهم من أنفسهم منزلة الوالد الشفوق العطوف الرحيم ويبذلون لهم من مالهم ما يسد حاجتهم، ويذكرونهم إذا نسوا، ويعتقدون عدم عصمتهم من الذنوب والعيوب، ويؤمنون بأنهم أفضل منهم عند الله، وأقرب منهم إلى الله ورسوله، ويقـفون منهم موقف سيدنا موسى من الخضر عليهما السلام ويتبعونه فيما يعرفونه من أمور الدين، ويسـألونه عما لا يعلمون، ويسـألونه عن حكمـة ما يعملون، ويسـألونه عن كيفية تزكية أنفسهم، ويسألونه أن يلحظهم بعيون سره، ويسألونه أن يدعو الله

(١٦) الرسالة القشيرية ص ١٤٧.

لهم فى سره وعلنه، ويسألونه أن يرضى عنهم بقلبه، ويسألونه عن رقيق المعارف وجليل المعانى، ليرتقوا فى معارج القرب، ويسعدوا فى منازل الحب، حتى إذا ما أنس منهم الإمام الرشاد وقدرتهم على تحمل أعباء دعوة الخلق إلى الحق أذن لهم فى تذكير عباد الله، وبث روح الإيمان فى قلوبهم وتبصيرهم بأمور دينهم، ثم يتخذهم لنفسه رفاقاً يتعاونون معه على البر والتقوى، ويتناهون معه عن الفحشاء والمنكر، ويدعون الناس معه إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، مع الإحتفاظ له بمكانته وحرمته»[17].

ولله در القائل:

أقدم أستاذى على حق والدى
وإن كان لى من والدى النسب والشرف

فذاك مربى الروح والروح جوهر
وهذا مربى الجسم، وهو لها صدف

من أدب السالكين

ومما منّ الله عز وجل علىّ به أنى كلما خطر لى خاطر فى قلبى أسارع إلى تنفيذه، من غير أن أكون قد اطلعت عليه فى كتب القوم، ثم تمر الأيام وإذا بى أجد هذا الخاطر مسجلاً فى كتب القوم فى بابه الذى ألهمنى الله به، فأفرح بفضل الله علىّ وعنايته بى، وأذكر فى هذا الباب أنى طلبت من أخى وشيخى الشيخ أحمد حسن غرباوى رضى الله عنه أن يذكر لى بعض الآداب التى ينبغى أن أقوم بها للشيخ رضى الله عنه فقال لى: الأدب ذوقى وما يلهمك الله به فامتثله.

---

(17) قطرات من بحار المعرفة ص ١٢٦، ١٢٧.

ومن ذلك أنى كنت كلما أردت التوجه لزيارة الشيخ رضى الله عنه قمت بإزالة الشعر الزائد فى جسمى كشعر العانة وتحت الإبط، وأنا أبتهل إلى الله أن يزيل عنى أخلاقى السيئة، وصفاتى الرديئة، وأقلم أظافرى وأنا أدعو الله أن يقلم مطامعى وأهوائى، ثم أغتسل راجياً الله عز وجل أن يغسل ظاهرى من الخطايا والذنوب وباطنى من الغفلة، ثم بعد ذلك أسافر إلى الشيخ وأنا أردد قول الإمام أبى العزائم رضى الله عنه:

إلى من هجرتى ولمن حنينى إلى مرأى ألست نما جنونى

بتجريدى إليه أفر شوقاً لترأى وجهه علناً عيونى

وأستحضر ذنوبى وأوزارى وأثقالى أمامى وكيف ألقاه بها؟ أو أدخل عليه وأنا متلطخ بها؟ وعندما أقترب من روضته يعترينى الخوف والوجل وأردد قول الله عز وجل: **﴿ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيماً﴾**(١٨)، وأتوجه إلى الله عز وجل قائلاً: اللهم إنى ظلمت نفسى وجئت وارث رسولك تائباً فبجاهه عندك اغفر لى.

وكم من مرة عندما كان رضى الله عنه يسكن ههيا محافظة الشرقية أتوجه إلى زيارته فأركب الحافلة من طنطا إلى الزقازيق ثم أتوجه إلى مسجد سيدى أبى خليل رضى الله عنه وأؤدى الصلاة وأرجع إلى نفس الحافلة لأعود أدراجى إلى بلدى وإن كان تصادف أكثر من مرة أن يسألنى الشيخ عن ذلك ثم يعلمنى أنه كان مسافراً لمكان بعيد فى ذلك اليوم ولا تسمح له الظروف بالعودة إلى البيت فى نفس اليوم.

(١٨) سورة النساء: الآية ٦٤.

مِنَ العـــارفين

وقـد أكرمنى الله عـز وجـــل ببركة نظره إلى ورضـاه عنى بما لا عـدّ له، ولا حـدّ له من فـضـــل الله وكـرم الله مـع أنى لا أسـتـحق شـيـئـاً من ذلك لغفـلتى وأوزارى.

فمن ذلك أن صـوتى كان أجشّ، وتصادف أن زرته يوما، فقال أثناء حديثه: إن الإمام أبا العزائم كان إذا قال لأحد المريدين: خذ الصوت عنّى، يقوم هذا المريد من أمامه وقد حلاه الله بصوته، ثم طلب منى إنشاد قصيدة للإمام أبى العزائم رضى الله عنه فأخذت فى الإنشاد وإذا بى أجد صوتى يشبه صوته رضى الله عنه، ثم رجعت إلى المنزل فكلما أخـــذت فى قـراءة القـــرآن أو فى ختم الصـــــلاة أو فى الإنشاد أشعر بأنه رضى الله عنه هو الذى يتلو وينشد وأنا مستمع وإن كان الناطق لسانى فعلمت أن ما يحدث من فتح للمريدين إنما هو ببركة الأشياخ وجميل نظرهم.

ومن ذلك أيضاً أنى كنت فى صحبته رضى الله عنه بزفتى محافظة الغربية وكان هناك مريض يشكو له حاله، فنظر إلىّ وقال لى: هل تحفظ أدعية الرقية الواردة عن رسول الله ﷺ؟ فـقلت نعم، فـقـال: ضع يدك على مكان الألم منه وارقيه، فاستحيت فقال: لابد، ثم قال ضع يدك ونحن نضع أيدينا معك وقل ونحن نردد بعدك، فلما وجدت إصراره رنّ فى أذنى قول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه: طاعة الأمر خير من الأدب، فامتثلت الأمر وعلمت بعد ذلك أنه كان إذن منه رضى الله عنـه لى بذلك، ومنـذ ذلك اليـوم ببركته رضى الله عنـه جعـــل الله فى هـذه اليـد وفى هـذا الدعاء سر الشـفاء.

وهـكذا تحققنـا أن الفتـــح والفضـــل من الله يأتى للمريدين ببركة أدبهم مع أشياخهم وبسر رضاء أشياخهم فاللهم ارزقنا رضا أشياخنا عنا، ولا تكدر خاطرهم علينا، ولا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، فإنك أهل الفضل وأهل المغفرة.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ثالثاً : الأدب مع الإخوان

أمرنا الله بالتعارف، والتعارف يؤدى إلى التآلف والترابط، وهو بدوره يؤدى إلى التعاون فى مجالات الدنيا والآخرة أو فى أى منهما، حتى تتم عمارة الدنيا على نسق من هذا النظام البديع المبنى على إعتراف الناس ببعضهم، وعدم التناكر والتجهم والتعاند والتدابر والتقاطع والشقاق، وهذا المبدأ هو من أهم ضروريات الحياة الملحة، حتى تستقر الأوضاع بين القبائل والأمم والشعوب، وتسير الحياة فيما بينهم على الإحترام المتبادل والثقة والطمأنينة، ولولا ذلك لأصبحت الحياة نوعاً من حياة الوحوش الضارية التى يأكل القوى فيها الضعيف، ويحتال الضعيف للمكر بالقوى، وهكذا يتربص الناس بعضهم ببعض، وتفسد الدنيا، وتستحيل الحياة فيها. وإن أكرم الخلق عند الله يتعارفون مع الناس من أجل الدنيا والآخرة لا من أجل المصالح والمنافع الدنيوية فقط، ومن أجل الله ورسوله لا من أجل أهواءهم وحظوظهم وشهواتهم ومن أجل التراحم والتناصح والتوادد لا من أجل التعرف على المسالب والأخطاء والمعايب، ومن أجل مداراتهم والستر عليهم لا من أجل التشهير بهم والتنديد بأحوالهم.

وتآخى المؤمنين فى الله ضرورة لينهض بعضهم بأحوال بعض، ويعين بعضهم بعضاً على البر والتقوى والمعروف والإحسان وفى ذلك يقول رضى الله عنه: «فقد طلب سيدنا موسى عليه السلام من الله عز وجل أن يجعل له وزيراً من أهله، يعنى معيناً يؤازره ويساعده ويعينه وحدد فى طلبه هذا سيدنا هارون عليه السلام، فقال الله عز وجل مبيناً ذلك: **﴿واجعل لى وزيراً من أهلى هارون أخى أشدد به أزرى وأشركه فى أمرى﴾**(١٩)، وكانت العلة الباعثة على هذا الطلب، والضرورة القاضية به، والحكمة منه: **﴿كى نسبحك كثيراً ونذكرك كثيراً إنك كنت بنا بصيراً﴾**(٢٠).

(١٩) سورة طه : الآيات ٢٩ – ٣٢.
(٢٠) سورة طه : الآيات ٣٣ – ٣٥.

وذلك لأن الذكر الكثير، والتسبيح الكثير، والعبادة المستمرة، تحتاج إلى معين ورفيق ملازم للإنسان، ومباشر له بصفة مستمرة، من أجل استدامة الذكر والشكر والتسبيح، واستمرار الطاعة والعبادة، بخلاف الأعمال الأخرى من دعوة فرعون وقومه إلى الله، فإنها كانت تأخذ دوراً بعد دور، ووقتاً بعد وقت، كلما سمحت الظروف بذلك، وكلما نزلت أوامر جديدة، وآيات أخرى يحتاج سيدنا موسى إلى هارون فى إبلاغها إلى فرعون وقومه، فكانت أعمال الذكر والتسبيح أكبر بكثير من مهمة إبلاغ الدعوة إلى فرعون وقومه ومن هنا كانت حاجة سيدنا موسى إلى سيدنا هارون فى هذه الناحية أكثر وأعظم»(٢١).

واجب الأخ نحو أخيه

إن من أوجب الواجبات على الأخ نحو أخيه زيارته فى الله ورسوله، وتوثيق الروابط بينهم، وتجديد المحبة والمودة، والتعاون على البر والتقوى، والإطمئنان على الأخ، والوقوف على أخباره وأحواله، ومد يد العون له إن كان فى حاجة، والتسرية عنه إن كان فى ملمّة، ومشاركته فرحته إن كان فى مسرة، وتزويده بما معه من علم ومعرفة، والأخذ عنه إن كان لديه مزيداً من الهدى والحكمة، ويضرب لنا رضى الله عنه مثلاً فذاً فى معاملة أهل الصفا لإخوانهم بمعاملة الأنصار لإخوانهم المهاجرين حيث يقول فى ذلك: «فإن المهاجرين لما نزلوا إلى المدينة لقيهم الأنصار بهذه الأريحية النادرة، والأخلاق العالية فصارت ديناً يدين به المسلمون لربهم، وقيماً تأسست عليها مبادىء الإيمان، فى أبهى صوره وأكرم معالمه، ولقد كانت هذه الموازين يزن بها أهل الصفا أحوالهم فهم: **﴿يحبون من هاجر إليهم﴾**(٢٢)، يعنى يحبون من زارهم، وقدِم إليهم من المؤمنين، وإن الحب عمل من أعمال

(٢١) من كتاب مصابيح على طريق الإيمان (الجزء الثانى) ص ٢١.
(٢٢) سورة الحشر : الآية ٩.

القلوب يشتمل على السرور بالزائر والفرح بقدومه، والبشاشة فى وجهه، والترحيب به، وبذل ما فى الوسع لإكرامه، وإنزاله منزلة الأهل والولد بل وأكثر... ثم يقول أيضاً رضى الله عنه:... بل إن قلوب أهل الصفا تتمنى لإخوانهم كل خير، وتحب لهم كل سعادة، ويعملون على تحقيق ذلك لهم بشتى الوسائل عملاً بقول سيدنا رسول الله ﷺ: «**لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه**» [رواه البخارى].

وقد تجاوزوا المدى فى هذا الخلق الكريم فتراهم: ﴿**يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة**﴾(٢٣)، بمعنى أنهم يتنازلون عن حاجتهم الضرورية لإخوانهم ويؤثرونهم بها على أنفسهم، ويعطونها لهم، وهم فى أمس الحاجة إليها، وذلك بنفس راضية، ولم يحملهم على ذلك إلا حبهم لإخوانهم والمسارعة فى إكرامهم وبرهم»(٢٤).

الزيارة فى الله ورسوله

وهى عمل من أعمال المؤمنين الصادقين، وجهاد من مجاهدات السائحين المرتاضين، فكما أن لله ملائكة سواحين يطلبون مجالس الذكر والعلم والقرآن، فكذلك فى المؤمنين رجال سائحون يطلبون الحكمة والمعرفة والبيان، وينشدون مجالس الذكر والعلم والتبيان عند إخوانهم المؤمنين الذين أكرمهم الله بهذه الطرائف والمنن، وتلك اللطائف والعوارف والمنح وفى ذلك يقول رضى الله عنه:

«والمؤمن يطلب بذلك تزكية نفسه، وترقية وجدانه، وإعلاء همته، والمزيد من فضل الله ورحمته، وإثراء الحياة الروحية والدينية فى نفسه وفى إخوانه الذين يزورهم، وتجديداً لسنة الإسلام وروحه تطبيقاً للحديث الشريف الذى يقول:

(٢٣) سورة الحشر: الآية ٩.
(٢٤) قطرات من بحار المعرفة ص ١٢٥، ١٢٦.

«**نظــــر الرجــل إلى أخيــه المســلم حبــاً له وشوقاً إليــه خيــر من اعتــكاف ســنة في مســجدى هــذا**»(٢٥).

والأحاديث التى تحث على التزاور فى الله تعالى كثيرة جداً منها قوله ﷺ للصحابى أبى رزين: «**ألا أدلك على ملاك هذا الأمر الذى تصيب به خير الدنيا والآخرة، عليك بمجالسة أهل الذكر وإذا خلوت فحرك لسانك ما استطعت بذكر الله، وأحبب فى الله وابغض فى الله. يا أبا رزين هــل شعرت أن الرجــل إذا خــرج من بيتــه زائراً أخــاه شيّعــه ســبعــون ألف ملك، كلهم يصلون عليــه ويقولون: ربنا إنه وصل فيك فصله، فإن استطعت أن تعمل جسدك فى ذلك فــافــعل**»(٢٦)، ولهذا قطع السلف الصالح القفار والمفاوز، سعياً وراء هذه المنن والعطايا الإلهية التى أكرم الله بها المتزاورين فى الله. فهم يرون فى إخوانهم أسماء الجمال الربانى من البر والسلام والمعطى والمتفضل والمحسن والكريم والمؤمن والودود وقد تحلوا بها فى أنفسهم فيأتنسون بها فيهم، ويفرحون بها فيهم، ويحبونها فيهم، ويقبلون عليها فيهم، وكذلك يرون فيهم أخلاق سيدنا رسول الله ﷺ من الحلم والعلم والحكمة والرحمة والشجاعة والإيثار، والجود والزهد والورع والتقوى، والخشية والإنابة، والرضى واليقين، والتواضع والصدق، والمجاهدة والعفو، واللين والصبر، وغير ذلك من أخلاقه ﷺ.

وهنــالك يتحقق الزائر لأخيــه بأنه يزور الله ســبحانه ورســوله ﷺ سر قوله عليــه الصــلاة والســلام: «**فمن كانت هجرته إلى الله ورســوله فهــجرته إلى الله ورســوله**»(٢٧).

(٢٥) مصابيح (الجزء الثانى) ص ١٦، والحديث رواه ابن لاى عن ابن عمر.
(٢٦) رواه أبو نعيم فى الحلية وابن عساكر عن أبى رزين.
(٢٧) متفق عليه من حديث عمر.

آداب زيارة الإخوان فى الله

ولأن الزيارة فى الله عبادة من أجلّ العبادات، يتنافس فيها الصادقون، ويرغب فيها المخلصون بيّن رضى الله تعالى عنه الآداب التى يجب أن يتحلى بها الأخ عند زيارته لأخيه وتجملها فيما يلى:

١- رعاية حرمات الأخ وحرمات أهله ومنزله، وإدخال السرور عليهم جميعاً بالتحلى بمكارم الأخلاق، والتجمل بصادق الأحوال، والبشاشة فى وجوههم، والتلطف فى الحديث إليهم، مع غض البصر والإستحياء فى مجالستهم.

٢- يشكر الله ويشكرهم على ما يقدمونه إليه، ويستكثره ولو كان شيئاً يسيراً، ويستطيبه ولو كان لا يوافق طبعه ومزاجه، لأنه خرج لله ورسوله لا من أجل طعام وشراب.

٣- يُعفّ نفسه عن حاجاتهم ومتاعهم فلا يتطلع إليها، ولا يطمع فى شيء منها.

٤- يفرغ قلبه من جميع الشواغل الكونية، لأنه جاء لأخيه من أجل الله ورسوله.

٥- يجاهد مع أخيه فى تحصيل العلم النافع والعمل الرافع، وتجديد الأحوال العلية وتنشيط الهمم والعزائم، حتى يفيد أخاه ويستفيد منه فى هذه الزيارة بأعظم الأرباح وأعلى المكاسب.

٦- يلاحظ أثناء زيارته لأخيه، ألا يؤخر له عملاً، ولا يعطل له شُغلاً، لأنه ذهب إليه ليعينه على شئون أهله وأولاده وعمله.

٧- ألا يطيل أمد الزيارة، ويحرص على بقاء أثر طيب له عند أهل البيت جميعاً، حتى يخرج من عندهم وهم مشتاقون إليه، ويتمنون عودته إليهم.

٨- إذا لم يجد أخاه فى بيته أثناء زيارته له، يحرص على عدم دخول المنزل إذا لم يكن فيه إلا زوجته أو بناته أو إخوته البنات وحدهم، أو معهم أطفال صغار

لا يعـرفون شـيئاً، ولـكن إذا كان معهم والده أو والدته أو أولاده الذكور الكبـار، فلا مانع من الدخـــول وانتظـاره، وكذا إذا حضر أحـــد أقاربه أو إخوانه بالبـلدة أو جيرانه؛ فإن لم يتيسر ذلك ينتظره بالمسجد أو أى مكان عام ويكون ذلك بلباقة وحسن تصرف.

٩- أن يحرص على الوفاء بالوعد لأخيه وإنجاز ما طلبه منه، فإذا تأخر لعذر فعليه أن يتصل بأخيه بأى كيفية ويبلغه إعتذاره.

١٠ - أن يستر ما يراه من عورات أخيه، ولا يبديها لغيره، وإن تحتم عليه إخباره بها فليكن ذلك بلطف وفى رفق ولين، ويكون سراً بينه وبين أخيه.

وهكذا بين رضى الله عنه الآداب التى يجب التحلّى بها فى زيارة الإخوان بياناً شافياً حفظاً على القلوب من الفتن، وعمـلا بآداب الشريعة فى هـذه الناحيـة، لأنها حصن الأمان، وحرصاً على الناس من قالة السوء؛ لأن المؤمن ليس معصوماً مهما زكّت نفسه.

والشرع عصمة سالك يهـدى ... إلى رضـوان رب العـالمين

رابعاً : الوصـول إلى الله

الوصول هو بلوغ الغاية والمقصد الذى يطلبه الإنسان، ولما كانت المقاصد متنوعة، فقد تكون حسية، كالظفر بنيل الأغراض والمطامع والشهوات والحظوظ، والوظيفة والسلطان والرياسة، وغيرها من الأمور المادية.

وقد تكون معنوية، كالعلم والشهرة، والجاه والمنزلة بين الناس وغير ذلك.

وقد تكون المقاصد دينية وروحانية، كرضاء الله ورحمته ومغفرته، والعلم بالله وبأيامه وبأحكامه وبحكمة أحكامه، وغير ذلك من الحكمة العلية، وكشف الغيب المصون، ورفع الحجب عن النفس حتى تستكمل النفس معارفها الربانية.

بيّن رضى الله عنه المقصد الأعظم للمؤمنين حتى لا يلتفتوا عنه إلى غيره فقال: «وإن بغية أهل الصفا وقصدهم، هو معية سيدنا رسول الله ﷺ فى الدنيا، ومجاورته والأنس به فى الحياة البرزخية وفى الدار الآخرة، وهذا مقصد رفيع جداً ومطلب مجيد، لا يبلغه إلا أهل الصفا، الذين صفت سرائرهم لله، وأخلصت قلوبهم لوجه الله، وتزكت نفوسهم بالمسارعة إلى مرضاة الله»(٢٨).

وتحديد الوجهة هو الأساس الأول الذى ينبنى عليه سلوك المريد، ويترتب عليه فتحه ولذا قال الإمام أبو العزائم رضى الله عنه: «من لم يتمرن على التفريد فى بدايته لم يصل إلى كمال التوحيد فى نهايته» فالدنيا بغية الغافلين، والآخرة مطلب أهل اليمين، ووجه الله عز وجل طلبة المقربين والمحسنين، ولما كان الحديث فى هذا الباب مع المقربين بيّن رضى الله عنه أنواعهم حتى لا يظنّن ظانّ أن هناك خلاف بينهم، لأن مقصدهم واحد، وإن تباينت أعمالهم وأحوالهم فذلك لتعدّد مشاربهم وأذواقهم وفى ذلك يقول: «فتراهم بين راكع وساجد وبين ذاكر وشاكر، وبين فاكر وحاضر، وبين مجاهد ومسارع وبين خائف وراج، وبين باك وشاك، وبين مشتاق وأوّاه، وبين عاشق وفان، وبين مقبل على الله بالكلية وفار إليه من الشواغل الكونية، وهكذا يتقلبون فى الأحوال آناً بعد آن، ويسعدون بالوصال حالا بعد حال بعد مشاهدتهم لمعانى الكمال، وأنوار الجمال وفيهم يقول قائلهم رضى الله عنه:

فـرّوا إلى الله من دنيـا وآخـرة ... لم تلههم عنه أعلام الكرامات

وكذلك ورد فيهم قول العارف بالله رضى الله عنه:

لله قـوم إذا حـلّوا بمنزلة ... حلّ الهنا ويسير الجود إن ساروا
هم سادتى أينما حلّ الدليل بهم ... وأينما يمّموا قلبى لهم دار

(٢٨) قطرات من بحار المعرفة ص ١٢٣.

تحيـــا بهـم كل أرض ينزلون بهـا كأنهم لبقـــاع الأرض أمطـــار
وتنظـر العين منهم منظـراً حسـناً كأنهم لعيـــون النـــاس أقمـار

وذلك لصـفـاء خـواطرهم من الأمـراض الخـفـيـة وطهـارة قلوبهـم من الأكـدار الدنيوية وإقبـال أرواحـهم وأجسـامهـم على رب البـرية فطابت حيـاتهم فى الدنيـا، وسعدوا بالعيشة الهنية فى الدار الآخرة»(٢٩)، وقـد بيّن رضى الله عنه حـقـيـقـة الوصــول ومراتبــه، ومشاهده، والمجاهدات الفادحة المؤدية إليــه وذلك فى كـتـابه (أنوار التحقيق فى وصول أهل الطريق) والذى بناه على شرح هذه العبارة الرائعة من كـتـاب معـارج المقـربين للإمـام أبى العزائـم رضى الله عنه: «الوصـول: وجـدان باعث الوله إلى التـخلق بأخـلاق الربوبيـة، بعظيم المجـاهدة فى التـخلّى عن الفطر والأخــلاق الحيـوانيــة والإبليـسيـة مع اللذة بالآلام والطرب عنـد فوات ما يلائم تلك القــوى ممـا حرصت على نيله، وبذله عنــد نواله فرحا بمفـارقتـه، مسروراً بما استعاضه عنه حتى تنمو المشابهة، وتتم الفطرة على ألفـة ما ينافره والرغبـة فيمـا يؤلمه، مع وجدان الباعث على طلبه والداعى له من توفر الشهوة ووجود القدرة على تنجيز ما يلائم ولو كان ضرورياً، فيـكون مع الرغبـة فيــه راغبــاً عنـه، ومع الإحتيـاج إليه غنياً عنه، وبهذا يكون قائماً بمعانى القرآن بالمشابهة، محفوظاً بالمجاهدة، وهو وصول السالكين، فيكون جهادهم التحفظ بسور الحفظ عن تعدى حدود المكانة لا حدود الأحكام، لأنهم محفوظون من تعدى حدود الأحكام بنص قوله تعالى: **﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾**(٣٠).

وهو بداية للمـقـربين الذين كـوشفـوا بتلك المعانى فى أنفسـهم وفى السـموات والأرض، أشرقت أنوار لطائف سريرتهم على الجوارح العاملة فسلبت ظلال الوهم وأفيــاء الهوى والحظ، فجهادهم عن مشاهدة التوحيد بالتوحيد، فهم بعيون السريرة غرقوا فى عين الوحـــدة، وبأبصـــارهم شـــهدوا سر الحـكمة، وبينهـما برزخ

(٢٩) قطرات من بحار المعرفة ص ١٢٣، ١٢٤.
(٣٠) سـورة الحجر: الآية ٤٢.

لا يبغيان، فلا عُبـاب مشاهد التوحيـد يبغى على برزخ الحكمة فيفنى حقيقـة العبودية، ولا مكفوف موج الحكمة يبغى على مسـحور القـدرة فيحجب أنوار التحقيق، وهو الجهـاد الأكبر لأنه فى ذات الله تعـالى، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضـل العظيم»(٣١).

هـذا وسنتناول المراحل التى يمر بهـا السـالك حتى يصل إلى الله عـز وجل كما أشار إليها رضى الله عنه فى كتبه، أو فى دروسه، أو فى تربيته الذاتية لخاصة الأفراد الروحانيين من أتباعه، وذلك بإيجاز شديد، وإن كان غير مُخلّ بالمقصود.

١ – اليقظـة

وذلك بأن يمن الله عز وجـل على العبد بداية، فيتحقق أنه غريب أو ضيف فى هـذه الحيـاة الدنيـا ويتيقن من زوالها، ويعلم يقيناً أنه راجـع إلى الله، كادح فى العـودة إليـه، وأنه يقطع أنفاسـه بسرعة مرور الزمن فى الإسراع إلى لقـائه جل شأنه، فتشتد رغبته، وتلح عليه ضرورة الرجوع إلى الله، فى أن يتعرف على الله، وأن يطلب الله، وأن يجاهد نفسه فى معرفة أخلاق الله، وآداب الله، وصفات الله، وأسماء الله، وبعد معرفته لله سبحانه وتحققه بكمال رأفته وشفقته، وعظيم حنانته ورحمته جل جلاله بالإنسان، يحصل له وجدان وشوق، وإحساس قوى، يبعث فى نفسه الوله والاحتراق، والعشق الشديد إلى التخلق بمعانى أخلاق الله وصفاته الكريمة وأسمائه الحميدة، ليكون فيه من صفات الله ما يتقرب به من الله، وما يتحبب به إلى جناب الله، لأن الله سبحانه وتعالى يحب فى العبد المؤمن أخلاقه وصفاته جل جلاله، فإذا تحلّى العبد بمعانى صفات الله عز وجل، وتخلق بأخلاقه الكريمة، يكون بينه وبين الله نسب يقربه إليه، وحب يوصله إليه.

---

(٣١) معارج المقربين للإمام أبى العزائم ص ٢٢.

٢ – جهــاد النفس

إن طالب الوصول إلى كمال معرفة الله، لابد له من التخلى عن الفطر التى فطره الله عليها، وابتلاه بها، فقد إبتلاه الله بأخلاق البهائم وأوصاف الشياطين، ليحوز شرف الجهاد الدائم فى ذات الله تعالى، ويكون له بجهاده هذا مقام لا يصل إليه ملك مقرب ولا ذى روح من الأرواح العالية وفى ذلك يقول رضى الله عنه: «ولقد فطر الله الإنسان وابتلاه بهذه القوى، لأن الإنسان هو المخلوق الوسط، الذى جمع الله فيه كل عناصر العوالم العالية، بما فيها من الجمالات والروحانيات، والبهاء والنور والضياء، والكمال والرحمة، والصفاء والوفاء، وكل العوالم السافلة بما فيها من العناصر المتضادة، والكثافة والظلام، والغرائز والشهوات. فهو ملتقى جميع العوالم ومحور ارتكازها، وفلك مدارها، فهو المخلوق العجيب، والصنع الغريب، الذى أسجد الله له عوالم عالين، وحير فيه عوالم سافلين»(٣٢).

وجهاد النفس فى هذا المقام هو تهذيبها وتزكيتها وبذل كل ما فى الوسع فى ترك صفات البهائم، من الحصول على الشهوات واللذات، والحظوظ والمتع الفلنية من المآكل والمشارب، والملابس والرياش، والأثاث والزينة، واللذة الجنسية وغيرها مما يلائم ويوافق الطباع والغرائز البهيمية فى الإنسان، وكذلك الشّره والحرص، والطمع والأمل، ومما تفرح النفس بنواله من غريزة حب التملك والسيطرة والرياسة، والتعالى فى الأرض على عباد الله، «ويكون ذلك بالتوسط والإعتدال فى هذه الصفات، وبأن يأخذ السالك من هذه الصفات ما هو ضرورى لحياته، ولبقاء نوعه الإنسانى، فيكون أكله ضرورة، وشربه ضرورة، ونومه ضرورة، ونكاحه ضرورة، فلا تكون هذه الأشياء مقصودة لذاتها، ولا مطلوبة لملائمتها للميول والأهواء، وموافقتها لطبيعة النفس، ولكن يأخذ المؤمن منها بقدر حاجته بحيث يتفرغ لمهمته العظمى، ورسالته الكبرى التى جاء من أجلها، وهى معرفة الله وعبادته، وحبه سبحانه، والتقرب إليه جل جلاله، والمسارعة فيما يحبه ويرضاه،

(٣٢) أنوار التحقيق ص ١٩.

والبعد عما يبغضه الله ويكرهه، والقيام بعمارة هذه الحياة بالخير والعدل، والتسامح والصفاء والحب»[٣٣].

أما أخلاق الشياطين التى يجاهد طالب الوصول نفسه فى البعد عنها، والإقلاع عنها، فهى الكبر والحسد، والظلم والكيد والفساد، والعداوة والشحناء والبغضاء والكراهية والأحقاد والأضغان، والبغى والتفريق بين الناس، ومحاربة الله ورسوله، والأثرة والأنانية، والتكبر والتجبر، والخيلاء والرياء، والنفاق والشرك الخفى والأخفى، والجدال والنزاع وغير ذلك من صفات الشياطين والمردة، التى ابتلى بها الإنسان، ليجاهد نفسه فى التخلى عنها، وفى تركها جملة واحدة، حتى يرتفع عن منازعة نفسه وعنادها، ومكرها وسوء خلقها، إلى مقامات العبد الواصل، الطالب لرضوان الله الأكبر، المقبل على الله بكليته، الفار إليه جل جلاله من كل عائق، المتخلق بأخلاقه، المتأدب بآدابه، المتشبه بمعانى أسمائه وصفاته ولله درّ الإمام أبو العزائم حيث يقول:

بهجة الروح بالجمال العلى … لا بملك يفنى وحظ دنىّ
وابتهاج الحيوان أكل وشرب … ونكاح وذاك قصد القصى
وابتهاج الشيطان حسد وكبر … بفساد وفرقة وبغى
هى نفسى إن طُهّرت وتزكت … تتهنّى بحظوة بالولى
وهى حيوان أو أضل سبيلاً … إن تسلّت عن حسنها بالدنى
وهى إبليس إن أبت وتعالت … وتعامت عن سرّها الآدمى

---

(٣٣) أنوار التحقيق بتصرف ص ١٤.

٣- التجمّل بمكارم الأخلاق

إن شوق العبد وحبه لسيده وخالقه ومولاه، يجعله يتلمس معانيه الحسان فى كل شيء، ويتأدب بها، ويتحلى بحللها، ويتجمل بأخلاقها، فالله عز وجل رحيم، فاشتاق العبد لأن يكون له حظ من هذه الرحمة التى لا يبلغ مداها شيء قال ﷺ: «**الراحمون يرحمهم الرحمن، إرحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء**»(٣٤).

والله سبحانه غفور، فيحن العبد حنيناً مؤرقاً لأن يكون له نصيب من هذه المغفرة الواسعة، والواصلون لهم قسط وافر من تلك المغفرة، فهم يسامحون المسيء، ويعفون عن الظالم، ويسترون الجاني، ويدارون الجاهل قال الله تعالى: **﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾**(٣٥).

والله سبحانه وتعالى قوى، فيجاهد العبد نفسه ليكون له نصيب من قوة الله، حتى يكون شجاعاً قوياً فى الدفاع عن الإسلام والمسلمين، وفى مجاهدة نفسه وشيطانه، ومحاربة حظه وهواه.

وهكذا يكون حال العبد الذى يبغى الوصول، فلا يزال يتشبه بمعانى أخلاق الله، ويجاهد نفسه فى التحلى بها، حتى تنمو المشابهة بعد كمال المعرفة لله سبحانه وتعالى، وبعد شدة الحب له عز شأنه، فيكون عبداً ربانياً يقول للشيء كن فيكون، أو عبداً رحمانياً تجاوز رتبة كن لشدة إنشغاله بالمكون جل جلاله.

ومن كان الله مراده فمقعد صدق وراء ظهره. وعن هذا الطور من الجهاد يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه: ليست الكرامة أن تطير فى الهواء، أو أن تمشى على الماء، وإنما الكرامة كل الكرامة أن تغير خلقاً سيئاً فيك بخلق حسن.

---

(٣٤) رواه الترمذى وأبو داود والحاكم وابن حنبل عن ابن عمر.
(٣٥) سورة الجاثية: الآية ١٤.

ويصف حال صاحب هذا المقام فيقول: كمال الخلق أن تتصف بالصفات الإلهية فى المضايق التى تدفعك بشدة إلى الإتصاف بالصفات الحيوانية، أو الميل إلى الأخلاق الإبليسية.

٤ – الإستقامة

ولا يزال العبد يجاهد فطرته، وينمى سجيته، على حب هذه الأحوال، والأنس بتلك الفعال، حتى تأنس بتلك الأحوال العالية، وتنجذب إلى تلك الكمالات الراقية فتستلذ بفادح المجاهدات، وتشتاق إلى عظيم الرياضات، فيصير ما استوعره غيره سهلاً لديه، وما استوحش منه غيره مأنوساً لديه، وما نفر منه غيره مطلوباً ومحبوباً إليه، فينتقل العبد من سجن العادات إلى جمال العبادات والقربات، وتستقيم فطرته على هذه الأحوال، وتستجيب أعضاؤه وجوارحه لتلك المجاهدات، فتصير هيّنة ليّنة لأعمال القربات والبر والخيرات بعد القيام بالفرائض والواجبات، ويصير القلب حاضراً أو مستحضراً لمعانى مقامات الحق جل جلاله على قدره، ويصير العقل متفكراً فى آيات الله المنبثة فى عجائب المخلوقات، وغرائب المصنوعات، ويصير الحس وما فيه من آلات وأدوات ساعيا لمغفرة من الله ورضوان فى كل لحظة وآن ويصف رضى الله عنه بعض ما يحدث للسالك فى هذا الطور فيقول: «فيخرج الإنسان من عوائده ومألوفه، ويتوب من أقواله وأحواله وأفعاله، ويستغفر الله من علمه ومن مجاهداته وقرباته، مفوضاً أمره إلى الله مسلماً شأنه لله، ينسب كل خير أكرم به لله، وكل عمل صالح قام به لله، وكل علم نافع أوتيه لله سبحانه وتعالى، ويرى فى نفسه التقصير والقصور، والعجز والفتور، والقطيعة والجفاء فيدوم جهاده، ويقوى جلاده، وهذا الحال هو من حقيقة الوصول إلى الله سبحانه وتعالى»(٣٦).

(٣٦) أنوار التحقيق ص ٣٣.

والسالك الذى يسير على الصراط المستقيم يقسم زمنه إلى أوقات، ويعطى كل وقت حقه من الرعاية والعناية، وقت للعبادة، ووقت للعمل فى طلب المعاش، ووقت لراحته وأكله وشربه وشهوته فى الحلال، ووقت لطلب العلم النافع الذى تزكو به نفسه، ووقت يتفكر فيه فى مخلوقات الله ومصنوعاته، وهو أشد الناس حرصاً على أوقاته، لأنه اعتقد أن الزمن جزء من عمره وحياته، فهو يغتنمه وينتهزه والمؤمن لا يعمل إلا فى إحدى ثلاث، حسنة لمعاد، أو مرمّة لمعاش، أو شهوة فى غير محرم.

٥- حقيقة الوصول إلى الله

ليس الله فى مكان يصل عبد إليه، أو زمان ينتهى العبد إليه ولكن الله عز وجل من وراء الزمان والمكان، ومع هذا البعد العظموتى، والكبرياء القدسى، فهو سبحانه قريب من العبد الطالب له حقاً قرب القرابة، بل أقرب إليه من نفسه التى بين جنبيه قال تعالى: **﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾**(٣٧)، ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى، لا يحل فى الأجسام، ولا تحل فيه الأجسام، ولا يقارب الأجسام ولا يشابهها، ولا تشبهه الأجسام ولا تقاربه، فليس فى الخلق إلا الخلق، وليس فى ذات الله إلا الله جل جلاله وهذا هو مقام التنزيه الواجب لذات الله، أما مقصد القوم من دعوى الوصول فيوضحه رضى الله عنه فى قوله: «وأما قربه من العبد، وتنزله إليه، فهذا قرب معنوى، يكون بمعانى صفات الله، ومعانى أسمائه الحسنى، من الوداد والعواطف والعوارف، والرحمة والرأفة، والحنان والإحسان، والعبد الواصل قد لاحظ بسره هذه الحقائق فنزّه الله وقدّسه عن كل ما يجول بالأوهام والخواطر»(٣٨)، والواصل إلى الله عز وجل، هو المجاهد لكل ما فيه من الغرائز والقوى والفطر والعادات والصفات البشرية والحيوانية والإبليسية،

(٣٧) سورة ق: الآية ١٦.

(٣٨) أنوار التحقيق ص ١٥، ١٦.

وقد وجّه كل خواطره وملكاته وقواه جميعاً بل كل عزمه وهمه وإرادته في الوصول إلى مقصوده، والحصول على مطلوبه، وهو تبديل أخلاقة وأحواله وأرضه وسمائه، بصفات الله ورسوله، وآداب الله ورسوله، حتى يكون عبداً نورانياً قرآنياً، طاهراً زكياً، بل عبداً ربانياً يمنح الخير، ويفيض البر والنفع على أهله ورفاقه، وعلى كل المسلمين، من غير أن يطلب منهم أجراً ولا شكراً، سر قول الله تعالى: **﴿لا نريد منكم جزاءً ولا شكوراً﴾**(٣٩).

ويوضح رضى الله عنه صفات وأحوال الواصل فيقول: «والواصل الذى اتحد مع جميع عناصره وقواه، وملكاته وحقائقه، وتوحدت كل هذه الحقائق فى طلب الله سبحانه، وطلب حبه ورضاه، قد اعتاد على حب ما يخالف حظه وهواه الفاني،وتعود على الرغبة فيما يؤلمه، وألفة ما ينافره. وفّق بين الأضداد وجمع بين الأخلاط المتعادية، وصهر كل هذه الحقائق المتنافرة فى بوتقة الجهاد الأكبر الذى يقهر كل معاند ومخالف على الذل والإنقياد لله ورسوله ﷺ، حتى تصطلح هذه القوى مع النفس الملكية والروح القدسية على موالاة الله ورسوله ومعاداة ومجاهدة أعداء الله ورسوله فى نفس الإنسان وفى أهله وإخوانه والناس أجمعين.

فكل محبوب لله ورسوله فهو حبيبه وأليفه، ومرغوبه ومطلوبه، وكل مكروه لله ورسوله فهو عدوه؛ وإن كانت نفسه التى بين جنبيه أو ولده وزوجته وأقرب الأقربين إليه وبذلك تتم فطرته، وتستقيم طبيعته، ويتحقق بوصوله إلى الله ورسوله»(٤٠) وقد لخص الإمام أبو العزائم ذلك فى قوله: الواصل من توحّد مطلوبه، ورضى بما قدّره له محبوبه.

وقوله رضى الله عنه أيضاً:

فالواصلون رأوا جمالاً ظاهراً ... قد أخرج النُّسّاك من ظل الظلام
دارت عليهم خمرة الحب التى ... قد ووجهوا فيها بوهاب سلام

(٣٩) سورة الإنسان: الآية ٩.
(٤٠) أنوار التحقيق ص ٣٣.

خامساً : مقامات القــرب

هذا وإن مقامات القرب من الله ورسوله لا نهاية لها فلذلك يستمر العبد يتقرب إلى الله عــز وجل بالنوافل والمندوبات والسنن من جــمــيع الأعــمــال والأقــوال والأخلاق والمعاملات حتى آخر نفس من حياته ومعنى: (**ولا يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبه**) يوضحه رضى الله عنه فيقول: «أى حتى يستمر رقيه فى درجات الحب التى لا نهاية لها عندى، لأن الله قد أحب المؤمن بمجرد قيامه بأداء الفـرائض حـسب مـا ورد فى هذا الحديث القـدسى الكريم ومن هنا كـان قـيامـه بالنوافل والقربات لله سبحانه يؤهله للمزيد من حب الله له وترقيته إياه فى درجات الحب العالية التى لا نهاية لها»(٤١).

ثم يشــير إلى حال المقربين فيقول: «ولقــد كشف هــذا الحــديث الحجاب عن حقيقة العبادة، وبيّن أنها الحب الخالص لله سبحانه وتعالى، وأن المؤمن المجد فى عبــادته لا يزال يترقى فى مقامات الحب الإلهى حتى يحظى بالقرب من الله عز وجل، ويتحقق بمعانى أسماء الله وصفاته جل جلاله ويتخلق بأخلاق محبوبه سـبحانه وتعـالى ويتجمــل بصـفـات معبوده عز شأنه، ثم يكرم بمقـام الإتحـاد بتلك المعانى القدسية فتسرى فى معانيه الإنسانية عن السمع والبصر والإرادة والعلم والقدرة والحكمة والتكلم والحياة وغيرها من معانيه وسره فيسمع بالله ومعنى ذلك أنه لا يســمع إلا ما يحبــه الله سماعاً يحيــا به قلبــه ويبصر بالله أى لا ترى عينه إلا ما يحبه الله فلا يرى شيئاً إلا دلّه على الله، وقرّبه إليه وكذلك جميع المشاعر والمدارك التى استودعها الله فيه فيكون عبداً ربانياً يتحرك بالله ويسكن بالله ويعمل لله ويترك لله ويحيا بالله ويموت بالله قال تعالى: ﴿ **أبصر به وأسمع مالهم من دونه من ولى ولا شريك فى حكمه أحداً** ﴾ [ســورة الكهف : الآية ٢٦]»(٤٢).

---

(٤١) عبادة المؤمن اليومية ص ٦٦.

(٤٢) عبادة المؤمن اليومية ص ٦٧، ٦٨.

فأهل القرب من الله، هم الذين ظهرت لهم معانى الوصول فى أنفسهم حتى صارت نفوسهم مرآة صافية، فانكشفت فيها هذه الحقائق، وارتسمت فيها تلك المعانى، وانتقشت فيها الأخلاق الإلهية. والقرب هو تفضل الله سبحانه على أهله بكشف صفاته، ومعانى أسمائه جل جلاله لهم، والإقبال منه عز وجل عليهم، ظاهراً لهم بمعانى أسمائه وصفاته، وبهاءه وجماله وجلاله، بعد كمال معرفتهم بربهم جل جلاله حتى تأتنس قلوبهم ببرد هذه التنزلات، ونعيم تلك المواجهات. والقرب بالنسبة لهم هو كشف هذه المقامات الإلهية للمقربين فى أنفسهم وفى السموات والأرض، وفى كل شىء لهم، حتى يتراءى لهم الحق جلياً فى الملك والملكوت وذلك معنى قوله تعالى: **﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾**(٤٣)، وهذا القرب إنما يكون بالمعانى والحقائق، لا بالمبانى والأركان، فمن كان قربه بالقلب لا يبعد أبداً، ولا يستطيع أحد أن يبعده عن القلب، ومن كان قربه بالجسم، فبعده يكون بمجرد مفارقتك له.

والمعانى التى انكشفت لهم في أنفسهم وفى السموات والأرض، إنما هى معانى أسماء الله وصفاته، وأسرار الله وأنواره، وآيات الله الكبرى وبيناته، فإذا نظرت أعينهم إلى شىء ما، رأت بصائرهم، وعين سرائرهم، ما فى هذا الشىء من معانى الخالق البارىء المصور، والمبدع والصانع والمكون، ورأوا فى هذا الشىء حكمة إيجاده، وسر إمداده، وكيفية خلقه، وحقيقة تذليله وتسخيره للإنسان، ورأوا قيام هذا الشىء بالله، وإيجاده من الله، ونهايته إلى الله، وأن هذا الشىء لا وجود له من نفسه، ولا بقاء له فى نفسه، ولا حياة له من نفسه.

فتحققوا بعد معرفة الأشياء أن الله هو الحق اليقين، وأن كل شىء هالك وفان إلا الله، وشهدوا فى أنفسهم بدايتها ونهايتها، وقيامها بالحى القيوم الذى لا تأخذه سنة ولا نوم، وأنهم عبيد مقهورون، وعباد مربوبون، لا يملكون لأنفسهم

(٤٣) سورة فصلت : الآية ٥٧.

ولا لغيرهم شيئاً من الدنيـا والآخرة إلا إذا تفضــل المتفضل عليهم فوهبهم شيئاً من فضله وإحسانه، وبره وعطاءه، فيأخذونه شاكرين، ويتناولونه من الله سبحانه وتعالى ذاكرين حامدين لله سبحانه وتعـالى على نعمه وفضله عليهم، قائمين بحق العبودية لله عز وجـل، لا يشغلهم عن ذلك شيء، لأن العبـد لا شـغل له إلا بسـيده والقيـام بطاعته.

جهـاد المقـربين

أما جهـاد المقربين فهو الجهـاد الأكبر في ذات الله تعالى، وهو جهاد للترقى في منـازل القرب من الله عـز وجـل، لأن الله سبحانه ليس لمقـاماته نهـاية، ولا لكمالاته غاية، وإن ما يلوح منهـا لأهـل القرب، إنما هو على قدر قواهم، فإذا ما لاحت لهم بارقة من لوامع هـذا الجمال، وأنسوا بهـا، حنت أرواحهم إلى ما هو أجمل وأعظم، فجاهدوا في الوصول إليه، وهكذا لا ينتهى جهادهم، لأن الله لا نهاية له، وغاية ما في الأمر أنهم يسبحون في الجمالات والكمالات، ويتقلبون في المقامات إلى ما شاء الله. والمجاهدة في هذا المقام، لتدوم المشاهدة.

أما جهاد خاصة الخاصة من أولياء الله تعالى المقربين، والذين اصطفاهم الله لحمل أمانة رسله، وعلمهم ما لم يكونوا يعلمون، وشرح صدورهم، وأنزل فيها مكنون علمه، وغيوب سره، وأسعدهم بقربه، وآنسهم بحبه، وجعلهم رحمة للناس وهدى ونوراً لأهل التسليم والإنقياد، حتى يقوموا لله سبحانه بالحجة البالغة على عباده، يبينون ما خفى من معالم الدين، وما اندثر من آثار السلف الصالح، فيقول فيه رضى الله عنه: «وهذا الصنف من عباد الله، هم المقربون، ومع قربهم من الله سبحانه، ومن رسـوله ﷺ، فهم يجاهدون الجهـاد الأكبر في ذات الله تعـالى وفي ذات رسـوله ﷺ لأن العبء الذى ألقى عليهم ثقيـل جـداً، والرسـالة التى كلفوا بهـا شـاقة، ونفوسهم لا يأمنون جانبها من الهجوع أو الفتور، في أداء

ما أمرهم الله به من تبليغ رسالات الله، وهداية الخلق إلى الله نيابة عن رسوله ﷺ، ولذلك لا يغفلون إذا غفل النـــاس، ولا يستريحون إذا نام النـــاس، ولا يطمئنون إذا أمن الناس، لأن الخطب جسيم، والله من ورائهم محيط سر قول الله عز وجل: **﴿إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً﴾** [سورة المزمل : الآية ٥]، وهذا الجهاد فرض عين على الورثة الذين أقامهم الله أبدالاً عن سيدنا رسول الله ﷺ، ولا يسقط عنهم حتى تقوم الساعة»(٤٤).

وجهادهم بالعمل وبالقول، وبالقلب وبالفكر، وببذل النفس والأولاد والأموال وبذل كل مألوف ومحبوب ومرغوب فيه، عن طيب نفس وارتياح، وفرح وانشراح، لا يضنون على الله ورسوله بشيء، لأنهم ليس لهم في أنفسهم ولا فى أموالهم وأولادهم شيء، ويشهدون أن كل شيء هو ملك لله عز وجل، وهم أمناء الله عليه، يؤدون هذه الأمانات لله ورسوله، بل يستصغرون ما يبذلونه وما يقومون به من جهاد وأعمال فى ذات الله، فإن الله عز وجل هو الغنى عن كل شيء، ولا يحتاج لأى شيء من مخلوقاته، ولكن العبد المقرب المحبوب، يجاهد فى التقرب من محبوبه سبحانه، وفي إرضائه عز وجل بكل ما لديه، ليفوز برضوانه سبحانه عليه وفى هذا يقول رضى الله عنه: «والعبد المقرب لا يرى أن جهاده هذا هو الذى يقربه من الله، وإنما يقوم لله بما أوجبه الله عليه، وبما رغبه فيه، امتثالاً لأمره، ومسارعة في طاعته، والقرب الذى منّ الله به عليه، إنما هو من فضل المتفضل، وعطاء المعطى الوهاب وهو بسابقة الحسنى من الله عز وجل»(٤٥).

---

(٤٤) أنوار التحقيق بتصرف ص ٨٠، ٨١.

(٤٥) أنوار التحقيق ص ٨٢.

نعيم أهــل القــرب

وأهــل القرب صـارت سرائرهـم محلاً للطائف والعوارف والمعـانى القدسـية، ولما كانت هذه السرائر عامرة بأخلاق الله سبحانه ومحاسنه وصفاته ومعانى أسمائه، وهذه السرائر قد استغرقت فى هذه المشاهد العالية، وامتلأت بحبها والإخلاص لها والتفانى فيها، واستنارت جوانح النفس بأنوار القدس الأعلى، أشرقت تلك الأنوار، من الروح ومن السريرة، على جسم الإنسـان وعلى أعضـاءه العـاملة، فاستنارت وانتفعت واهتدت بذلك النور، وانقادت الجوارح بتلك الإشراقات النورانية، وصارت هذه الأعضاء مسارعة إلى العمل بمحاب الله ومراضيه، ومتفاعلة مع ذلك النور، ومتأثرة به إلى أبعد مدى، حتى إنك لتكاد ترى ما فى بواطنهم وقد ظهر وانطبع على ظواهرهم، وعن هذا اللطف الربانى، والحـال الروحـانى، يقـول رضى الله عنه واصـفـاً أهل هذا المقـام وهو مـقـام الإتحـاد: «وعند إشـراق السـريرة بأنوارها على الجوارح والمبـانى، يتـحـد ظاهر الإنسـان المقـرب إلى الله مع باطنه، فى الوجـهـة والقـصــد، والفعـــل والترك، والسـكون والحركة، فإذا قام العبـــد بأى عمـــل من الأعمال، اشتركت فى هذا العمل جميع القوى والحقائق الإنسانية الظاهرة والخفية وفى هذا يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

لذاك إذا صليت صليت فانيـــاً ... عن اللون والأكوان والنـور سـاطع
أحـرم فى التـكبير مشـــهد غيره ... وأشـــــهد بالتنزيه إذْ أنا راكـــع
وأســـجد عن نفسى وفعلى فانيـاً ... وأســـجد أخـرى عن فنـائى توابع

وهــذا هو مـقـام الإتحـاد، الذى يتكلم عنه العـارفـون بالله رضى الله عنهم، وهو اتحاد الإنسان مع نفسه، فلا ينازع ظاهره باطنه، ولا يختلف باطنه مع ظاهره ولقوة هذا الإتحاد، يصير العبد روحانياً، بقوة تأثير الروح والمعانى على الهياكل

والجوارح العاملة، بما يتوالى عليها من أنوار الباطن، فيتحد العبد وتتوحد جميع مافيه من القوى، فى طلب الله ورسوله، والعمل على إرضاء الله ورسوله»(٤٦).

وعند ذلك يتفضل الله عز وجل عليهم بالشهود الذى وضحته الآية الكريمة: **﴿شهد الله أنه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائماً بالقسط﴾** ويكون ذلك بوقوع عين السر والخفا على جمالات الله، وكمالات الله، ومقامات الله، حتى يشهدون بالتوحيد الذى فى أنفسهم، والذى وهبه الله لهم، التوحيد الأعلى الذاتى، فيشهدونه سبحانه وتعالى واحداً أحد، فرداً صمداً فى ذاته وصفاته، وأسمائه وأفعاله، فتصعق أرواحهم من عظيم الحيرة فى هذا الجناب الأقدس، فيحييهم الحى القيوم، ويقيمهم له سبحانه به بين داعين به إليه، مقبلين به عليه، دالين به عليه، ليس لهم من الأمر شىء، والأمر كله لله، ولا يرون أنفسهم لفناءها، ولا يرون أعمالهم لتوفيقه سبحانه لهم بأداءها، ومعونته جل شأنه التى أمدهم بها، ولا يرون كوناً إلا ويشهدون الله سبحانه وتعالى قبله وبعده ومعه، ويشهدون قيام هذا الكون به جل جلاله وفى ذلك يقول رضى الله عنه: «وعيون السريرة هى العيون التى وهبت لهم من ربهم، ليروه بها جل جلاله، وهى عيون النفخة القدسية التى نفخها الله فيهم من روحه جل شأنه، وهذه العيون تشهد أنوار الواحدية، وأسرار الأحدية، وهو المشهد الأعلى حتى شهدوا بهذه العيون تصريف الأقدار، وحقائق الأخبار فاستغرقت سرائرهم فى هذه المشاهد وتلك اللطائف والرقائق، أنساً بهذه المشاهدة وفرحاً بها»(٤٧).

وهم وإن تعلقت سرائرهم بمشاهد التوحيد، إلا أنهم يشهدون بأبصارهم أسرار الحكمة، وغرائب تصريف القدرة، فيشهدون هذه الحكم بعين العلم والمعرفة، والتفكر والتذكر، فهم أصحاب العينين، عين السر والخفا، وعين البصيرة والوفا،

(٤٦) أنوار التحقيق ص ٥٩، ٦٠.
(٤٧) أنوار التحقيق ص ٦٩.

عين تشهد الحق وعين تشهد الخلق، فبالعينين يبصرون ويشهدون وعلى ربهم يتوكلون، ويعطون لكل ذى حق حقه.

وحقيقة الإنسان المقرب وهى قلبه، ميدان لهذه المقامات، وتلك المشاهدات، وساحة لهذه الأسرار، وأفق لهذه الحكم، لأن القلب هو الذى يتقلب فى هذه اللطائف والرقائق، والمنازل العالية، والمراتب القدسية.

وأنوار التحقيق، أن يتحقق العبد بمكانته العبدية، من العجز والجهل والاضطرار وأن يتحقق بمقامات الألوهية، من العظمة والعزة، والجلالة والرحمة، والإحسان والإكرام، وهذا هو العبد الممنوح العطية، المقرّب من رب البرية سر قول الله جل شأنه: ﴿ **لهم البشرى فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾(٤٨).

وفيهم يقول الإمام أبو العزائم رضى الله عنه:

يا ويحهم ممّا بهم فى دهشة ... وحبيبهم أنواره لا تحجب
قد كنت أعذلهم فلما ذقت ما ... ذاقوا صرت لهم أحن وأرغب

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وصية للإخوان

ونختم هذا الباب - والذى كل ما فيه من بيان له رضى الله عنه، وليس لنا فيه إلا النقل والتبويب - بهذه الوصية الجامعة التى وصّى بها رضى الله عنه الإخوان فى لقاء جامع بقرية الرزيقات قبلى مركز أرمنت، وذلك حتى يدوم ودّهم، ويزداد أنسهم، وهذه هى:

---

(٤٨) سورة يونس: الآية ٦٤.

الوصــية

يا إخوانى أوصيكم بالمحافظة على الحقوق، فلعلنا لا نلتقى بعد اليوم، فنحن جميعـاً مسافرون إلى لقـاء الله عز وجل، وليس هنـاك شىء أكرم من لقـاء الله عز وجـل.

وإنى أوصى إخــوانى أن يتمسـكوا بإخوانهم، وخصوصـــاً إخـوانهـم الذين قد يقطعونهم أو يقصّرون فى حقوقهم، أو يتنكّرون لهم، فإن سيدنا رسول الله ﷺ قال لنـا جـميعـاً: «**ليس الواصل بالمكافىء، وإنما الواصل الذى إذا قطعت رحمــه وصلهــا**» والإخـوان مع بعضهم كما وصـفهم الله: ﴿**رحمـاء بينهم**﴾، بل إن كل مسلم رحيم بكل مسلم بنص القرآن الكريم: ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾.

فأخوك إذا جفاك إذهب إليه وزُره، واسأل عنه لله ورسوله، فإن مات تسأل على أولاده لأنهم أولاد أخيك فى الله ورسوله، وإن أساء إليك الأخ فسامحه لله ورسوله، وإن لم يقم الأخ بواجب الأخوة فقم بها أنت لله ورسوله.

هذه يا إخوانى وصيتى التى أوصيكم بها، وأنا أعرف أنكم جميعاً آذان صاغية، وقلوب صافية، وأرواح واعية، ووالله لو أستطيع أن أواسى كل واحد من إخوانى لواسيته، ولو أننى أستطيع أن أصـل كل واحـد من إخـوانى لوصلته لأن الأخوة هى الرحم الباقية، فالرحم رحمين: رحم من نسب الأب والأم، ورحم الله ورسوله، والأخوة فى الله لهـا معـانى كـثيرة، لا أستطيع بيـانهـا الآن ولكن إذا كـان الملك والملكوت والرضوان لا يضاهى الأخوة فى الله، والإمام أبو العزائم لا يفرط فى الأخ فى الله بالملك والملكوت ومنازل الرضـوان لأن الأخـوة فى الله أغلى من الملك والملكوت ومنازل الرضوان وذلك فى قوله:

أنا لا أرضى بالملك والملـكوت فى ... أخ فى الله حاشـا بل ولا الرضوان
المـــرء بالإخـــوان لا بجــــدوده ... قليـــل نعــم والذل فى النقصـان

وأنتم تعلمون أن الأخوة بلغت فى عهد رسول الله ﷺ أن أحدهم كان يرث أخاه إذا مات لأن الإسلام آخى بينهم وبين بعضهم، فهم لا تربطهم صلة نسب ولا قرابة ولا رحم، ولكن وصلهم نسب الله ورسوله، فكان فى بدء الإسلام الذى يموت من المهاجرين يرثه أخوه من الأنصار، والذى يموت من الأنصار يرثه أخوه من المهاجرين، وليس الأخ من الأم والأب، لأن هذه الأخوة كانت أعلى وأجل من أخوة النسب، حتى استتب الأمر لدولة الإسلام، وأصبح المسلمون كلهم كرجل واحد إن اشتكى عينه اشتكى كله، وإن اشتكى رأسه اشتكى كله، وإن اشتكى إصبعه اشتكى كله؛ إلى أن نزلت أحكام المواريث، وردّت الميراث للأقارب والأرحام من الأب والأم، ولكن بعد تحققهم بهذه المعانى العالية.

أنا أودّ يا إخوانى أن تحرصوا على هذه الوصية، وتؤكدوها بالعمل بها حتى لا نترك أى أثر للنفوس النزّاعة، أو للشيطان، للتأثير على هذه الأخوة، لأنها أكبر بكثير جداً من هذه المعانى، وأكبر بكثير جداً من كل ما يدور حولها أو بينها.

وأنتم والحمد لله الصغير فيكم عالم كبير فى الوعى والفكر فى دين الله.

بارك الله فيكم وعليكم ولا حرمكم الله من بعضكم أبد الزمان، ورزقنا الله وإياكم التعاطف والمودة والرحمة والمحبة التى كانت بين صحابة سيدنا رسول الله الكرام.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

الباب التاسع

الباقيات الصالحات

أولاً : الأثر البشرى.

ثانياً : أثره الصوتى.

ثالثاً : تراثه العلمى.

ترك رضى الله عنه آثاراً باقية تضيف إلى رصيده عند الله عز وجل فى كل يوم جديد مزيداً من الفضل الكبير والثواب الجزيل، والأجر الحسن وإليها الإشارة بقول الله عز وجل: **﴿والباقيات الصالحات خير عند ربك ثواباً وخير أملاً﴾**(١)، وقد عناها سيدنا رسول الله ﷺ بقوله: **«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»**(٢). ونستطيع أن نقسم الظاهر من هذا الأثر الباقى إلى ثلاثة أقسام:

أولاً : الأثر البشرى

فقد ترك رضى الله عنه أكثر من ألف رجل فى طريق الله عز وجل رباهم على القيم والمبادىء الفاضلة من الإخلاص والصدق والصفاء والوفاء، والإيثار والبذل، والتضحية بكل غال ونفيس فى سبيل الله عز وجل، وهذّب نفوسهم من رعوناتها ونزغاتها، ومن الأثرة والأنانية وحب السيطرة والتملك، والرغبة فى العلو فى الأرض بغير الحق، والطيش والجهالة والغفلة، وصفّى قلوبهم من الأحقاد والأحساد، والغل والحرص، والبغض والكيد، ورقاهم إلى المنازل العالية، وجمّلهم بالأخلاق السامية، والأحوال الراقية، والعلوم الوافية، حتى صاروا أئمة يدعون الناس إلى الله عز وجل، لا لنوال عطاء، أو رغبة فى جزاء، وإنما إبتغاء رضوان الله، وطمعاً فى حبه ورضاه.

فمنهم من يدعو إلى الله بحاله، ومنهم من يوجه الخلق إلى الله بقاله، ومنهم من يجاهد فى سبيل الله بماله، ومنهم من باع نفسه لمولاه، ومنهم من هام عشقاً وحباً في ذات الله، ومنهم من جعل عمره كله طاعة لله، ومنهم من شغل نفسه بذكر الله، ومنهم من أوقف نفسه على كتاب الله، ومنهم من جعل وقته لغيره

---

(١) سورة الكهف : الآية ٤٦.

(٢) رواه مسلم عن أبى هريرة.

فيقضيه كله فى قضاء مصالح الخلق ابتغاء وجه الله، ومنهم من استلذ الخدمة لإخوانه فى الله، وكلهم توحدت همومهم فى الله وفى مثلهم يقول سيدى أبو الحسن الشاذلى رضى الله عنه عندما سئل عن كتبه التى تركها فأشار إلى أصحابه وقال: كتبى صدور أصحابى.

هذا ولا يزال هؤلاء الرجال على نهجه رضى الله عنه وقد جمعتهم الجمعية العامة للدعوة إلى الله، ويقومون تحت لوائها بإكمال المهمة التى قام بها شيخهم فى جمع الخلق على الله، ونشر المفاهيم الصحيحة للإسلام حسبة لوجه الله، والعمل على جمع شمل المسلمين، وتقريب وجهات نظرهم، وحل المشكلات، والقضاء على الخلافات التى تنشب بينهم رغبة فى الفوز بفضل الله ورضوان الله.

وقد ترك رضى الله عنه أيضاً من نسبه الحسى من زوجته التقية السيدة منيرة - والتى لم يتزوج غيرها طوال حياته - خمسة أولاد بررة هم بحسب ترتيب ولادتهم:

هناء وحسين وليلى وأبو العزائم وعبير.

بارك الله فيهم وعليهم وجعلهم أئمة للمتقين، وهداة مهتدين فى الدنيا، وسعداء فى يوم الدين.

ثانياً : أثره الصوتى

حبا الله عز وجل الشيخ رضى الله عنه بصوت روحانى كان يرتل به كلام الله عز وجل النورانى أثناء دروسه وخطبه، فيترك فى نفوس السامعين أثراً بليغاً لرقته وخشيته، وعذوبته وطلاوته، حتى أننى عندما كنت أسمعه كنت أتذكر على الفور قول سيدنا رسول الله ﷺ للصحابى الجليل أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه: **«لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود عليهم السلام»**(٣)، وكنت أستبشر

(٣) متفق عليه.

بفضل الله عز وجل لأن الله وهبنى سماع القرآن من رجل يقول فيه رسول الله ﷺ: «**إسمعوا القرآن من رجل إذا سمعتموه رأيتم أنه يخشى الله عز وجل**»(٤)، وأنظر إلى الناس حولى حال السماع فأدرك الحكمة العالية من قول رسول الله ﷺ: «**زيّنوا القرآن بأصواتكم، فإن الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً**»(٥)، وقد سمعه ذات مرة المرحوم الدكتور عبد المنعم النمر عندما كان وزيراً للأوقاف، أثناء زيارته لمدينة بورسعيد، فقال له: كنت أود تسجيل ترتيل كامل للقرآن الكريم بصوت أحد العلماء، وكنت أترقب صاحب الصوت الحسن حتى أكلفه بذلك، والآن قد وقعت عليه، وطلب منه رضى الله عنه أن يقوم بعمل تسجيل كامل للقرآن الكريم على شرائط، فحاول رضى الله عنه بتواضعه وأدبه الجم أن يعتذر؛ ولكن الوزير ألح عليه فى ذلك. فقام رضى الله عنه بتسجيل ترتيل كامل للقرآن الكريم بصوته الندى، وخشوعه الروحانى، وقد سجله على واحد وأربعين شريطاً وهو متوفر وموجود الآن.

هذا غير الكم الهائل من شرائط التسجيل المسجّل عليها دروسه الدينية فى كافة المناسبات الدينية، والموضوعات الإسلامية، والآداب الربانية، والتربية الروحانية والتى هى بمثابة كتب ناطقة تحمل للسامعين الهدى والنور والعلم والحكمة والموعظة الحسنة.

ثالثاً : تراثه العلمى

ترك رضى الله عنه ستة وعشرون كتاباً تشمل كل نواحى الحياة الإيمانية، وقد أملاها كلها رضى الله عنه من عالم الغيب بدون الرجوع إلى مرجع أو كتاب، فقد كان يملى وأحد مريديه النجباء يكتب، وهذا مما يدل على غزارة علمه، وتمكنه فى باب المعرفة الإلهية، والعلوم الدينية. وقد كان نهجه رضى الله

(٤) رواه ابن ماجه.

(٥) رواه السيوطى فى الصغير وأبو نعيم فى الحلية عن البراء.

عنه فى أى قضية يعالجها، أن يستخرج الآيات القرآنية التى تتحدث عنها، ثم يقوم بشرحها على حسب ما يفتح الله عز وجل به عليه، ويستنبط بعد ذلك الأحكام والآداب التى يهدف إلى إقرارها، هذا مع البعد عن الغموض والإغراب، أو إخراج الألفاظ عن مدلولهـا، أو الآيات عن المعنى الظاهر الذى يسوقه الله عز وجل فى ثناياها، حتى أنك عندما تسمع شرحه للآيات القرآنية يرتاح قلبك، وينشرح صدرك، وتشعر أنك تسمع هذه الآيات لأول مرة.

ويؤيد كلامه بعد ذلك بالأحاديث الصحيحة، وكان يتحرى فيها صحة السند، ثم بما صح من كلام الرجال رضى الله عنهم وسنسوق مثلاً واحد يدل على ذلك المنهج فعن معنى قوله تعالى: **﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة﴾**(٦) يقول رضى الله عنه: «أى لقد تحقق لكم وثبت لديكم أن الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة هى فى رسول الله ﷺ حيث أنكم لم تروا فيه انحرافاً ولا اعوجاجاً عن الحق الذى أنزله الله، والذى أقرته العقول السليمة من الزيغ والضلال، ولم تعرفوا عنه قبل رسالته إلا الصدق والأمانة والوفاء والعفة والعدالة ونصرة المظلوم ومكارم الأخلاق العالية، وجاءته الرسالة فزادته بهجة وجمالاً وجلالاً وكمالاً ورفعة وسناء ﷺ، والأسوة الحسنة هى القدوة الكريمة والأمثلة العالية، والأخلاق الرفيعة، والسيرة الحميدة والتى إذا رآها العاقل حمدها ومدحها وأثنى عليها، ولم يكن فى وسعه إلا اتباعها والتشبه بها، ولم يقدر عن العدول عنها، وإن الإقتداء برسول الله ﷺ يفرض علينا أن نعرف ولو طرفاً يسيراً من أعماله وأقواله وأخلاقه عليه الصلاة والسلام حتى نأخذ بها على قدر استطاعتنا فليس واحد منا يستطيع أن يقوم بكل ما كان يقوم به ﷺ لأن رسول الله يزن جميع أمته فى كل شيء وإنما يأخذ كل مؤمن منه على قدر استطاعته فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء**

(٦) سورة الأحزاب: الآية ٢١.

فاجتنبوه»(٧) ... »(٨)، ثم يواصل رضى الله عنه تحليله للآية فيبين منها خصال المؤمنين الذين يقتدون برسول الله ﷺ فيقول:

« وهى (أى هذه الخصال) :

أولاً : أنهم يرجون الله سبحانه وتعالى، ومعنى ذلك أنهم يطمعون فى رحمة الله وعفوه وبره ورضائه.

ثانيــاً : أنهم يرجون اليوم الآخر ومعنى ذلك أيضاً أنهم يأملون فى الفوز والفلاح والنعيم فى ذلك اليوم العظيم الذى يرفع الله فيه شأن المؤمنين ويكرمهم.

ثالثاً : أنهم يذكرون الله ذكراً كثيراً، ومعنى ذلك أن الله حاضر فى خواطرهم ومشهود فى ضمائرهم لا يغيبون عنه فهو سبحانه مذكور بألسنتهم وقلوبهم.

وهذه الصفات الثلاثة جعلتهم يترسمون خطوات رسول الله ﷺ فى كل شىء، لأنهم يعتـقـدون أن كل خيـر وإسعاد فى الدنيا والآخرة إنما يكون فى إتباعه والإقتداء به عليه الصلاة والسلام.

ومن ناحية أخرى فإن الأسوة برسول الله ﷺ أعظم دليل وأكبر برهان على حبهم له ﷺ، وحبهم لله جل جلاله، قال الله تعالى: **﴿قل إن كنتم تحبـون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر ذنوبكم﴾**(٩)»(١٠).

وبعد أن وضحنا نهجه رضى الله عنه الذى اتبعه فى كل كتبه سنسردها تاركين عن عمد توضيح ما بها ونستطيع أن نبوّبها بحسب موضوعاتها تحت العناوين التاليـة:

---

(٧) رواه البخارى ومسلم.
(٨) عبادة المؤمن اليومية ص ١٤، ١٥.
(٩) سورة آل عمران: الآية ٣١.
(١٠) عبادة المؤمن اليومية ص ١٢، ١٣.

١ – الفتـاوى والأحـكام

وتشمل الإجابة على أهم المشكلات التى ثارت فى هذا العصر، وخاصة القضايا الخلافية، وقضايا الأسرة المسلمة، والأمور الغيبية وذلك فى الكتب التالية:

١ – مصابيح على طريق الإيمان (ثلاثة أجزاء).

٢ – من منابع الدين الحنيف.

٣ – حكمة الحج وأحكامه.

٤ – الصوم عبادة ومجاهدة.

٢ – العقيدة الإسلامية

ويكشف فى هذه الكتب جوانب العقيدة الصحيحة، ويجلّى كثير من الشبهات التى يثيرها نحوها أهل الباطل، ويوضح الأمور الغيبية التى يطالب المسلم بالإيمان بها بأسلوب سهل ومقنع وهى:

١ – التوحيد فى القرآن والسنة.

٢ – علامات وقوع الساعة.

٣ – حوار حول غوامض الجن.

٤ – مواقف بعض الأنبياء والرسل فى القرآن الكريم.

٥ – أيام الله.

٦ – شعب الإيمان.

٧ – الإسراء معجزة خالدة.

٣- الأسرة المسلمة

وقـد وضح كل شىء فـيـهـا عن الأسـرة ككل وعن المرأة والأولاد والزوج وقضاياهم مع وضع أسهل الطرق لعلاجها وذلك فى الكتب الآتية:

١ – توجيهات فى بناء الأسرة.

٢- حقوق الإنسان فى الإسلام.

٣- قبس من معانى سورة النور.

٤- خواطر إيمانية حول تنظيم الأسرة والمشكلة السكانية.

٤ – الدعوة الإسلامية

ويبين فيهـا النهـج الأمثـل للدعوة إلى الإسلام بالحكمة والموعظـة الحسنة وذلك فى:

١ – كيف يدعو الإسلام الناس إلى الله.

٢- الإنسان الوسط.

٥- التصوف الإســلامى

١ – الإمام أبو العزائم كما قدم نفسه للمسلمين.

٢- أنوار التحقيق فى وصول أهل الطريق.

٣- عبادة المؤمن اليومية.

٤- شرح الفتوحات الربانية فى الصلوات على خير البرية للإمام أبى العزائم.

٥- قطرات من بحار المعرفة.

٦- الجواب الشافى على أسئلة الحكيم الترمذى فى كتابه ختم الأولياء.

٧- ندوة عن التصوف.

٨- بريد إلى القلوب (جزءان).

٦- الحـديث الشريف

وقد شرح رضى الله عنه مائة واثنين من الأحاديث الشريفة بلغة مبسطة سهلة وقدّمها فى حلقات بإذاعة القناة وجمعت فى كتاب.

من هدى النبوة (جزءان).

هذا وقد آثرنا عدم تناول هذه الكتب بالتحليل لسببين: أولهما حتى نتجنب الإطالة فى حجم الكتاب مما يزيد فى عبء إخراجه وطباعته وبالتالى تكلفته، وخاصة وأن الكتب كلها مطبوعة ومتوفرة فى المكتبات وتباع بتكلفتها الأصلية فقط (أى بثمن زهيد).

وثانيهما حتى نتيح للقارىء الكريم الفرصة للإطلاع على هذه الكتب والحكم عليها بنفسه.

البـــاب العاشر

* تــكريم الله
* الإســتعداد للقـــاء الله
* بشرى اللقــــاء
* فى حــــــرم الله
* اللقـــاء الأخـــير
* لقـــاء الله عــز وجــل

أجرت وزارة الأوقاف مسابقة بين الأئمة تتضمن كتابة موضوع يبين ناحية من نواحى عناية الإسلام بالإنسان وذلك فى عام ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، وأعلنت أن الجائزة الأولى للبحث هى رحلة حج مجانية على نفقة وزارة الأوقاف، وجهز الشيخ رضى الله عنه بحثاً قيماً بعنوان (حقوق الإنسان فى الإسلام). وذهب إلى الوزارة لتسليم بحثه ويقابله زميل كريم كشف الستار عن سر هذا البحث يوم تأبينه رضى الله عنه حيث قال: قابلته في ديوان الوزارة، وبيده بحث، فقلت له: ما هذا يا شيخ محمد؟ فقال: هذا بحث أقدمه للوزارة لأفوز بجائزة الحج، وأذهب إلى الأراضى المقدسة وأموت هناك» وكأن الأقدار تجرى بمشيئة الأخيار لقول الله عز وجل فى شأنهم: **﴿لهم ما يشاؤن عند ربهم﴾**(١)، فقد أُعجبت لجنة المسابقات ببحثه أيما إعجاب، ورشحته للجائزة الأولى، وحُدّد يوم الأربعاء ٢٨ من رجب ١٤١١هـ الموافق ١٣ من فبراير ١٩٩١م لتكريم الفائزين حيث أن الوزارة تقيم حفلاً سنوياً فى هذه المناسبة التى توافق ليلة الإسراء والمعراج لتكريم الدعاة المبرزين، ويحضر الحفل السيد رئيس الجمهورية ليسلم الجوائز بنفسه وبرفقته كبار رجالات الدولة.

وحضر الشيخ رضى الله عنه الحفل الذى أقيم فى قاعة الإمام محمد عبده بالأزهر الشريف وتسلم الجائزة ، وهى مبلغ ألف جنيه، من السيد رئيس الجمهورية، وأخطرته الوزارة بالإستعداد للحج على نفقة الوزارة.

(١) سورة الشورى : الآية ٢٢.

الإســتعداد للقــاء الله

بدأ الشيخ رضى الله عنه يستعد لأداء فريضة الحج مسروراً، وخاصة أن وقفة يوم عرفة فى هذا العام كانت ستصادف يوم الجمعة، أى أنها ستشبه حجة الوداع التى حجها رسول الله ﷺ، وفى تلك الآونة رأى فى منامه ربّ العزّة جل جلاله وخاطبه قائلاً: «إنا اخترناك لتحج عن المسلمين جميعاً هذا العام».

فأوّلها رضى الله عنه بأنها تشير إلى لقاء الله، فقد كُرّم ظاهراً وباطناً، ونهاية التكريم تكون بلقاء الكريم، فسافر إلى بلدته ههيا وسلّم على الأهل والأحباب جميعاً على غير عادته وودّعهم وداعاً حاراً، وتقابلنا معه رضى الله عنه فى لقاء جامع بمدينة كفر الشيخ وطلب منى الإخوان أن أحج معهم هذا العام لأحظى بصحبة الشيخ رضى الله عنه فاعتذرت إليهم بقلة ذات اليد، فأخبروه رضى الله عنه بذلك، فطلبنى وقال لى: لم ترفض الحج مع الإخوان هذا العام؟ فقلت له رضى الله عنه: ليس لدىّ استطاعة مادية الآن وأنا لا أريد أن أحج إلاّ من مالى الخاص. فقال رضى الله عنه: أنت تحج هذا العام ولو بمال من يهودى؛ وإلا فمن الذى سيثبّت الإخوان؟! فاضطررت لتلبية أمره رضى الله عنه. وبدأ رضى الله عنه يلمّح إلىّ أنه مسافر فى الحقيقة ليلقى الله عز وجل فى هذه الأماكن المقدسة تلبية لرغبته التى استجابها الله عز وجل له.

ففى اللقاء الذى حضره معظم الإخوان فى مدينة الزقازيق للسلام عليه قبل السفر كان يكرر باستمرار فى درسه بين الفينة والأخرى لعلنا لا نتقابل بعد اليوم وعند خروجه من منزله مسافراً إلى السويس نظر إلى السيدة زوجته وأطال النظر وقال لها: كنت أود أن أصحبك معى فى هذا السفر، ولكن قلت أتركك لتواسى الأولاد، قالت: ماذا تقصد؟ قال: أشعر أننى لن أعود من هناك.

وكان هذا كلامه الذى يوجهه لجميع أحبابه ومعارفه حتى قال لخادمه الخاص الحاج ناصر درويش: يا بنى الأنبياء يدفنون حيث يموتون، فسيدنا إبراهيم، وسيدنا موسى، وسيدنا محمد دفنوا حيث ماتوا، وكذلك الأولياء يدفنون حيث يموتون،

يعنى لا يصح نقلهم من بلد إلى آخر، ثم أضاف قائلاً: يا بنى لما أموت لا تبكى، وخليك ثابت، لكى تستفيد من هذه المشاهد.

بشرى اللقـــــاء

ذهب رضى الله عنـه إلى السـويس ليسـافر عن طـريق البـحـر إلى جـدة، وكان فى وداعه بعض الإخوان وقد ناموا مبكرين ليلة السفر ليصبح الشيخ رضى الله عنه مبكراً متوجهاً إلى الميناء للسفر إلى الأرض المباركة، وفى الصباح بشّرهم الشيخ وأمرهم أن يبشّروا الإخوان بما رآه، فقد رأى سيدنا ومولانا رسول الله ﷺ وقال له: أبشر وبشّر إخوانك، بأنك وكل من أحبك معنا فى الجنة» فقام رضى الله عنه مسروراً وهو يردد قول الإمام أبى العزائم رضى الله عنه:

وبشّرنى أنّى ومن قـــد أحبّنى ... يفـوز ويُعطى مـنه كل مُـراده

وقوله أيضاً رضى الله عنه:

ونادانـى أيـــا ماضـى تهـــنّى ... فأنت ومـن يحبـــك فى أمـان

ومن لحظتها كان رضى الله عنه يردّد عقب كل صلاة ثلاث مرات: «اللهم تولّى قبض روحى بيمناك مع شدة الشوق إلى لقائك يا رحمن».

وسافر رضى الله عنه من السويس على الباخرة سوريا وبرفقته خادمه الخاص الحاج ناصر وذلك صـباح يوم الإثنين ٢٧ من ذى القعـــدة ١٤١١هـ الموافق ١٠ من يونية ١٩٩١م، وعلى الباخرة كان رضى الله عنه يقوم بنشاط غير عادى لشرح المناسـك، وإرشاد الحجيج، والرد على أسئلتهم واستفساراتهم حتى وصلوا إلى جدة يوم الأربعاء ٢٩ من ذى القعدة الموافق ١٢ من يونية.

فى حـــرم الله

أدى رضى الله عنـه العمرة يوم الأربعـاء غداة وصوله إلى مكة، حيث أنه كان قد نوى التمتع بالعمرة إلى الحج، وخلع ملابس الإحرام ولبس ملابسه العادية، ومكث كعادته فى الدأب فى تبصير الحجيج بأمور مناسكهم، وتوضيح ما استشكل عليهم، من أمور المناسك، فى كل موقع تطأه قدمه لأنه كان يرى أن ذلك فرض على العلماء.

وسافرنا نحن بالطائرة من القاهرة مساء الخميس غرة ذو الحجة ووصلنا مكة صـباح الجمعة قبـل صـلاة الجمعة مباشرة فأدينا صـلاة الجمعـة فى حرم الله وإذا بالحاج ناصر يأتى ويبلغنا بأن الشيخ قلق علينا، ويتعجل وصولنا، ويريد لقاءنا – وكنا برفقة إخواننا جماعة آل العزائم بمغاغة – فأخبرته بأننا سنستريح قليـلاً من السفر، ثم نقوم قبل الغروب بساعة لنؤدى العمـرة ونتحلل، وفى الصبـاح سنذهب إليه إن شاء الله.

وقد توجهنا إليه رضى الله عنه فى الصباح فى الساعة العاشرة من يوم السبت واستمتعنا بجلسته المباركة، ثم استأذناه أن يأتى للإقامة معنا فلبّى، غير أنه كعادته فى أدبه العالى استأذن رفقاءه فى السكن، فأذنوا له واشترطوا أن يذهب إليهم ليلقى عليهم محاضرة بعد صلاة العشاء فوافقنا على ذلك.

اللقــاء الأخــير

مكث الشيخ رضى الله عنه معنا بقية يوم السبت حتى إذا صلينا العشاء ذهب وفاءا بوعده إلى رفقائه فى السكن من حجاج بورسعيد، وجلس معهم فى الدور الخامس من السـكن يشرح لهم المناسـك، ويجيب على استفسـاراتهم، وكان فى اللقاء وفد من حجاج محافظة كفر الشيخ، فطلبوا منه رضى الله عنه أن يحدد لهم ميعـاد يذهب فيـه إليهم ليشرح لهم المناسك، فواعدهم على الساعة العاشرة فى صباح اليوم التالى مباشرة وهو الأحد. وبعد انتهاء الدرس رفض رضى الله عنه

النزول فى المصعد وأخذ يقرع أبواب الشقق فى كل الأدوار ليسلم على الحجاج بها مودعاً وكانوا جميعاً من مدينة بورسعيد.

ووصل الشيخ إلينا فى فندق أم القرى حيث نقيم فى الساعة الحادية عشرة مساءا فأحببنا أن يتوجه إلى النوم، ولكنه رضى الله عنه قال: أريد أن أجلس معكم لحظات وبدأ رضى الله عنه يسرد ما حدث فى محاضرته، ويوضح أن هناك أخطاء كثيرة يقع فيها كثير من الحجيج لجهلهم بالمناسك، ثم توجه إلىّ قائلاً: عندما تنزل مصر اجمع هذه الأخطاء تحت عنوان (أخطاء شائعة فى الحج) وأضفها إلى كتاب (حكمة الحج وأحكامه) فى طبعته الجديدة، وقد قمت بتوفيق الله بجمع هذه الأخطاء مع شرح مبسط للمناسك فى كتاب سميناه (زاد الحاج والمعتمر) وقد طبع ونشر بفضل الله ورحمته، ثم أخذ رضى الله عنه يوصينا بما نفعله خلال المناسك فى عرفات ومنى وأوصانا بصفة خاصة أن نرفق بالناس ولا نشق عليهم فى النزول إلى مكة لطواف الإفاضة أول أيام العيد، وأن نكمل الصلاة أيام منى، وغيرها من الوصايا التى ندعو الله أن يوفقنا لإنجازها.

ثم توجه رضى الله عنه إلى الأخ جابر عباس منشد آل العزائم بمغاغة وطلب منه أن ينشد قصيدة:

لبيك يا داعياً روحى إلى الذات رفقاً بجسمى ففيه سر آيات

وهى للإمام أبى العزائم رضى الله عنه، وكانت القصيدة غير حاضرة فى ذهن الأخ جابر فأنشد غيرها، فطلب منه الشيخ مرة أخرى أن ينشد ذات القصيدة، ولما وجده لم يستحضرها قام رضى الله عنه بإنشادها بصوته العذب النّدى، ثم طلبنا منه أن يذهب إلى حجرته ليستريح، فصافحنا مودعاً ونهض إلى حجرته فى الواحدة مساءا.

لقـــاء الله عز وجل

وبعد تناول طعام الإفطار توجه رضى الله عنه فى التاسعة والنصف صباحاً من يوم الأحد الموافق ٤ من ذى الحجة ١٤١١هـ، ١٦ من يونية ١٩٩١م وبرفقته الأخوين الكريمين الحاج عوض البشبيشى والحاج ناصر درويش وذلك لإلقاء المحاضرة التى وعد بها حجاج محافظة كفر الشيخ، وحاول الأخوين الكريمين أن يُركباه سيارة أجرة، ولكنه رضى الله عنه رفض ذلك قائلاً: وما علىّ أن أغبّر قدمى فى سبيل الله ساعة.

ومشى يتحدث معهما، وفجأة وضع يديه على كتفيهما وشهق شهقة واحدة فاضت على أثرها روحه إلى بارئها عز وجل لتنهى حياة رجل نذر نفسه وماله ووقته وبيته وكله لله عز وجل فكان من الرجال الذين قال فى شأنهم الله عز وجل: **﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلوا تبديلاً﴾**(٢) ولله درّ القائل:

فوا أسفى من فراق قوم ... هم المصابيح والحصون
والمدن والمزن والرّواسى ... والخير والأمن والسكون
لم تتغير لنا الليالى ... حتى توفّتهم المنون
فكل جمر لنا قلوب ... وكل ماء لنا عيون

وقد قمنا بدفنه فى مقبرة المعلا بمكة المكرمة كما أوصى رضى الله عنه وأرضاه.

وهو وإن كان لسان حاله يقول:

قل لإخوان رأْونى ميّتاً ... فبكَوْنى ورثَونى حُزْنا
أتظنّون بأنى ميّتكم ... ليس ذاك الميّت والله أنا

---

(٢) سورة الأحزاب: الآية ٢٣.

أنا فى الصّور، وهذا جسدى — كان لباسى وقميصى زمناً
أنا كنز وحجـاب طلسـم — من تراب قـد تهيّـا للفنـا
أنا درٌّ قـد حـوانى صـدف — حرت عنـه فتخـلى وهنـا
أنا عصـفور وهـذا قفصى — كان سجنى، فألفت السجنا
أشـكر الله الذى خلصنى — وبنى لى فى المعـالى وطنـا
كنت قبل اليوم ميْتا بينكم — فحييت، وخلعت الكفنـا
فأنا اليـوم أناجى ملَـكا — وأرى الحـق جهـارا علنـا
عاكفا فى اللـوح أقرأ وأرى — كـلّ ما كـان ويأتى أو دنا
لا تظنّـوا المـوت موتاً إنه — لحيـاة وهو غايات المنى
لا ترعكم هجمة الموت فما — هو إلا إنتقـال من هنـا
فاخلعوا الأجساد من أنفسكم — تبصروا الحق عيـاناً بيّنـا
وخـذوا فى الزاد جهدا لاتَنوْ — ليس بالعـاقل هنـا من ونَا
مـا أرى نفسـى إلا أنتـم — واعتقـادى أنـكم أنتم أنا
عُنْصر الأنفـاس منّـا واحـد — وكذا الأجسـام جسم عمّنا
فارحمونى ترحموا أنفسكم — واعلمـوا أنـكم فى إثرنا
أسـئل الله لنفسى رحمـة — رحـم الله صديقـاً أمّنـا
وعليـكم منى سـلام طيب — وسـلام الله برّ وثنـا

إلا أننا نتمثل بما قاله سيدنا عمر بن الخطاب بعد وفاة سيدنا أبى بكر رضى الله عنهم:

مـات الذين أحبّهـم — فعليـك يا دُنْيـا السـلام
إنى رضـيع وصـالهم — والطفـل يؤلمـه الفطـام

وعزاؤنا فيه قول الإمام أبى العزائم رضى الله عنه وأرضاه:

فروحى لم تغب والـروح نور		تواجـه من أحب بنور نورى

رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه الله عنّا وعن المسلمين إجمعين خير الجزاء بمغفرة ورضوان وخير فى الدنيا والآخرة، ونسأل الله عز وجل أن يلحقنا بمعيته، وأن يحشرنا فى زمرته، وأن يكرمنا يوم اللقاء بشفاعته آمين يا رب العالمين.

وكان الفراغ من هذا الكتاب مساء يوم الثلاثاء ١٢ من ذى القعدة ١٤١٣هـ الموافق ٤ من مايو ١٩٩٣م بفضل الله ومنّه وكرمه.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

حسـن الختـام

الحمـد لله الذى وفق وأعان، وألهمنا وسدّدنا حتى أتممنا هذا البيان، ووفينا بعض ما علينا نحو إمامنا ومرشدنا لحضرة الديان فضيلة مولانا الشيخ محمد على سلامة وبارك الله فى تلاميذه الربانيين، وأبداله الروحانيين، الذين قاموا بحمل أمانة الدعوة إلى الله خير قيام، ولم يهدأ لهم بال، ولم يرتاح منهم قلب حتى أخرجوا كل تراثه العلمى إلى النور، وفاءا بالعهد، ورغبة فى الدخول فى معية أهل الصدق، وخاصة منهم الإخوان الصادقين من أهل مغاغة المحروسة بصعيد مصر، حيث كان لهم النصيب الأكبر والحظ الأعظم فى طباعة هذا التراث. كما نسأل الله عز وجل أن يبارك فى الأخ المجمل بالإخلاص الحاج السيد إبراهيم المحلاوى رئيس لجنة الطباعة والنشر بالجمعية العامة للدعوة إلى الله، ورفاقه الأوفياء لدورهم العظيم ومجهودهم الكبير فى إخراج هذا التراث، وبارك الله فى أهل الصدق من الإخوان فى كل زمان ومكان وجمعنا وإياهم بفضله سوياً فى معية النبى العدنان يوم لقاء حضرة الديان سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

مراجع الكتاب

١ – القــرآن الــكريم.

٢ – المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : فؤاد عبد الباقى. دار الشــعب

٣ – كنز العمال : المتقى الهنــدى — مؤسسة الرســالة بلبنان ١٩٧٩م

٤ – الفتح الكبير بضم الزيادة إلى الجامع الصغير للسيوطى : النبهــانى — مصطفى البابى الحلبى ١٩٣٢م

٥ – الدرر المنتثرة فى الأحاديث المشتهرة للســيوطى — دار الإعتصــام ١٩٨٧م

٦ – كشف الخفــا للعجلونى — مكتبة التراث الإسلامى بحلب

٧ – إحيـــاء علوم الدين : الإمام الغــزالى — دار الشعب

٨ – كشف الغمــة عن جميــع الأمة : الشــعرانى — مصطفى الحلبى ١٩٥١م

٩ – الرســالة القشرية : القشيرى — دار أسامة بيروت ١٩٨٧م

١٠ – لطــائف الإشــارات : القشيرى — الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م

١١ – عوارف المعــارف : الســهروردى — دار الكتاب العربى – بيروت ١٩٨٣م

١٢ – معــارج المقربين : الإمام أبو العزائم — دار المدينــة المنــورة

١٣ – حليــة الأوليــاء : الأصــفهانى — مكتبة الســعادة

١٤ – دولة القــرآن : طه عبد الباقى سرور — دار الفــكر العــربى ١٩٨٨م

١٥- معوقات تطبيق الشريعة الإسلامية : منّـاع القطان
مكتبة وهبـة ١٩٩١م
١٦- الإسلام كما ينبغى أن نؤمن به : د. عبد الحليم عويس
دار الصـحوة ١٩٨٥م
١٧- سر تأخر العرب والمسلمون : الشيخ محمد الغزالى
دار الصـحوة ١٩٨٥م
١٨- العـارف بالله الشـيخ أحمـد رضـوان
المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

هـذا بالإضافة إلى كل مؤلفات العـارف بالله تعـالى الشـيخ محمد على سلامة
وهى من إصـدار دار الإيمـان والحيـاة



كتب للمؤلف

(أ) أعلام الصوفية المعاصرين :

١ – الإمام أبو العـزائم المجـــدد الصـــوفى.
دار الإيمـان والحيـــاة

٢ – الشيخ محمد على سلامة : سيرة وسريرة.
دار الإيمـان والحيـــاة

(ب) الإيمان والحيـاة :

١ – زاد الحـاج والمعتمر.
دار الإيمـان والحيـــاة

٢ – الحلول الإسلامية للمشـكلات العصرية.
تحت الطـبع

٣– العبادات الإسلامية علاج لأمراض العصر الحديث.
تحت الطـبع



الفهـــــــرس

الموضـــــوع	الصفحة

الباب السادس

الموضـــــوع	الصفحة

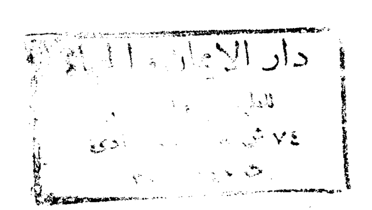
البـــاب الســـابع

البـــاب الثـــامن

الموضـــــوع	الصفحة

الباب العاشر





رقم الايداع
٥٨٠٥ / ٩٣
I.S.B.N : 977 - 00 - 5393 - 7